سلطنة عمان
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
معهد العلوم الشرعية

عمل المرأة المسلمة

في الواقع المعاصر إيجابياته وسلبياته

أبو اليقظان محمد بن صالح ناصر

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

عمل المرأة المسلمة

في الواقع المعاصر

إيجابيات وسلبيات

أبو اليقظان محمد بن صالح ناصر

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)

1- الباعث:

- إن سبب اختياري لهذا الموضوع يعود لأسباب أهمها:
  - تماشي الموضوع مع ميولاتي الشخصية.
  - لقد كان فكرة تراودني منذ فترة وبالتحديد في العام الدراسي: ١٩٩٥م-١٩٩٦م، عندما كلفني أستاذ مادة حقوق الإنسان إعداد تقرير في المادة، فاخترت موضوعا بعنوان: حق المرأة في العمل، فوجدته موضوعاً خصباً، وجديرا بالبحث المتعمق، والتفرغ الجدي، إلى أن وفقني الله إلى السنة النهائية فاخترته عنواناً لبحثي.
  - ومما جعلني أصر على الموضوع هو قلة البحوث والمراجع التي تطرقت إليه، وخاصة فيما يتعلق بجزئية: الآثار المترتبة على خروج المرأة المسلمة إلى العمل، وأثر ذلك كله على المجتمع المسلم، بدءا من الأسرة، ونهاية بالأمة.
  - إن ما يحدث في الغرب من متغيرات جذرية تزامنت تماماً مع الثورة الصناعية، التي استطاعت أن تهز، وتزلزل كيان الأسرة، والمجتمع الغربي كله، وكان من أهم الأسباب المتغيرة المتزامنة مع الثورة إقحام المرأة في مجال العمل.

كل هذه أثار فضولي للتجرؤ على اقتحام هذا الموضوع الحساس ، والبالغ الأهمية، مدركاً أنني سأثير نقطة جدلية لا تزال تثار لوقتنا هذا في جميع الأقطار الإسلامية.

٣- خطة البحث

كانت خطتي في البحث كما يلي:

١) **التمهيد**: تطرقت فيه لوضعية المرأة في الإسلام ، وفي غيره من الحضارات مقارنا بينها.

٢) **الفصل الأول**: طبيعة تكوين المرأة ووظيفتها الأساسية.

قسمته إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول: طبيعة تكوين المرأة.

المبحث الثاني: وظيفة المرأة الأساسية.

المبحث الثالث: دور المرأة في العهد النبوي.

٣) **الفصل الثاني**: دوافع خروج المرأة المسلمة للعمل.

المبحث الأول: الخلفية التاريخية لخروج المرأة الغربية للعمل.

المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لخروج المرأة المسلمة للعمل.

المبحث الثالث: الدوافع الحقيقية لخروج المرأة المسلمة للعمل.

٤) **الفصل الثالث**: مشروعية عمل المرأة وضوابطه.

٥) **الفصل الرابع**: أثر عمل المرأة المسلمة : الإيجابيات والسلبيات.

المبحث الأول: أثر عمل المرأة المسلمة على الأسرة.

المبحث الثاني: أثر عمل المرأة المسلمة على المجتمع.

٦) **الخاتمة**: أوردت فيها باختصار نتيجة البحث ، وافتراض الحل للمسألة.

٧) **ملحق**: احتوى على بعض الأحصاءات ، وبعض الشهادات المختلفة حول عمل المرأة.

٣- الصعوبات

أما المشاكل التي اعترضت سبيل البحث فهي عديدة:

- ضيق الوقت: من أهم المشاكل التي اعترضتني في البحث ، مع العلم أن نوعية هذا البحث تحتاج إلى تفرغ ، ووقت للقاءات ،والحوارات ، كل ذلك مما حال بيني وبين إعطاء البحث حقه.
- قلة المراجع التي تطرقت لهذا الموضوع ، ذلك حسب اطلاعي في المصادر ، فالمكتبة العربية شحيحة من نوعية هذه البحوث، مما جعلني أجد شيئا من الصعوبة ، وأستعين بالافتراضات ، والمجلات التي قامت ببعض الحوارات مع العاملات.
- إضافة إلى ذلك الفتور الذي يلاقيه الباحث من طرف الجهات، والتعامل البيروقراطي ، الذي يعتمد على الرسميات مما يستهلك الكثير من الوقت ، والمتابعة المستمرة ، بين الحين والحين.
- صعوبة التنقل ، المصاحب لضيق الوقت ، مما يستدعي وسيلة نقل خاصة، تحت التصرف الدائم لتسهيل الحركة والتنقل ، وإجراء الحوارات والمقابلات.

لا يسعني في الأخير سوى أن أحمد الله على كل نعمة أنعمها علي حين وفقني لإتمام الدراسة والبحث ، وأتقدم بالشكر لمعهد القضاء الشرعي ، ومدير عام

المعهد الشيخ زياد بن طالب المعولي ، وأتوجه بالشكر الخالص والخاص لوالدي محمد بن صالح ناصر الذي لم يدخر جهدا ، سواء المادي أو المعنوي ، وقد استفدت كثيراً من توجيهاته العلمية ، متمنياً له دوام الصحة والعافية في الدين والدنيا ، وأخص بالشكر الدكتور المشرف عبد الباسط عطايا الذي قبل الإشراف على البحث ، وساعدني كثيراً بتوجيهاته القيمة ، ونصائحه العلمية في مجال البحث.

أرجو من الله التوفيق للسير قدما في مجال البحث العلمي ، متمنيا الإستفادة من ملاحظات القراء الكرام ، والله من وراء القصد في البداية والنهاية.

تمهيد:

- إذا سمعنا أو قرأنا عن الرومان ، أو اليونان ، أو بابل ، أو مصر الفرعونية، إلى غيرها من الأسماء ، فإن الذهن سينصرف تلقائيا إلى زمن غابر مضى ، إلى فجر قد بزغ ، إلى أمم حاكت نجوم السماء برقيها وحضارتها ، وعلمها الذي وصلت إليه ، وإنجازات انفردت بها ؛ فبقيت الإنجازات شاهدا عليها مدى الزمان.

فمثال ذلك ما هو محسوس وملموس ، فمن الملموس :الآثار من أعمدة وتماثيل ، وبنايات شامخة صمدت حقباً من الزمن ؛ من أهرام ، ومعابد ومجسمات.

ومن المحسوس: الموروثات العلمية التي استنشقتها الحضارات التي جاءت بعدها وجعلتها لبنة لبناءاتها ؛ من أدب وفلسفة وطب وكيمياء وفيزياء ورياضيات وفلك إلى غيرها من العلوم.

إنه نتاج حضارات صمدت زمناً من التاريخ ، ولكنها تلاشت واندثرت بعد ذلك ، وخلفت الأطلال والتراث ورائها.

ترى لم لم تواصل مسيرها وتصمد أمام الزمن؟ .. إنها سنة الحياة ، فالحضارات مثلها كمثل الإنسان ، تتعاقب عليها تلك المراحل التي يمر بها الإنسان ؛ فمن الطفولة إلى الشباب ثم إلى الكهولة بعدها تخر على الأرض فيتصاعد منها التراب ؛ لأنها نتاج فكري بشري محدود ، محدود بزمن ومكان وتفكير ومنطلق ومبادئ معينة، محدود كمحدودية واضعها تماما . فمهما ارتقى فإنه لن يصل إلى صفة الكمال مطلقاً ، ... الكمال لله وحده. ربما يتسائل المتسائل حاجا أو مستفسرا : إذا لم لم تستمر حضارة المسلمين ، وهي من عند الله؟.

لأن المسلم – وبكل بساطة – تخلى عن دينه ومقوماته التي تكفل له هذه الاستمرارية ، فذهب باحثا عن بديل أدنى ليستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فانشغلوا بأنفسهم وتفرقت أيديهم وأصبحوا شيعا ، وانصرفوا إلى الملذات واتبعوا الشهوات وفعلوا المنكرات ، ثم صار ما صار ولكن لنعود على هذه الحضارات ونتسائل قائلين:

من خلال رقيها وحضارتها ، هل استطاعت أن تسمو إلى علياء الإسلام وشموخه؟.

المجال لا يسمح بالمقارنة الكلية من جميع النواحي ، ولكن نختار جزئية ، وهي المتعلقة ببحثنا: المرأة.

فنقول:

هل كفلت هذه الحضارات للمرأة ما كفله الإسلام لها من مكانة وقيمة ، وتكريم ، وتشريف ،ورعاية وعناية ، وحقوق ومستحقات؟.

هذا ما سنعرفه من خلال مقارنتنا هذه بين الحضارات والأمم السابقة من كفة ، والإسلام من الكفة المقابلة ، ولنرى لمن ستترجح لصالحه الكفة في النهاية.

المرأة قبل الإسلام وبعده

لقد مرت المرأة على مر العصور بمراحل تذبذبت فيها حقوقها بين إفراط وتفريط ؛ حيث نجد في بعض الحضارات أو بعض الأقاليم أن المرأة استحقت حقها وزيادة كما حدث في "أسبار طة"*

* اسبار طه : هي مملكة من الإمبراطورية الرومانية في القرن الثاني والثالث قبل الميلاد ، قصة الحضارة ول ديورانت : ت: محمد بدران، (ط٣ ، مطابع الرجوي ، القاهرة : ١٩٧٣م) ج٦ ، ص١٤٢.

(١) وفي مصر الفرعونية القديمة (٢) ، في فترة من فتراتها.

ولكن ما طغى وتفشى هو عكس ذلك فتلك حالات ممكن اعتبارها شاذة ، وكذلك انحصرت في زمن لم يدم طويلا ، سرعان ما انقلبت الأمور عليها.

"وكل ذلك التخبط في النظر إلى المرأة ومعاملتها ، والأرجحة العنيفة بين الغلو والتفريط والتقلب من طرف إلى طرف ، والشد والجذب الذي لا يستقر على طريق وسط ، لا يتسق مع فطرة ، ولا خلق (٣) مرده الأول والأخير إلى الجهل بما هية الإنسان بنفسه ، وبأفراده المنتمين إليه ، وبخاصة الجهل بالمرأة في تكوينها الجسدي والنفسي والفطري ، فمن هذا الفهم تتأصل نوعية العلاقة التي بين الرجل والمرأة في حين نجد أن هذه "العلاقة" لمن أعقد مسائل التمدن البشري ، وأعظمها خطورة وإعضالا ، ومعها مسألة تتعلق بما بين الفرد والجماعة من العلاقة.

وعلى هاتين المسألتين وحلها المستقيم المتزن بتوقف رقي الإنسانية وسعادتها ، وقد حارت عقول العلماء والمفكرين طول التاريخ في وضع حل وسط ، لا إفرط ولا تفريط.(٤)

وما يؤكد هذا الاستنتاج ما يقر به أحد أباطرة العلم الحديث المتخصص في علم الطب ، نظريا وتجريبيا العلم الفرنسي ألكسيس كاريل ، حيث يقول "وفي الحق لقد بذل الجنس البشري مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه ، ولكنه بالرغم من أننا نملك كنزا من الملاحظات التي كدسها العلماء ، والفلاسفة ، والشعراء ، وكبار العلماء الروحانيين في جميع الأزمان ، فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من

(١) ينظر : مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ،(ط٦ ، المكتب الإسلامي ، بيروت لبنان :١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص١٤/عباس محمود العقاد ، المرأة ف القرآن (دار نهضة مصر ، القاهرة مصر) ص٥١.

(٢) ينظر:عباس محمود العقاد (مرجع سابق) ص٥٢ عمر رضا كحالة ، المرأة في العهد القديم والحديث ط١، الرسالة بيروت لبنان :١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ج١ ص:١١٢-١١٣

(٣) ينظر: السيد قطب ، الإنسان ومشكلات الحضارة.

(٤) أبو الأعلى المودودي ، الحجاب ،( ) ص٨ (دار الأنصار ، القاهرة : ١٩٧٧م)

أنفسنا ، إننا لا نفهم الإنسان ككل ... وواقع الأمر أن جهلنا مطبق ، فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب ؛ لأن هناك مناطق غير محدودة من دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة. فنحن لا نعرف حتى الآن الإجابة على أسئلة كثيرة مثل: ما طبيعة تكويننا النفساني والفزيولوجي(١) ؟ وبعد أسئلة كثيرة طرحها قال"وهناك أسئلة أخرى لا عداد لها .. فمن الواضح أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان ، غير كاف ، وأن معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية في الغالب".(٢)

إذا من خلال ما سبق يتضح لنا أن الخلاص الوحيد لهذه القضية هو في تشريع يأتي من غير الإنسان من وجهة أسمى من الإنسان ، وأعلم منه وأدرى به ، وهو الله تعالى فهو خالق البشر جميعا ويعلم ما توسوس به النفس وما تجهر به . وبسبب ما مضى ، وتحكيم الإنسان لعقله مجردا ، جاءت النتائج التي سنراها.

لقد حصرت المعاناة والمكابدات والمآسي التي أحاطت المرأة في الحضارات القديمة في نقاط ثلاث مقارنا في نفس الوقت ما حظيت به المسلمة من معاملة ، سنعلم عندها ماهيتها.

أولاً: المرأة هي سر كل خطيئة

لماذا؟ .. لأنها تحملت الخطيئة الأولى منذ خلق الخلق ، الخطيئة التي ألصقت بأمنا حواء ، وقالوا أنها هي أغوت أبانا آدم (عليه السلام) حتى أكل من الشجرة ، جاء في التوارة" .. فقالت الحية : لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر .. فأخذت ثمرها وأكلت وأعطت رجلها

(١) الفزيولوجي: هو ما يتعلق بالأعضاء ووظائفها وبنائها ، وانتظامها ، علمه يسمى : الفزيولوجيا.

(٢) ألكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، تعريب :شفيق أسعد فريد ،(مكتبة المعارف ، بيروت ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)ص١٥-١٩

معها أيضا فأكل .. قال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذي فعلت ، فقالت المرأة : الحية أغوتني فأكلت ، فقال الرب للحية : لأنك فعلت هذا ملعونة أنت .. وقال للمرأة - : تكثيراً أكثر أتعابك حبلك، بالوجع تلدين أولادا ، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك" سفر التكوين ٣/١١ وما بعدها.(١)

"وتقول التوارة : من المرأة ابتدأت الخطيئة ، وبسببها نموت جميعاً) بوشع : ٢٥/١".(٢)

لما كان المسيحيون يؤمنون بالتوارة الحالية ككتاب مقدس عندهم فإنهم يعتبرون أن الجنس البشري كله تعرض للهلاك الأبدي ؛ بسبب عصيان المرأة وإغوائها لزوجها آدم عليه السلام، ولولا أن تفضل الله على الناس بنعمة الفداء التي تمثلت حسبت عقيدتهم في صلب المسيح الذي هو الله نفسه حل في الجسد الآدمي "(٣) في حين نجد أسطورة يونانية تكاد تطابق قصة الشجرة السابقة ، ولولا ضيق المقام لذكرتها.(٤)

وكيف كان موقف الإسلام حينما بزغ نور، وطلع فجر من خلف تلك الصحارى القاحلة ، من واد غير ذي زرع عندما جاء به خير الورى ، ونور الهدى محمد ﷺ؟.

ستجيبنا عنه الآيات الكريمة ، قال تعالى : (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه).(٥)

(١) محمود عبد الحميد ، حقوق المرأة بين الإسلام والديانات الأخرى (ط١ ، مكتبة مدبولي القاهرة ، مصر ١٤١١هـ-١٩٩٠م) ص٢٧-٢٨ ينظر : عباس محمود العقاد، (مرجع سابق) ص ٢١

(٢) محمود عبد الحميد (مرجع سابق) ص٢٩

(٣) المرجع السابق ص٣٥

(٤) ينظر المرجع السابق ص١٩-٢٠

(٥) سورة البقرة ، الآية ٣٦

فلم يجعل الله تعالى الإغواء من حواء وإنما هو من وسوسة الشيطان الملعون ، ولم يجعل العقوبة ناشئة منها إنما منهما معا حينما أخرجهما من الجنة ، ويقول سبحانه وتعالى عن توبتهما: (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين).(١)

بل إن القرآن قد نسب الذنب في بعض الآيات لآدم عليه السلام وحده فقال: (وعصى آدم ربه فغوى).(٢)

ثم قرر مبدأ آخر يعفي المرأة مسؤولية آمنا حواء وهو يشمل الرجل والمرأة على السواء ؛ قوله تعالى: (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون)(٣) ، وقال أيضا: (ولا تزر وازرة وزر أخرى).(٤)

ثانياً: المرأة رجس من عمل الشيطان

فعلى المسألة الأولى السابقة ترتبت هذه المسألة الثانية ، فكان الابتعاد عنها حسنة، واجتنابا للشيطان ، وسلامة للنفس ، وطلبا للسعادة لمن أراد رضا الله.

"ومن بقايا هذه الغاشية في القرون الوسطى إنها شغلت بعض اللاهوتيين إلى القرن الخامس للميلاد ، فبحثوا بحثا جديا في حبلة المرأة ، تساءلوا في مجمع(ماكون)(٥) عن أمور منها:

هل المرأة جثمان بحت؟ .. أم هي جسد ذو روح ، يناط بها الخلاص والهلاك؟

(١) سورة الأعراف الآية ٢٢

(٢) سورة طه الآية ١٢١

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٤

(٤) سورة الأنعام الآية ١٦٤

(٥) اجتماع أقيم في فرنسا لدراسة ماهية المرأة ، وكان ذلك في القرن الخامس الميلادي.

وغلب على آرائهم أنها خلو من الروح الناجية ، ولا استثناء لإحدى بنات حواء من هذه الوصمة سوى السيدة مريم العذراء أم المسيح عليه الرضوان"(١) .

وترتب على ذلك أن حُرم عليها الكلام والضحك ، حتى أن بعضهم كان يضع القفل في فمها يسمونه (الموسلير) ، وحرموا عليها أكل اللحم أيضاً"(٢) . مهما قسا الإنسان فإنه لا يصل إلى هذه الدرجة إلا إذا كان يرى الذي يتعامل معه في أحط منزلة ، وأقل درجة ، ولكنه وارد في عالم الإنسانية فالمولى الكريم يقول: (وكان الإنسان ظلوما جهولا)(٣).

لم يدم طويلا حتى عقد مؤتمر آخر بعد مضي قرن من الزمان. وقد كان جدول أعماله البحث عما إذا كانت المرأة إنسانا من عدمه ، فخرجوا بنتيجة على أنها إنسان، وأنها قد خلقت لمصلحة الرجل ؛ وعليه كان يجب أن تخدمه"(٤).

ذلك بعض ما كانت تعانية المرأة عند تلك المرأة عند تلك الأمم بمختلف دياناتها، فكيف كانت وضعيتها في جزيرة العرب؟

بعد أن كانت الجزيرة العربية سابحة في متاهات الجهل والضلالة بعث المولى عزوجل نبينا محمد ﷺ ليخرج الناس من جور النحل والمذاهب البشرية إلى عبادة الرحمن ، فبهر الخلق بنوره ، وكتابه الذي أعجز الناس جميعا ، جاء ليعيد الموازين إلى نصابها ، ويرد لكل حقه ، وبين ما جاء به ، تخليص الأنثى من الجور الذي كانت تعيش فيه ، وهي مغلوبة على أمرها ، جاء ليقرر أمورا احتار فيها العلماء ، ناقضا بذلك كل ما جاءت به تلك المؤتمرات والتصورات الخاطئة والجائرة حول المرأة.

(١) عباس محمود العقاد (مرجع سابق) ص٥٢

(٢) محمود عبد الحميد (مرجع سابق) ص١٩-٢٠

(٣) سورة إبراهيم الآية ٣٤

(٤) سعيد بن عبد الله الحائمي ، المرأة في الإسلام وقبله ، (مطبعة ندوة العلماء ، لكهنؤ ، الهند) ص٤٢

أول ما قرره الإسلام هو إنسانية المرأة، قال تعالى(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة)(١) ،أثبت المولى جل وعلا أهم المسائل التي بسببها وقع الجور عليها ،وأكد أن المرأة كالرجل سواء بسواء في الإنسانية ، كلاهما من نفس واحدة" وصح مكان المرأة في الحياة الجسدية كما صح مكانها في الحياة الروحية ، بما فرضه القرآن الكريم على الإنسان من رعاية جسده ، والمتعة الطبيعية بخيرات أرضه، ورغبات نفسه ،فبرئت المرأة من لعنة الجسد ، وارتفعت عن الوصمة التي علقت بها.(٢) ، والآيات كثيرة مما تؤكد ذلك.

من النقطتين السالفتين ، أو المسألتين ترتبت عليها كل التعاملات التي منيت بها المرأة ، التي يرق لها القلب الصلد من قسوة وخشونة ، وجور ، من تحقير وإذلال ، ومكر وضرب ، وقتل بغير حق ، واستعباد ، وإستغلال جائر ، وكان العنصر الثالث حاوياً لهذه النتائج.

ثالثاً: نتائج الاعتقادات السابقة

من نتائج ما سبق أنها وصفت (المرأة) بأشنع الصفات ، لم يترك وصف قبيح إلا ووصفت به ؛ اعتبرها اليهود والنصارى والرومان أنها أحبولة الشيطان بل هي الشيطان، جمالها سلاح إبليس للفتنة ، والإغواء ،فهي باب للشيطان ومدخله للنفس ، أداة للغواية والمتعة واللذة فحسب.

قال القسيس (توتوليان) : إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ،ناقضة لنواميس الله ، المشوهة لصورة الله أي الرجل".(٣)

(١) سورة النساء الآية ١

(٢) عباس محمود العقاد (مرجع سابق) ص٥٥

(٣) تنظر : مصطفى السباعي ،(مرجع سابق) ص١٩-٢٠

"أما عند الهنود فقد جاء في عقائدهم ما يلي: المرأة أشد فتكاً من الموت، والأويئة ، والسموم الناقعات ، والعقارب ، والأفاعي القاتلة ، والنيران المحرقة".(١)

عند الفرس هي سبب هيجان الشر ، وسبب الغذاب "(٢).

لهذه المنزلة وهذه الصفات التي يأباها صاحب العقل السوي عوملت بأقسى التعاملات ، ومورست عليها أشد ألوان العذاب ، والظلم والهوان ، إذ كان للزوج بيعها أو التصرف فيها كالمال والمتاع ، وله أن يهديها لمن يشاء ، حتى عدت جزءا من التركة ، "كان الرجل منهم يحمل ابنته إلى الشارع أو إلى قمة الجبل ، فيتركها هناك حيث تموت شر ميتة ، ولا تحرك أمراته ساكنا للدفاع عنها ؛ لأنها لا حول لها ولا قوة".(٣)

وكما هو معلوم إنه كان من عادة كثير من العرب التفنن في وأد بناتهم ؛كان بعضهم يدفنها بعد مولدها مباشرة بمجرد العلم أنها أنثى ، فيحفر حفرة حتى إذا خرجت أرغمها التراب ، ومنهم من يرحمها مدة من الزمن حتى إذا كبرت ، وبلغت بضع سنين طيبها وزينها وذهب بها إلى الفلاة حيث يدفنها هناك ن إلى غيرها من التعاملات التي يضيق لها المقام ، ونجد ذلك جلياً في قول الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول: "والله كنا لا نعد النساء شيئا"(٤) فشيئا تحمل في طياتها كثيرا من المعاني ، التي تدل على ما قلناه.

عند الهنود أيضا كانت لا تستحق الحياة بعد موت زوجها ، فتحرق معه ، ويرى بعضهم أنها لا تستحق الحرق بالنار المقدسة ، وقدمت قربانا للآلهة ،

(١) محمود عبد الحميد (من مرجع سابق) ص١٦ ــ ينظر :مصطفى السباعي (مرجع سابق) ص١٨

(٢) أبو المبشر الحسيني ، الإسلام الدين الفطري الأبدي (ط٢ دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان :١٤٠٥هـ-١٩٨٤م ص١١٠

(٣) عمر رضا كحالة ، المرأة في التقدم والحديث ، ط١مؤسسة الرسالة بيروت لبنان : ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ج١ ص٢٧

(٤) المرجع السابق ص١١٣

وللمتعة في المعابد، فكانت مصدر إشباع وإرواء للغريزة الجنسية ، واعتبر زوجها هو إلهها الأصغر، فحرمت الأكل معه ، والمشي بجواره وكانت تدعو نفسها (داسي) ، أي أمة لزوجها".(١)

كل هذا الذي مر بنا لم يدم طويلا ، كان يجب على البشرية أن تجد بديلا أسمى من التشريع البشري بديلا سماويا ربانيا ، مبرأ من النقصان.

كان هذا البديل هو الإسلام الحنيف فبعد أن أثبت لها إنسانيتها ، جعلها تستحق الثواب والعقاب كالرجل تماما دون تفريق بينهما ، ومكنها من أن تكون أحد إلى الله من الرجل إن إتقت ،وأصلحت ، وأخلصت إلى ربها ، بعد أن كانت رجسا من عمل الشيطان ، وسبب شقاء الناس ، وذريعة لدخولهم النار ، أصبحت سببا في الدخول إلى الجنة ، قال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)(٢) ؛ وجعل الله الإحسان إلى الوالدين دون تمييز بين الأب والأم مقروناً بعبادته عزوجل ، وعبادة المولى والامتثال لما أمر به يدخل صاحبه الجنة بإذن الله ، وما قاله رسول الله ﷺ: (الجنة تحت أقدام الأمهات)(٣) ، جعل الأم وطاعتها سبيلا إلى الجنة التي وعدها المتقين من عباده ، وفي أكثر من موضع في القرآن لا يفرق فيه بين ذكر وأنثى ، كلما أشار إلى الذكر أعقبه بالأنثى مباشرة مثاله يقول عزوجل ، في هذه الآية الكريمة: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين

(١) أسعد السحمراني ، المرأة في التاريخ والشريعة ، ط١ دار النفائس ، بيروت لبنان ١٤١٠هـ ١٩٨٩م ص٢٠-٢١ عن ول ديورانت ، تاريخ الحضارة ، ج٢ م١ ص٣٢

(٢) سورة الإسراء الآية ١٧

(٣) رواه النسائي في باب الجهاد

والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما)(١) .

وهكذا يتبين لنا البون الشاسع ، بين ما هي عليه في الإسلام وبين ما كانت عليه، وما تعيشه في غير الإسلام ، فبعد أن كانت شيطاناً لا تستحق الجنة ، ولا تجد ريحها ، وتسام سوء العذاب لأنها انثى، أصبح الإحسان إليها ، ورعايتها ، سواء كانت أما أو بنتاً مهما كانت – سببا في استحقاق صاحبه الجنة.

فالإسلام حرم وأدها ، وشنع على ذلك أشد تشنيع ، وقال تعالى: (وإذا الموْءودة سئلت بأي ذنب قتلت)(٢) ،وقال أيضا في هذا السياق : (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم).(٣)

أعطاها حرية التصرف في مالها، وجعلها أهلا لذلك ، من بيع وتجارة ، وقرض ، وشراء وهبة إلى غيرها من المعاملات.

كفل لها منابع الرزق النفقة ، فإذا كانت صغيرة أيما أوجب النفقة على أبيها أو وليها، وجعل الولاية عليهم ، ولاية رعاية ، وحماية ،وتأديب ، وعناية بشؤونها وتنمية لأموالها ، لا ولاية تملك واستبداد".(٤)

ذلك قطرة من سيل ، وغيرها كثير ، ونكتفي بهذا القدر للتوضيح فقط ، إذ ليس هذا من لب موضوع البحث ، وإنما هو مدخل نبين من خلاله كيف كانت المرأة قبل الإسلام بشكل موجز ، ليتسنى لنا المقارنة مع وضعيتها بعد مجيء الإسلام نعمة من الله وفضلا.

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٥

(٢) سورة التكوير ، الآية ٩

(٣) سورة الأنعام الآية ١٤٠

(٤) مصطفى السباعي (مرجع سابق) ص٢٦-٢٩

طبيعة تكوين المراة ، ووظيفتها الأساسية

المبحث الأول : طبيعة تكوين المرأة

من حكم الله وآياته أن خلق الذكر والأنثى ، وجعل لكل واحد منهما خصائص ومميزات تميزه عن الآخر ، حتى يكمل أحدهما الآخر ، وتستقيم الحياة ، وتسير على صورتها الطبيعية التي خلقها الله عزوجل ، يقول تعالى: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات)(١). وما يؤكد أن الذكر ليس كالأنثى قوله تعالى: (وليس الذكر كالأنثى)(٢) وهذا إعجاز أطلعنا عليه القرآن منذ قرون خلت . ويعضد هذا الإعجاز القرآني الطب الحديث الذي يؤكد ذلك الاختلاف في أشياء لا يعلمها البسيط من الناس إلا إذا اطلع على كتب الطب وما شابهها . يقول العالم الفرنسي (ألكسيس كاريل): "إن الاختلافات بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ، ومن وجود الرحم والحمل ، أو من طريقة التعليم .إذ إنها طبيعة أكثر أهمية من ذلك.."(٣)

إن أول نقطة علينا معرفتها في البحث هو هذا المبحث ؛ لأن الجهل بهذه الحقائق الجوهرية عن الأنوثة هو من أقوى الأسباب المؤدية إلى ما كات عليه الحضارات السابقة من التخبط ، والإفراط والتفريط ، والزيغ عن الصواب ، ومما أدى "إلى الإعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا ، وأن يمنحا قوى واحدة ومسؤوليات متشابهة..(٤) وهذا كله مناقض للفطرة" وتكون نتيجة مصادمة الفطرة

(١) سورة النحل الآية ٧٢

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٦

(٣) ألكسيس كاريل ، (مرجع سابق) ص١٠٨

(٤) المرجع السابق ص١٠٩

وتجاهل التكوين النفسي والجسدي للمرأة وبالا على المرأة وعلى المجتمع وسنة الله ماضية (فلن تجد لسنة الله تبديلا لن تجد لسنة الله تحويلا).(١) .

"أثبتت الدراسات الطبية المتعددة أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله على هيئة تخالف تكوين الرجل ، وقد بني جسم المرأة ليتلاءم مع وظيفة الأمومة ملاءمة كاملة.."(٢)

قال تعالى: (من كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)(٣)

حكمة الله الذي أوجد الذكر والأنثى ، الموجب والسالب من كل شيء ، خلق الذكر ليكون مكملا للأنثى وخلق الأنثى لتكون مكملة للذكر ، ثم جعلهما مختلفين لينجذب كلاهما نحو الثاني ، ويجد كل منهما في الثاني ما يطمئن قلبه ويهدِئ سريرته. فالعلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة تكامل لا علاقة تفاضل كما يعتقد الكثيرون من الذي يدعون إلى المساواة.

إن الفروق التي بين الذكر والأنثى من حيث التقسيم هي نوعان:

- فروق جسدية تكوينية.
- فروق نفسية.

أولاً: الفروق الجسدية التكوينية

وهي في نظر الطب تنقسم إلى قسمين:

- تشريحي.
- جسدي

(١) سورة فاطر الآية ٤٣

(٢) محمد علي البار ، عمل المرأة في الميزان ، ط١ ، دار المسلم ، الرياض السعودية: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ص٧٥

(٣) المرجع السابق ص٨٨

١) الفروق التشريحية

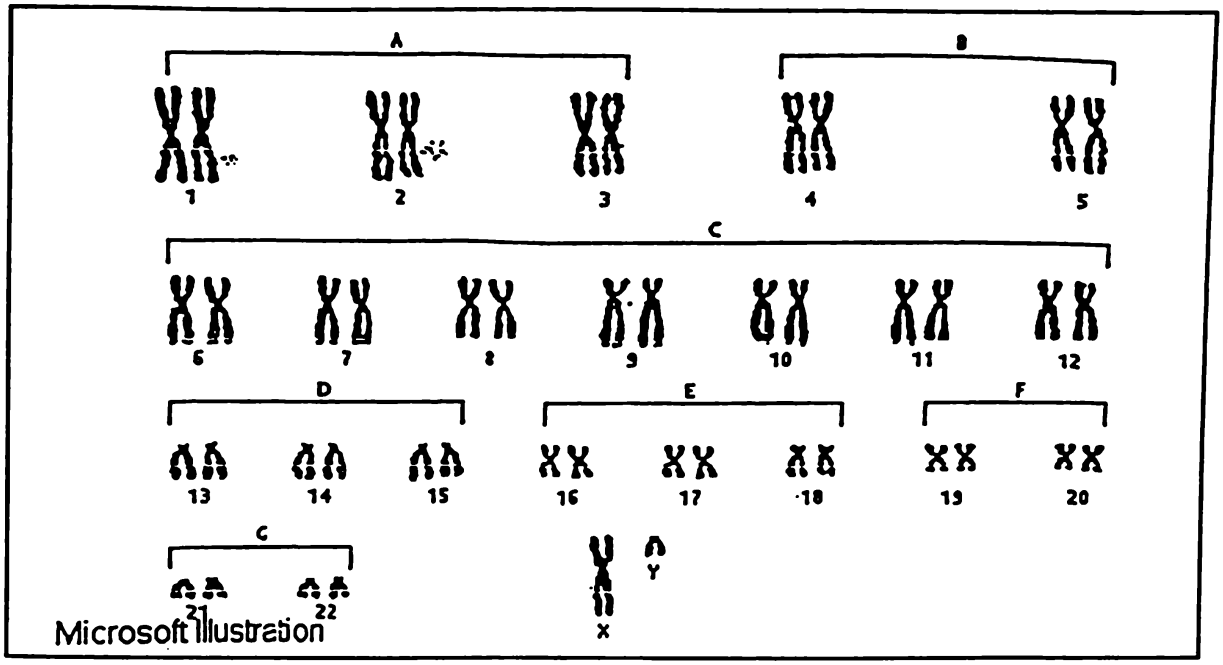

"نجد الاختلاف من أصغر وأبسط جزء في جسم الإنسان وهو الصبغيات أو الكروموزومات ، وهذه الأخيرة تحمل خصائص البشرية ، وخصائص الوراثة"(١). (كما هو مبين في الشكل).

وهذه الجسيمات الملونة موجودة في كل خلية وتقاس بـ(الأنجستروم) (واحد على بليون من الملمتر) في ثخانتها ، وهي موجودة على هيئة أزواج منها زوج واحد مسؤول عن الذكورة والأنوثة"(٢)

ففي خلية الذكر نجد هذا الزوج على هيئة (xy) في حين نجده في خلية المرأة على هيئة (xx)(٣) وكلما زدنا ارتفاعا نجد الفروق أوضح"ففي معين هذه الجسيمات

(١) محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ط١٠ ،الدار السعودية ، جدة السعودية :١٤١٥هـ-١٩٩٥م ،ص١٢٣-١٢٤

(٢) تحتوي كل خلية من جسم الإنسان على ٤٦ صبغياً ،أي ٢٣صبغيا تكون متشابهة ما عدا زوج واحد في خلية الذكر وهو الزوج الجنسي ، وهو موجود على شكل كروموزومين أحدهما كبير(X) والآخر قصير(Y) د:صالح عبد العزيز كريم ، الهندسة الوراثية وتكوين الأمة (ط١، دار المجتمع جدة السعودية ١٤١٥هـ -١٩٩٤م ص٩

(٣) علم المرأة في الميزان (مرجع سابق) ص٧٦

(الكروموزومات) وهي الخلايا نجدها تختلف من ذكر وأنثى ولو دققنا النظر في المجهر لهالنا ما نجده من الفروق الواضحة بين خليلة الرجل وخلية المرأة.

ستون مليون مليون خلية في جسم الإنسان ، ومع هذا فإن نظرة فاحصة في المجهر تنبئك الخبر اليقين ، هذه خلية رجل وهذه خلية أمرأة ، كل خلية فيها موسوعة بميسم الذكورة أو مطبوعة بطابع الأنوثة. ولو انطلقنا قدما إلى خلية الدم لوجدنا الفروق واضحة بين خلية الدم البيضاء للرجل وأخرى للمرأة كما نرى الفرق جليا بين خلية من فم امرأة وخلية من فم رجل" فسبحان الله العظيم (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)(١) ، ونجد صفة الذكورة موجودة في هذا الصبغ وهو النشاط والقوة أيضا ؛ "إن الجسيم الملون (الصبغ) للذكورة يختلف في شكلة المميز عن صبغ الأنوثة ، بل ولا يقتصر الاختلاف على الشكل والمظهر إنما يتعداه إلى الحقيقة ووالمخبر؛ فصبغ الذكورة أكثر نشاطا وأقوى شكيمة ، وأكثر إقداما من شقيقتها الأنثى (٢) ، مما يتحقق معه قوله تعالى :(الرجال قوامون على النساء)(٣) في أصغر جزئية ذكرية في جسم الإنسان.

وإذا أرتقينا في سلم الفروق وارتفعنا أكثر إلى مستوى الخلايا التناسلية وجدنا الفرق شاسعا ، والبون هائلا بين الحيوانات المنوية (نطفة الرجل) ، والبويضة (نطفة المرأة).

إن الخصية تفرز مئات الملايين من الحيوانات المنوية في كل دفقة مني ، في حين يفرز المبيض البويضات مرة واحدة في الشهر . ونظرة فاحصة لخصائص الحيوان المنوي الذي يقاس بالميكرون (واحد إلى المليون من المليمتر) من الناحية الشكلية

(١) سورة الذاريات الأية ٢٢

(٢) المرجع السابق ، بتصرف ، ص٧٨

(٣) سورة النساء الآية ٣٤

التصويرية تجعلنا نوقن بأنه يجسد خصائص الرجولة ، فيما نرى أن البويضة هي أيضا تحمل خصائص العذارى الأنثوية ؛ فالحيوان المنوي له رأس مدبب وعليه قلنسوة مصفحة ، وله ذيل طويل ، وهو سريع الحركة قوي الشيمة ، لا يقر له قرار حتى يصل إلى هدفة أو يموت. بينما البويضة كبيرة الحجم (١/٥) مليمتر ، تعتبر أكبر خلية في الجسم البشري الذي يحتوي على ستين مليون مليون خلية ، وهي هادئة ساكنة تسير بدلال وتتهادى باختيال وكأنها عروس في ليلة زفافها ، وعليها تاج مشع يدعو الراغبين إليها وهي في مكانها لا تبرحه ، ولا تفارقه ، فإن أتاها الزوج (النطفة) كان الحمل ، وإلا ماتت مكانها ثم مجها الرحم مع الطمث (دم الحيض)(١) . (ينظر الشكل)

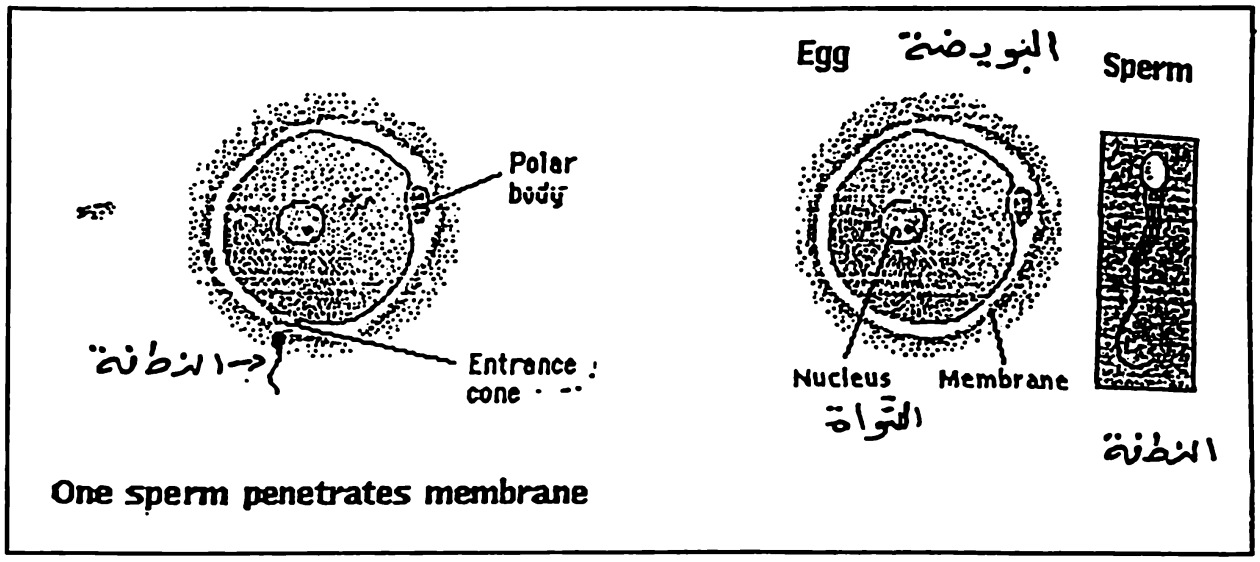

أما الحيوان المنوي للذكر نجده يرسم لنا صفات الرجولة حتى في تصرفاته ، وحركاته ، فإذا سكن أوحى لنا بشكله الذكوري ، وإذا تحرك أكد لنا ذلك بكل صدق ودون تلكف فها هي "مئات الملايين من الحيوانات المنوية تمخر عباب بحر المني المتلاطم وهي تضرب بأذيالها لتجري في طريقها الشاق الطويل الوعر المحفوف

(١) عمل المرأة في الميزان (مرجع سابق) ص٧٨-٧٩/ ينظر : خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص١٦٥ ، ماكسين دينز ، دليل المرأة إلى الصحة ، محمد نظيف (دار القلم القاهرة ، مصر ١٩٦٦م) ص٨٤-٨٥.

بالمفاوز والمخاطر حتى تصل إلى البويضة ، وفي أثناء هذه الرحلة الشاقة الهادرة يموت منها الملايين ولا يصل إلى البويضة إلا بضع مئات (١) وفي نهاية المطاف لا يلج البويضة سوى نطفة واحدة يكون لها قصب السبق ، وفي حالات نادرة يلج نطفتان في بويضة.

٣- الفروق الجسدية:

ذلك مما لا يرى بالعين المجردة ، أما ما يرى بالعين فهو أيضا يختلف اختلافا بينا "إذا نظرانا إلى التركيب الجسماني التشريحي للمرأة وجدنا مغايرا تماما لتركيب الرجل، وأقل صلابة منه ،ويتسرب هذا النقص الذي ثبت تشريحيا إلى جميع الأجهزة والأنسجة ، وجميع الوظائف ، وقد سلم الباحثون المحدثون للمرأة ..أنهم متفقون جميعا على أن المرأة أنقص تكوينا من الرجل ، وأقل جلدا وأضعف مقاومة ، هذه هي الصفة العامة التي تنطبق على كل أجهزتها وأعضائها"(٢)

فإذا بدأنا بأهم ركيزة في جسم الإنسان وهو الهيكل العظمي ، نجده في المرأة في مجموعه أصغر وأرق من هيكل الرجل ، وعظامه أقل سماكة ووزنا من عظام الرجل ، وذلك لعوامل عدة أهمها أنه طابع أو ميزة أرادها الله للأنثى ، إذ يؤكد ذلك ما قاله المصطفى ﷺ لأنجشه : (يا أنجشة رفقا بالقوارير)(٣) شبههن النبي ﷺ بالقوارير لأنهن كالقوارير هشاشة ، وضعفا وتكوينا ، إنه لوصف رائع ، فرغم أنهن كن يقمن بأعمال شاقة وصعبة ويمشين المسافات الطوال مع ذلك فهن ضعيفات لا يتحملن أدنى مكروه ، فلو أخذنا منطقة من الهيكل العظمي ،

(١) عمل المرأة في الميزان ، (مرجع سابق) ص٧٩

(٢) عمر رضا كحالة، الزواج (ط٦، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ج٢ ص٩٨ بتصرف.

(٣) رواه أحمد

كالحوض مثلاً لوجدناه مختلفا من حيث التكوين والشكل عن حوض الرجل اختلافا جوهريا ، فهو عند المرأة يتخذ شكلا دائرياً مميزا عن الرجل، " إذ يمتاز حوض المرأة عن حوض الرجل بالنسبة لقيامه بوظيفة هامة إضافية تتطلب منه بعض الضروريات اللازمة التي لا يحتاج إليها حوض الرجل .. فنمو الجنين في الحوض وطرق تغذيته وحفظه ثم مروره بتجويف الحوض ، ومن ثم مخرجه وقت الولادة كله يستلزم بعض التغيرات والتعديلات التي يسهل معها إتمام الولادة بالنسبة للأم والطفل"(١)

"إن رقة العظام ونعومتها وبساطة تضاريسها وصغر شوكتها ، وقلة غور حفرها ظاهرة جلية في أكثر عظام هيكل المرأة ، غير أن الفروق تتجلى أوضح في عظام الحوض للأنثى التي بلا نزاع ، تتشارك صفات عظام الهيكل الأخرى بقسط وافر في بصفاته المميزة للأنوثة ، زيادة على تكييفها النوعي الخاص بما يناسب ما يتطلب منها القيام بعمل تنفرد به دون غيرها من عظام الهيكل"(٢) حتى إن "العمود الفقري أقل طولا عن الرجل وفقراته قليلة الوزن ، والقسم القطني منه (الخاصرة) أطول من مثله عند الرجل وأكثر انحناء ، وهذا ما يجعل خصر المرأة نحيلا متقوسا ، وأما الرجل فمستقيم القامة(وذلك لحكمة بالغة) ؛ لأنه لما كان الحمل في طبيعته يزيد في ثقل الجزء المتقدم من البطن ، كان من اللازم زيادة فعل عضلات الظهر الباسطة لمقاومة هذا الجذب لاعتدال قامة المرأة".(٣)

هذا بالنسبة للعظام ، أما العضلات فنجدها على العموم أضعف في المرأة منه في الرجل ؛ لأنها تحتوي على مادة سائلة مائية ، وكثرة الدهون في جسمها كالصدر

(١) د: شفيق عبد الملك ، تشريح الحوض للذكر والأنثى (ط٣ للطبعة التجارية ، مصر ١٣٩١هـ-١٩٧١م ص٢٣-٢٦

(٢) المرجع السابق

(٣) عمر رضا كحالة (مرجع سابق) ص١٢٢

والعجز والفخذ تفوق نسبتها عند الرجل ، وهذا ما يجعلها أضعف من الرجل وأشد تأثرا ، وأكثر إحساسا ،وأنعم وألين وألطف"(١)

إن الفروق الفزيولوجية(الوظيفية) ، والتشريحية بين الذكر والأنثى أكثر من أن تحصى ؛ إذ تبتدئ من أصغر عضو فيها وهي الصبغيات (الكروموزومات) .. ثم تزيد الفروق على مستوى النطفة الذكرية والأنثوية، ثم ترتفع الفروق من العظام إلى العظلات كما مر .. وتتجلى بوضوح هذه الفروق في الأجهزة التناسلية بين الجنسين منذ الولادة ، ثم تزيد وضوحا بمجرد وصول سن البلوغ ؛ حيث يتغير شكلهما تماما ، فتأذخ الفتاة الشكل الدائري، الذي يميزها عن الذكر، .. ولا تقتصر على ذلك إذ تشمل جميع أجهزة الجسم وتتباين في أجهزة عن أخرى من ناحية الدقة والجلاء ، فمثاله جهاز الغدد الصماء ، تظهر فيه الفروق كأوضح ما يكون ؛ فهرمونات الذكورة تختلف عن هرمونات الأنوثة في تأثيرها اختلافا كبيرا رغم أن الفرق الكيماوي بسيط.(٢)

إذا عدنا إلى الفروق الجوهرية نجد أن الأنثى لها جهاز تناسلي خاص ،متكون من مبيض ورحم .. على عكس الرجل تماما ، فله جهازه الخاص به أيضا. والفروق أكثر من أن تحصى فهي كثيرة ومتشعبة ، ودقيقة ، وما ذكرناه منها يزيدنا يقينا بأنه ليس الذكر كالأنثى كما قال المولى عزوجل ، وتلك فطرة الله التي خلق الناس عليها.

إن هذا الإختلاف وتلك المفارقات ، في هذا الهيكل العظمي والعضوي لم يكن صدفة كما يقولون ، ولم يخلق عبثا (أم حسبتم أنا خلقناكم عبثا) . إذ ليس في جسم الإنسان ولا في الكون شيء إلا وله حكمة سواء علمناه أو جهلناه، وما أكثر ما

(١)(المرجع السابق) ص١٢٠-١٢٢

(٢) ينظر : عمل المرأة في الميزان (مرجع سابق) ص ٨٩-٩١ .

نجهل ، وأقل ما نعلم (١) . هذا بالنسبة للمفارقات العضوية والتكوينية ، بعدها تأتي جزئية المفارقات النفسية.

ثانياً: الفروق النفسية

يمكن لنا أن نستشف الفروق النفسية من أصل الإنسان وهما النطفتان ؛ نطفة الرجل، وبويضة المرأة ، وكما مر فإن "العلم يعلمنا أن بذرة الرجل هي العنصر النشط المتحرك ، ويعلمنا أن بويضة المرأة هي العنصر الهادئ المستسلم ؛ فبذرة الرجل هي التي تجري وتقفز وتسعى لدخول بويضة المرأة ، وبذلك يتم تلقيح البويضة . إذا فبذرة الرجل هي مصدر النشاط ، والقوة ، ومصدر الطمع ، ومصدر الحركة ، وبويضة المرأة هي الدعة هي الصبر ، هي الهدوء والسكون".(٢)

إذا ففي النطفة ، والبويضة تتجسد تلك الصفات التي نشاهدها على كلا الجنسين ، فالرجل يعني الشدة ، الرجولة ، القوة ، البأس ، الصلابة ، الصبر ، قوة التحمل ، المنهج العقلي ، إلى غيرها من الصفات.

أما المرأة فتعني : الهدوء والسكينة والوقار والحشمة والحياء والتأني والخوف ، والمنهج العاطفي ، فهذه صفات أصلية جارية مجرى الغالب الأعم ، فما خالف ذلك فهو خارج القاعدة ، ولربما نجد صفات مشتركة ولكن تغلب على جنس دون آخر ، مثاله : الصبر في الرجل غالب على المرأة ، الحياء موجود في الرجل ولكنه غالب على الأنثى أكثر.

ويمكن القول أن أهم اختلاف بين المرأة والرجل هو أن المرأة أشد عاطفة واستسلاما ؛ فنجها أكثر ميولا للدين ، وأكثر إحسانا ، وفعلا للخير ، وأشد عطفا

(١) ينظر : عمل المرأة في الميزان (مرجع سابق) ص٨٧

(٢) عمر رضا كحالة (مرجع سابق) ص١٢٦، عن :د:فخري ، المرأة وفلسفة التناسليات ، /ينظر :خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص١٦٥

على اليتيم أو المريض ، فهي أكثر بكاء ، وتأثراً بالمناظر البشعة الدموية والمرعبة ، والتألم بسرعة مجرد الكلام الجارح ، أو الضرب الخفيف ، وإن ميلها الشديد للأطفال بالعطف عليهم ، ومداعبتهم ، وملاطفتهم لأكبر شاهد على ذلك. أما الرجال فعلى خلاف ذلك ؛ إذ نجدهم أكثر وأشد امتلاكا لعواطفهم ؛ ففي مجال الحقوق مثلا نجدهم أقرب إلى إعمال العقل وإحقاق الحق والفصل في المنازعات التي تحتاج إلى التجرد التام من العواطف.

ولا يخفى على مسلم أن الإسلام في القرآن والسنة قد سبق العلم الحديث إلى هذه الحقائق ؛ حيث قال تعالى :(ليس الذكر كالأنثى) كما ورد سابقا ، وكذلك ما رواه عبد الله بن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الإستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار ، فقالت أمرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي اللب منكن ، قالت: يا رسول الله ، وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل : فشهادة أمرأتين تعدل شهادة رجل ؛ فهذا نقصان عقل ، وتمكث الليالي ما تصلي ، وتفطر في رمضان ، فهذا نقصان الدين)(١)

وقد أوضح السيد قطب في تفسيره الحكمة من ذلك حيث يقول: "ولكن لماذا أمرأتان؟ إن النص لا يدعنا نحدس ! ففي التشريع يكون كل النص محددا واضحا معللا: (.. أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى..)(٢) ، والضلال هنا ينشأ من أسباب كثيرة ، فقد ينشأ من قلة خبرة المرأة في التعاقد ، مما يجعلها لا تستوعب كل دقائقه ، وملابساته ، ومن ثم لا يكون من الوضوح في عقلها بحيث تؤدي عنه

(١) رواه البخاري عن ابي سعيد الخذري ، رواه أبو مسلم عن ابي هريرة ، وأبو داود عن ابن عمر.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٢

الشهادة. وقد ينشأ من طبيعة المرأة الانفعالية. فإن وظيفة الأمومة العضوية البيولوجية تستدعي مقابلا نفسيا في المرأة حتما ، تستدعي أن تكون المرأة شديدة الاستجابة الوجدانية الانفعالية لتلبية مطالب طفلها بسرعة وحيوية لا ترجع فيها إلى التفكير البطيء .. وذلك من فضل الله على المرأة وعلى الطفولة.. وهذه الطبيعة لا تتجزأ ؛ فالمرأة شخصية موحدة هذا طابعها – عندما تكون سوية- بينما الشهادة في مثل هذه المعاملات تحتاج إلى تجرد كبير من الأنفعال.."(١)

ومما سبق نخلص إلى أهم الفروق والحكمة الإلهية منها :

- **عاطفة المرأة أقوى من عاطفة الرجل.**

الحكمة :أنها متفقة مع وظيفتها الأولى في تربية الأولاد ، والحنو عليهم ، وتغذيتهم العواطف الفاضلة مع لبنها ، وما أشد تقلب عواطف الأطفال وتغير مطالبهم، وكذلك الزوج فمما يحتاجه من هذا الحنان كثير حتى تتحقق حكمة المولى في الزواج وهو السكن.

- **إرادة المرأة أضعف تماسكا من إرادة الرجل**

الحكمة: تتفق مع وظيفتها في الحياة ، فإن صلتها بزوجها صلة التابع بالمتبوع،أو المطيع مع المطاع ، وإذ لو كانت لها الإرادة الصامدة لا تتأخر أو تتغير لأدى ذلك إلى الصدام بينها وبين زوجها ،وذويها. ثم إن صلتها بأولادها صلة الحب والعطف والرفق ،والأولاد يغلب عليهم العواطف على العقل ، والإستجابة للنزوات والغرائز- وليس كلها شراً – فلو كانت أمهم صاحبة الإرادة الصامدة الصارمة والرأي الذي لا يتغير ، والحزم الذي لا يأذن

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن (ط١٢ دار الشروق ، القاهرة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م) م١ ج٣ ص٣٣٠

بغير التعقل لربما أدى إلى الصدام والنفور ، أو حرمان الأولاد من رابطة العاطفة الحية والمحبة التي تفوق كل شيء سواها.

- **شجاعة المرأة أدنى من شجاعة الرجل**

الحكمة: تتفق مع وظيفتها أيضا ؛ فهي بنت الرجل وزوجته، وأمه وهذه الوظائف كلها تحدد مسؤوليتها التي لا تتطلب شجاعة أو إقداما بقدر ما تتطلب العاطفة والحنو، فبديهي أن تكون له القوامة وتحمل المسؤولية ، وأن تكون هي المأمورة المطيعة.

هي أم الأولاد الذين يربون على وثيرة مقاربة في الحياة ، ليس فيها مغامرة ، ولا هجوم على المجهول.(١)

ولكن مما هو ملاحظ على المرأة والذي يؤكده الطب أن المرأة تنتابها حالات نفسية في كل شهر بسبب الحيض ، وحالات أخرى تدوم تسعة أشهر في كل حمل، فهاتان المرحلتان من الأهمية بمكان في حياة المرأة ؛ لأنها ستؤثر عليها أينما كانت وحيثما وجدت بشكل أو بآخر مما يغير في وتيرة حياتها ، وهذه الحالة ملازمة لها في الغالب وخاصة مدة الحيض ، إذ ببلوغها تبدأ هذه الحالة إلى سن اليأس ، سأبين هذه التغيرات التي تعتريها في كلتا الحالتين (الحيض، والحمل) موضحا الأثر الذي يتركه على المرأة.

الحالة النفسية التي تعتري المرأة الحائض:

قبل الخوض في هذا العنصر علينا معرفة معنى الحيض.

الحيض أو الطمث:

(١) وهبي سليمان غاوجي الألباني ، المرأة المسلمة(ط٢ دار القلم ، دمشق ، سوريا ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) ص٥٩-٦٠

لغة: الجمع ، من حاض الماء : جمعه: حاضت المرأة سال دمها.(١)

الحيض من الناحية الشرعية:

دم أسود خثر (غليظ الأجزاء) منتن خارج ممن يمكن أن تحيض مثلها مع الصحة(٢)

فالحيض حالة تطرأ على الأنثى البالغ مرة كل شهر ، وصورة حدوث الحيض هي: تبدأ الدورة الشهرية مباشرة بعدة الحيض حيث يكون الغشاء المبطن للرحم رقيقا وبسيطا ولا تزيد ثخانته عن نصف مليمتر ثم تأتي مرحلة النمو بواسطة تأثير هرمون الأنوثة (الأستروجين) الذي تفرزه حويصلة جراف من المبيض فينمو الرحم وأوعيته الدموية وكذلك تنمو غدد الرحم وتبدو كالأنابيب .. وتزيد ثخانة غشاء الرحم في هذه المرحلة .. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الإفراز بواسطة هرمون الحمل (البروجسترون) الذي تفرزه حويصلة جراف بالمبيض بعد خروج البويضة منها .. وتدعى الحويصلة عندئذ الجسم الأصفر .. وينمو غشاء الرحم نموا عظيما ويبطن الغشاء بطبقات وثيرة من الدماء والغذاء وتنمو غدد الرحم نمواً هائلا ..استعدادا لعلوق البويضة الملقحة (النطفة الأمشاج)(٣) .. وتزيد ثخانة غشاء الرحم أكثر ، إلى حوالي ستة عشر ضعفا عما كانت عليه في بداية الدورة . فإذا حصل الحمل وعلقت البويضة بإذن الله استمر الرحم في النمو . . أما إذا قدر الله عدم الحمل فإن الرحم يحزن حزناً شديدا ، وتنقبض أوعيته فتتفتت ، ويسقط الغشاء المبطن للرحم ، وينهار البناء بكامله ويبكي الرحم دما هو دم الحيض.(٤)

بعد التعريف الموجز للحيض ، أعرض الأعراض التي تعتري الحائض.

(١) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط (ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) مادة حيض.

(٢) محمد بن يوسف أطفيش ، شرح النيل (ط٢ ،دار الفتح ، بيروت ، لبنان ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ج١ ص١٧٦-١٧٧

(٣) هي نتاج إلتقاء النطفة الذكرية بالبويضة ، وذلك بعد حدوث التخصيب ، وهو ما يسمى بـ(البويضة الملقحة)

(٤) خلق الإنسان بين الطب والقرآن(مرجع سابق) ص٧٧

١) يصاحب الحيض آلام تختلف في شدتها من امرأة إلى أخرى .. وأكثر النساء يصبن بآلام في أسفل الظهر ، وأسفل البطن .. وبعض النساء تكون آلامهن فوق الاحتمال مما يستعدي استعمال الأدوية والمسكنات ومنهن من يحتجن إلى زيارة الطبيب من أجل ذلك.

٢) تقل في جسمها قوة إمساك الحرارة ويزداد خروج الحرارة منه فتنخفض درجة الحرارة أثناء الحيض بدرجة مئوية كاملة.(١) .. وذلك لأن العمليات الحيوية التي لا تتوقف في الكائن الحي تكون في أدنى مستوى لها أثناء الحيض .. ونتيجة لذلك يقل إنتاج الطاقة من الجسم كما تقل عمليات التمثيل الغذائي ، ويبطؤ النبض ، ونقص ضغط الدم ويقل عدد الخلايا ، رغم أن هذاه العملية فسيولوجية (طبيعية) بحتة فإن استمرار فقدان الدم كل شهر يسبب نوعا من فقر الدم لدى المرأة.(٢)

٣) تصاب بعض النساء بالصداع النصفي (الشقيقة) قرب بداية الحيض .. وتكون الآلام مبرحة ، وتصحبها زغللة في الرؤية وقيء.(٣)

٤) تصاب الغدد الصماء بالتغيير أثناء الحيض فتقل إفرازاتها الحيوية المهمة للجسم إلى أدنى مستوى لها أثناء الحيض(٤) ، وتصاب اللوزتان والغدة اللمفاوية أيضا بالتغيير.(٥)

(١) ينظر:أبو الأعلى المودودي ، الحجاب ،(دار الأنصار القاهرة :١٩٧٧م) ص١٨٢-١٨٣/ خلق الإنسان (مرجع سابق) ص١٠٢

(٢) خلق الإنسان ،(مصدر سابق) ص١٠٢

(٣) المرجع السابق ص١٠٢

(٤) المرجع السابق ص١٠٣

(٥) أبو الأعلى المودودي (مرجع سابق) ص١٨٢-١٨٣

٥) تضعف قوة التنفس ، وتصاب آلات النطق بتغيرات خاصة ، يختل الهضم، ويقل التحام الشحم والأجزاء الهيولية في المأكولات مع أجزاء الجسم.(١)

٦) الشعور بالتبع، إذ يبلد الحس وتتكاسل الأعضاء(٢) والتعب ظاهرة من أسوأ الظواهر ، على المرأة أن تواجهها خلال هذه الأيام أو الأسابيع ، فقد يقتصر الأمر على الشعور بالتعب أسرع مما كانت عليه من قبل ، أو قد تستيقظ في الصباح شاعرة كأن حملا وزنه خمسون رطلا قد ربط إلى يديها وقدميها.(٣) هناك ظواهر أخرى يضيق المقام عن ذكرها.

أما بالنسبة للجانب النفسي والذي له أهمية بالغة بالبحث ، فممكن القول أن أهم الظواهر النفسية المصاحبة للتغيرات العضوية هي :

١- الكآبة والضيق ، وتقلب المزاج: كل امرأة تعتريها نوبات ارتفاع أو انخفاض لمزاجها ؛ أحيانا تشعر وكأن قلبها أنشودة جميلة، فتحب الدنيا الواسعة الجميلة كلها ، وتحس أنها ملكة الربيع ، وسواء كانت تغسل صحون المطبخ أو تنظف أرضيات البيت.

وأحيانا أخرى نجدها مغتمة مرهقة الأعصاب فلا تعرف رأسها من رجليها .. وأنها لتتحفز لأي مشاجرة ، وكل ما تتمناه أن تغلق عليها بابها وتترك العنان لدموعها.. وقد تفقد أعصابها بسهولة حتى إن الأحداث التافهة — مجرد سقوط كعكة من يدها — تظهر لها في شكل كوارث . وقد يبلغ القلق وتوتر الأعصاب حدا يجعلها تسبب النكد لكل من حولها . أو قد تصير ثرثارة بشكل غير عادي ، تتكلم

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق

(٣) ماكسين دينس (مرجع سابق) ص٣١

بسرعة كبيرة تضجر من حولها حتى ليكادون يفقدون صوابهم . وقد تتحول الفتاة الوديعة إلى فتاة صفيقة وقحة.(١)

٢- تكون حالتها الفكرية والعقلية في أدنى مستوى لها في الحيض (٢) قد تلاقي الكثيرات من الفتيات والنساء أحيانا صعوبة في تركيز الفكر خلال هذه الفترة ، فالسكرتيرة التي عرفت بكفاءتها قد تضطر أحيانا لأن تطلب من رئيسها أن يكرر الجملة الأخيرة التي أملاها ، لا مرة واحدة بل ربما عدة مرات ، ومدبرة البيت التي تصنع فطيرة التفاح كل أسبوع قد تلجأ إلى مراجعة كتاب الطبخ للتأكد من طريقةعمل الفطيرة، والواقع أنه ثبت أخيرا أن النساء يرتكبن مخالفات مرور أكثر ويشتركن في الحوادث أكثر خلال فترة الحيض ..إن الفتاة قد تنفجر فجأة في البكاء ، وتنهمر دموعها لا شيء يدعو لذلك سوى أنها في طور الدورة.

إن كثيرا من الاضطرابات النفسية تحدث غالبا في فترة الحيض ، ولكن قد لا تخلو فترة ما قبل الحيض ، وما بعدها من اضطرابات تجعل النساء يحسسن بالضجر أحيانا.(٣)

من هنا فإن المرأة طول حيضها خاصة نجدها تسبح في دوامة من التغيرات الفزيولوجية التي تؤثر على حالتها الصحية والنفسية ، وهذه الحالات ليس للبنت دخل فيها ، فتكون في حالة شبة مرضية.

هذا بالنسبة للحائص ، أما الحامل فتعتريها حالات نفسية مشابهة كما سنوضح.

(١) المرجع السابق ص٢٦-٣١/ ينظر :خلق الإنسان (مرجع سابق) ص١٠٢

(٢) خلق الإنسان مرجع سابق ص١٠٢

(٣) ماكسين ديفس (مرجع سابق) ص٢٦-٣٣

العوارض الجسدية والنفسية التي تعتري المرأة الحامل:

الحمل لغة: ما يحمل في البطن من الولد (١)

أما شرعا: يطلق على حمل المتاع ، وما في بطن الأنثى من الأولاد.

الحبل هو: حبل المرأة ؛ هو امتلاء رحمها فهي حبلى والحبل الحمل.(٢)

فبعد الالتقاء بين النطفة الذكرية والبويضة الأنثوية يبدأ الحمل ، وإذا قدر له العيش والاستمرار يبدأ في النمو والكبر في الرحم مشكلا بذلك إنسانا بإذن الله ، وتسترم هذه المدة غالبا تسعة أشهر ، ولا تقل عن ستة أشهر كما إتفق عليه الفقهاء، أما بالنسبة لأكثر مدة الحمل فهي على الخلاف الجاري بين الفقهاء. قال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالدية حملته أمه وهنا على وهن)(٣) . وقال تعالى في آية أخرى: (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها)(٤).

١- اضطراب الجهاز الهضمي اضطرابا شديدا .. فيبدأ الحمل غالبا بالغثيان والقيء وخاصة في الصباح وفي الأشهر الأولى من الحمل .. فتصاب بسوء الهضم ، وتصاب بتوعكات بسيطة كالتبول المتكرر ، وحرقان القلب ، وكثرة مشاكل الإمساك والبواسير في هذه الفترة.(٥)

٢- القلب والجهاز الدوري ؛ يتحمل القلب أثناء الحمل أعباء إضافية تبلغ ضعف ما يتحمله أثناء الحالات العادية .. وعلى القلب أن يؤدي هذا العمل الإضافي دون كلل .. ولكي يضاعف من عمله عليه أن يسارع في سرعة نبضاته ويقوي من ضرباته .. وعادة ما تعاني الحامل من فقر الدم ؛ لأن

(١) الفيروز آبادي (مرجع سابق) مادة حمل.

(٢) الموسوعة الفقهية (ط٢؛ ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م) ج١٨ ص١٤٢-١٤٣

(٣) سورة لقمان الآية ١٤

(٤) سورة الأحقاف ، الآية ١٥

(٥) ينظر: خلق الإنسان (مرجع سابق) ص٤٣٩/ماكسين دينز ، (مرجع سابق) ص١٠٨-١١١

الجنين يأخذ ما يحتاج إليه من الحديد والعناصر المهمة لتكوين دمه من دم أمه.(١)

٣- الجهاز التنفسي ،تشكو الحامل في العادة من صعوبة وضيق في التنفس فيسبب لها اللهاث ؛ فإن حركة بسيطة أو مشيا قليلا يؤدي بها إلى الإعياء والتعب ؛ وسبب ذلك هو ملء الرحم لتجويف البطن وابتداء الضغط على الحجاب الحاجز إلى أعلى مانعا الرئتين من الحركة بحرية أثناء الشهيق والزفير.

٤- الإعياء والتعب، في باكورة الحمل تجد المرأة نفسها أميل إلى النعاس ، وحتى لو كانت تنام حتى الظهر .. رغم ذلك تجد نفسها نؤوما ، وفي خلال الأشهر الأخيرة قد تجد من الصعب النوم ؛ لأن الطفل يوقظها برفصاته ، وهذه الحركات تجعلها تتوجع خاصة فيما بين الأسبوع السادس عشر، والثاني والعشرين ،فبعد أن تكون حركات الجنين تحدث في نفسها الغبطة تتحول بمرور الوقت وكبر الجنين إلى التهيج والإغاظة .. وهذا أمر مجهد للعاملات ، فالكثيرات من العاملات يشتغلن خلال الحمل ..فالعمل يكون مضنيا إذا تضمن الكثير من الوقوف أو الحركة أو الإنحناء أو رفع الأحمال .. وهذه بعض المتاعب اليومية التي تعتري الحامل ، والتي تعد بسيطة ، ولكن هناك مسائل أخرى أشد خطورة ، ولكنها ليست بهذا الشيوع.(٢)

كل هذه التوضيحات والمتاعب التي أفادنا بها الطب قد نبأنا بها الله عزوجل في كتابه منذ أربعة عشر قرنا في كلمات موجزة معجزة، قال تعالى(ووصينا الإنسان

(١) ينظر (المرجعين السابقين).

(٢) ماكسين ديفس ، (مرجع سابق) بتصرف ،ص١٠٨-١١١

بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها)(١) ، يقول الشهيد سيد قطب في تفسيره الآية: "يصور القرآن هنا تلك التضحية النبيلة الكريمة الواهبة التي تتقدم بها الأمومة، والتي لا يجزيها أبدا إحسان من الأولاد مهما أحسنوا القيام بوصية الله في الوالدين ، وتركيب الألفاظ وجرسها يجسم العناء ، والجهد ، والضنى ، والكلال.. ولكأنها آهة مجهد مكرب ينوء بعبء ، ويتنفس بجهد ويلهث بالأنفاس"(٢)

هذا بالنسبة للمتاعب والتغيرات الجسدية ، أما المتاعب النفسية فكثيرة أيضا نذكر منها ما يلي:

١) تعتري الحامل حالة نفسية مضطربة أيما اضطراب .. فهي بين الخوف والرجاء .. وبين الحزن والفرح ؛ الخوف من الحمل .. ومصاعبه .. والولادة ومتاعبها .. والرجاء بالفرج والتيسير من الله تعالى ، يقول مؤلفو كتاب (الحمل والولادة) .. تكون أكثر حساسية من أي فترة مضت .. سريعة التأثر والانفعال .. والميل إلى الهموم والأحزان لأتفه الأسباب.. وذلك بسبب التغير الفسيولوجي في كل أجزاء الجسم.."(٣)

"ففي هذه المدة يبقى مجموعها العصبي مختلا على أشهر متعددة ، ويضطرب الاتزان الذهني ، وتعود جميع عناصرها الروحية في حالة فوضى دائمة"(٤)

٢) التشوش الذهني : وضعف التركيز ، "يقول الطبيب (فشر) إنه لا تسلم حتى المرأة الصحيحة من الاضطراب الشديد في زمان الحمل ؛ فتصاب في مزاجها

(١) سورة الأحقاف ، الآية ١٥

(٢) في ظلال القرآن (مرجع سابق) ، م:٦ ،ج٢٦ ، ص٣٢٦٢

(٣) خلق الإنسان (مرجع سابق) ص٤٤٣

(٤) أبو الأعلى المودودي ، (مرجع سابق) ص١٨٧.

بالتغير ، وفي أفكارها بالتشوش ، وفي عقلها بالشرود ، وتتخلف في ملكات الشعور والتفكير والتأمل والفهم والتعقل".(١)

فكل هذه الأعراض التي تعتري سواء الحائض أو الحامل ليس من اللازم أن تكون، وليس من اللازم أن لا تكون ، ولكن معظمها ، وخاصة النفسية منها تكاد تصاحب الحامل والحائض.

بعد هذه الإطلالة السريعة على حالة الحائض والحامل تتجلى لنا عظمة الخالق ، وحكمته في قوله وهنا على وهن ، وقول النبي للذي سأله عن أحق الناس بحسن صحابته قال له : أمك ثلاث مرات مكرراً ومؤكداً (٢) ، وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات(٣) ،إن هذه المكانة التي أحل الله فيها الأم ، تجيء مصداقا لهذا الدور العظيم الذي هيأها وخلقها من أجله ، ذلك هو دور المرأة ؛ أم ترعى الأبناء ، وهذه في حد ذاتها رسالة عظمية شرفها الله بها.

"فهذا المقام العظيم للأمومة لهو القليل المعوض لما تلاقيه في الحمل والولادة والرضاع والرعاية والتربية".(٤) وفي الختام بعد أن رأينا الفروق القليلة التي ذكرت من بين فيض من الفروق التي لم تذكر ، نتيقن يقينا ثابتاً أنه(وليس الذكر كالأنثى).

(١) المرجع السابق ص١٨٧

(٢) رواه البخاري ومسلم ، وابن ماجه وأحمد.

(٣) الحديث (الجنة تحت أقدام الأمهات) رواه النسائي في باب الجهاد

(٤) خلق الإنسان ، (مرجع سابق) بتصرف ،ص٤٤٤-٤٤٥

المبحث الثاني : وظيفة المرأة الأساسية

إن الله خلق الكون ووضع له نظاما محكما يسير على نهجه الذي أراده له ، يقول تعالى: (والسماء رفعها ووضع الميزان)(١) الميزان هنا بالمعنى المعنوي لا الحسي ؛ أي التوازن والنظام الذي يضبط نِظام سير الكون ، كل يسير حسب المقادير ، وحسب الحيز والضوابط التي حددها الله تعالى.

إن هذا الكون مؤسسة عظيمة تشمل بداخلها أعضاء منتمين إليها ، وهم مخلوقات الله تعالى ، ولكي تستقيم هذه المؤسسة رسم لها خطة تسير على نهجها قال تعالى: (ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)(٢) ، ومخلوقات الله ليس البشر فقط إنما كل مخلوق ينتمي إلى هذه المؤسسة الربانية ، له طريقة خاصة به يسير وفقها، وهو ما يسمى بالنظام البيئي في وقتنا ، جعل الكواكب تدور حول الشمس، ووضع كل كوكب في مكانه المعين لا يحيف عنه ولو قيد شبر ،وإلا لاختل الكون واصطدمت الكواكب مع بعضها ببعض وأصبحت الدنيا خرابا. هذا مثال بسيط لصور من صور هذا النظام ن ومن بين أفراد هذه المؤسسة الضخمة المنتمين إليها ؛ الإنسان ، وهو محور هذه المؤسسة إذ أن كل شيء سخر له ، وبما ينفعه ، وخلق الله الإنسان شقين متلازمين من جنس واحد وهما الذكر والأنثى ، فأعطى لكل واحد منهما دوره اللائق به بمقتضى النظام السائد الذي أشرنا إليها ، وقبل أن يكلفهما خلقهما خلقة تتناسب مع الدور الذي سوف يكلفان به ، وذلك ما تجلى في خلق سيدنا آدم عليه السلام ، وأمنا حواء ، قال تعالى: (هو الذي

(١) سورة الرحمن ،الآية ٧

(٢) سورة المائدة ، الآية ٤٨

خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها)(١) ، وقال أيضا(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة..)(٢) في الآيتين يقول عزوجل أن آدم خلق من تراب ثم خلقت حواء منه ، فالعلاقة بين آدم والتراب علاقة الجزء بالكل ؛ الكل هو التراب ، والجزء هو الرجل ، لذلك أخذ هذا الجزء معظم صفات الكل ،وهي الصلابة والقوة والشدة ، أما المرأة فعلاقتها بالتراب علاقة جزء الجزء بالكل ، فالمرأة جزء من الرجل والرجل جزء من الترات ، لذا كانت صفات المرأة بعيدة عن صفات التراب ، وإنما أخذت صفات الرجل التي انفرد بها عن التراب ، وهي ما يميز الإنسان عن الجماد، العاطفة والحنان والتعقل والتدبر، ببعض من الزيادة عن الرجل ، فلذلك كانت المرأة ألصق بالرجل، وبالكائن البشري عامة فكل اعتمادها على الرجل ، إذ لا يتصور أن تعيش أنثى دون رعاية رجل أو حمايته في الحالات العادية ، نجدها تحن إليه وتعطف عليه ، وتكن له الحب والاحترام ، وسواء كان زوجا أم أبا أم ابنا ،كذلك الرجل لا يستيطع أن يستغنى عن المرأة ؛ لأن العلاقة بينهما علاقة تكامل لا علاقة تفاضل ، "مثل علاقة الليل بالنهار كلاهما يكمل وظيفة الثاني ، إذ لا يمكن للناس أن يعيشوا بالليل دون النهار ، رغم أنه لكل واحد منهما صفته الخاصة التي تقابل صفة الثاني، فالليل يعني السكون والهدوء قال تعالى: (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى)(٣) ،والنهار يعني الوضوح والجلاء، فلا يمكن أن يعيش الإنسان الليل دون النهار ، فالذي يتحرك نهارا ، ولا يسكن ليلا ، لا يستطيع أن يعمل بعد ذلك

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٩

(٢) سورة النحل الآية٧٢

(٣) سورة الليل الآية ١-٢

عملا ، والله تعالى هو خالق الإنسان ، وخالق الزمان والمكان، وخالق المكان، هو الذي جعل الليل للسكن ، وجعل النهار لنبتغي فيه من فضله.

فهما زمان انقسم إلى قسمين ، إلا أن لكل قسم منهما مهمة ، فإذا حاولنا أن ندخل قسما منهما في مهمة الآخر ، أفسدنا النظام الذي أراده الله لهذا التكوين الدقيق.

كذلك الإنسان فهو جنس انقسم إلى قسمين كما يؤكد ذلك المولى بعد آية الليل والنهار مباشرة ويقول : (وما خلق الذكر والأنثى ❖ إن سعيكم لشتى).(١) يعني لكل واحد مجال في سعيه.

فإذا حاولت المرأة أن تأخذ دور الرجل ،أو حاول الرجل أن يأخذ دور المرأة ، فإن بنية الأشكال التكوينية ستقف أمامه ، ومعنى بنية الأشكال التكوينية ، الطبيعة التي خلقا بها.

لو سلمنا فرضا أن المرأة أخذت عمل الرجل ، فإنه لا يمكن للرجل أن يأخذ عمل المرأة ؛لأن المرأة مهمتها هي أنها وعاء للإنسان ، تحمله ، وتلده ، وترضعه ، وتحضنه. فلا يمكن للرجل أخذ هذه الدور لأن أصل الخلق يقف حائلا دون ذلك.(٢)

خلاصة القول إن حكمة الله في التفريق بين الرجل والمرأة هو أن يعمل كل واحد فيما يسر له ؛لأن الحياة لا تستقيم إلا بالنظام وتوزيع الأدوار ، ذلك كما مر في مثال الليل والنهار ، قال تعالى: (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) ، وهذا ينطبق تماما على جميع الكائنات ، فإذا

(١) سورة الليل الآية ٣-٤

(٢) ينظر: محمد متولي الشعراوي :شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها ،إعداد : عبد القادر أحمد عطا ، (مطابع سجل العرب) ص٥٢-٥٦

حاول أحد تقمص دور الثاني مع إقصائه لدوره أدى ذلك إلى خلخلة رهيبة تخل بسنن الكون ، وهذه سنة الله تعالى هكذا شاءها ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا.

فمشيئة الله في المرأة أن خلقها بتكوينها وطبائعها هكذا ؛ لتحقيق مهمتها التي تتناسب مع هذا الخلق ،وهو رعاية الأجيال ، وبناء أمة دعائمها قوية ومتينة.

وكل هذه الصفات ليست عيبا في المرأة ، "مما يدعونا إلى فهم أحاديث الرسولﷺ التي تقول: (عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ (استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء)(١) .. ، وذلك لأن مهمتها حنان وعطف، فشبهها بالضلع ، والضلع معوج ، واعوجاجه يجعله صالحا لمهمته ، فلو كان الضلع معتدلا لما صلح لمهمته ؛ لأنه خلق هكذا ليحمي قفص الصدر بما فيه من أعضاء لينة رقيقة (٢) ، ومثله أيضا "السنارة التي نصطاد بها السمك من تمام مهمتها أنها معوجة ، ولو أن إنسانا جاء فجعلها مستقيمة فلن تؤدي مهمتها ، ولن تصطاد سمكة واحدة"(٣) فكان الدور الذي تصوره لنا طبيعة المرأة الأول والأهم هو الأمومة فهي الوعاء الحاوي للطفل والحامي له ، وهذه حكمة الله التي شاءت ذلك.

الأمومة:

لو نظرنا إلى هذا الدور الذي خصت به لوجدناه أصعب ، وأعقد من دور الرجل ؛ لأن المرأة تتعامل مع أسمى المخلوقات على وجه الأرض ومع أعقدها تكوينا.

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) المرجع السابق

(٣) محمد متولي الشعراوي ، المرأة في القرآن (مطابع أخبار اليوم ، مصر (د.ت) ص١٢-١٥

وكما علمنا سابقا ، نجد أن الرجل يتميز بالصرامة ، فطاقة العقل هي التي تتحكم في تصرفاته ، وطاقة العاطفة تكاد تكون على قدرها فيه ، ولأن المرأة ستتعرض لمهمة تتطلب العاطفة قبل العقل (الأمومة) "خلقها الله بما يتناسب مع هذه المهمة ، فكان الاستعداد لها مركبا في الطباع معقود بتكوين الخلايا الدقيقة- كما رأينا- فضلا عن الجوارح والأعضاء بل من الطبيعي أن يكون للمراة تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجل ؛ لأن ملازمة الطفل الوليد ، لا تنتهي بمناولة الثدي وإرضاعه ، ولا بد معها من تعهد دائم ، وتجاوب شعوري تستدعي شيئا كبيرا من التناسب بين مزاجها ومزاجه ، وفهمها وفهمه ، وبين مدارج حسها وعطفها ، ومدارج حسه وعطفه ، وهذه الحالة من حالات الأنوثة التي تشاهد كثيرا في أطوار حياتها منذ صباها الباكر إلى شيخوختها الواهية ، فلا تخلو من مشابهة للطفل في الرضى والغضب وفي التدليل والمجافاة ، وحب الولاية والحب لمن يعاملها ، ولو كان في مثل سنها أو سن أبنائها ، وليس هذا الخلق مما تصطنعه المرأة وتتركه باختيارها ،إذ كانت حضانة الأطفال تتمة للرضاع ، تقترن فيها أدواته النفسية بأدواته الجسدية ، ولا تنفصل إحداهما عن الأخرى"(١) وهذا ما نلحظه في حياتنا اليومية. . فالرجل المكدود حين يجيء ليرتاح ليلا ، يسمع طفله يبكي ، يتضايق من بكائه ، أما المرأة فتذهب به بعيدا لتهدهده ، محاولة إسكاته بطريقة حانية ملبية له ما يطلبه ، ودافعة عنه ما يبكيه.

إن الأمومة دور عظيم وجليل بما فيه من معاني العطف والحنان والرفق ، وأصعبها ؛ لأن المرأة تتعامل مع الطفل، أعقد المخلوقات لذلك جعل المولى طفولته هي أطول طفولة، للمهمة الصعبة التي أنيطت به ، ليتحمل أعظم أمانة بعث بها

(١) عباس محمود العقاد ، المرأة في القرآن (دار نهضة مصر)القاهرة (د.ت) ص١٤

الله تعالى ، الأمانة التي أبت السماوات والأرض أن يحملنها ، وحملها الإنسان ، ولكي يكون على قدر كامل بهذه المسؤولية العظيمة اعتنى به المولى عزوجل وهو في جميع مراحله ، وخاصة فترة الطفولة .. والأم هي سيدة هذه الفترة.(١)

يقول محمد قطب في الأمومة : "إن الأمومة بكل ما تحوية من مشاعر نبيلة ، وأعمال رفيعة وصبر على الجهد المتواصل ، ودقة متناهية في الملاحظة في الأداء ، هي التكييف النفسي والعصبي والفكري الذي يقابل التكييف الجسدي للحمل والإرضاع .. كلاهما متمم للآخر ، بحيث يكون شذوذاً عجيبا أن يوجد أحدهما في غيبة عن الآخر.

وهذه الرقة اللطيفة في العاطفة ، والانفعال السريع في الوجدان ، والثورة القوية في المشاعر ، التي تجعل الجانب العاطفي لا الفكري هو المنبع المستعد أبدا بالفيض المستجاش أبدا بأول لمسة .. كل ذلك من مستلزمات الأمومة ؛ لأن مطالب الطفولة لا تحتاج إلى التفكير الذي قد يسرع أو يبطئ ، وقد تستجيب أو لا تستجيب ، وإنما تحتاج إلى عاطفة مشبوبة لا تفكر بل تلبي الداعي بلا تراخ ولا إبطاء. فهذا كله هو الموضع الصحيح للمرأة حين تلبي وظيفتها الأصلية ، وهدفها المرسوم ، والرجل من جانب آخر مكلف بوظيفة أخرى ، ومهيأ لها على طريقة أخرى"(٢)

ولا تقتصر مهمتها بتنشئة الوليد وإرضاعه والعناية به ، ولكن وراءها مهمة الزوجية. التي تأخذ بهذا الطفل الذي ربته أمه إلى مواصلة المسيرة التي بدأتها أم هذا الزوج وسلمت المشعل لهذه الأم الثانية (الزوجة) محاولة قدر الإمكان تعويضه ذلك الحضن الذي ترعرع فيه سنوات طوال.

(١) ينظر: شبهات وأبطايل (مرجع سابق)ص٥٦-٥٧

(٢) محمد قطب ، الإنسان بين المادية والإسلام (ط٨ دار الشروق ، بيروت ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م) ص١٧٠

الزوجية:

إن العلاقة التي بين الرجل والمرأة هي علاقة التكامل ، كلاهما يسد النقص الموجود في الثاني ، فغرس في كل منهما جاذبية نحو الآخر ، "لشيء آخر غير ضرورة الجسد ورغبة الغريزة.

إن كلا منهما ليجد عند الآخر وفي رحابه مشاعر نفسه ؛ الألفة والحنان، والود والتعاطف. مشاعر لا يجدها في أي مخلوق الآخر .. وهذه المشاعر كلها لا تستقيم مع الطفرات الهائجة والتيارات المتحولة لأنها بطبيعتها في حاجة إلى الزمن والإستقرار.(١) يقول تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها)(٢) جعل هذه العلاقة من أسمى العلاقات ، وعدها من آياته المحكمات ، فقرنها بخلق السماوات ، واختلاف الألسن ؛ لأن الرجل بطبيعته الشديدة ، وطبيعة تعامله مع المادة ، وكل ما هو صلب وفيه شدة ، يحتاج بعد ذلك إلى الاستقرار والحنان والدفء، حتى يعوض النقص الذي فيه ، فمهما يكبر الإنسان يظل محتاجا إلى الحنان والرعاية ، قال تعالى: (وخلق الإنسان ضعيفا)(٣) .

كل هذه المهام التي أوكلت إلى المرأة مسؤوليات صعبة ولا شك ، بل حتى أمور البيت التي قد تبدو هينة ؛ من تنظيف وطهي وتنظيم . "لقد صارت إدارة المنزل اليوم – وهي مهمة المرأة – فناءً واسعا يحتاج إلى معارف كثيرة مختلفة ، فعلى الزوجة وضع الميزانية ؛ الإيراد والمصرف بقدر ما يمكن من التدبير حتى لا يوجد خلل في ميزانية العائلة .. ولعلها أن تجعل بيتها محبوبا إلى زوجها فيجد راحته ومسرته

(١) المرجع السابق ص ١٨٤

(٢) سورة الروم الآية ٢١

(٣) سورة النساء الآية ٢٨

إذا أوى إليه ، فتحلو له الإقامة فيه ، ويلذ له المطعم والمشرب والمنام ، فلا يطلب المفر منه ليمضي أوقاته عند الجيران أو في المحلات العمومية.(١)

وبما أن أغلب الداعين إلى خروج المرأة إنما يتخذون الغرب مثالا لهم ، فإنه يستحسن أن نورد بعض آراء الغربيين أنفسهم ؛ إنهم يصرحون اليوم بأن المرأة خلقت للبيت وينادون برجوعها إلى بيتها لأنهم أحسوا بالخطر المحدق بهم ، وها هي محكمة في أمريكا تحكم لرجل حينما أصرت امرأته على عناده وضربت بكلامه عرض الحائط ، فبعد أن منعها من العمل خارج بيتها أصرت هي فخرجت لتسترزق ، فرفع الزوج بدوره أمره إلى القاضي ، فأعلن في النهاية أنه من حق الزوج قانونيا أن يبقي زوجته في البيت ومنعها من الخروج للعمل ما دامت رغبته كذلك".(٢)

قال أحد الكتاب في بحثه : .. ومن الخطأ الكبير أن يقال إن الرجل بما ينفقه من إيراد على الدار هو العائل الوحيد للأسرة ؛ فالمرأة تؤدي عملا كذلك ، فلو قومت الاعمال التي تقوم بها في الدار ، لأربى أجرها في كثير من الحالات على ما ينفقه الرجل.(٣)

وقال عضو في الكنجرس مبررا منع الأم التي لها أولاد من العمل : إن الله عندما منح المرأة ميزة إنجاب الأولاد لم يطلب منها أن تتركهم لتعمل في الخارج ، بل جعل مهمتها في البقاء في المنزل لرعاية هؤلاء الأطفال.

وقال آخر: تستطيع المرأة أن تخدم الدولة حقاً ، إذا بقيت في البيت الذي هو كيان الأسرة.(٤) فهؤلاء يستعملون طرقا مباشرة تنتقد بها المرأة عندما تخلت عن

(١) قاسم أمين ، تحرير المرأة (دار المعارف ، القاهرة مصر :١٩٧٠م) ص٦٠

(٢) ينظر : مصطفى السباعي (مرجع سابق) ص٢٩٨

(٣) المرجع السابق ص٢٦٣

(٤) المرجع السابق ص٢٥٥

دورها ، ولكن البعض يستعمل دور الإغراء ، فقد صدر كتاب كامل يتكلم عن روعة البيت والأعمال المنزلية التي يشمئز منها الكثير من النسوة ويتهربن منها بحجة التحضر والرقي والتقدم. يقول صاحب الكتاب (كلود كوفمان) : "إن القيام بالأعمال المنزلية يمنح الإنسان شعوراً بالإرتياح والسعادة والتفاؤل ، وأن عدم وعي الكثيرين لهذه الناحية لا يعني أنها غير موجودة .. وقد أظهرت الاستفتاءات التي أجراها والأسئلة التي طرحها على الناس أن هناك كثيرا من المشاعر الإيجابية التي تتولد في النفوس نتيجة القيام بالأعمال المنزلية ،ويحتل الشعور بالارتياح المرتبة الأولى على لائحة هذه المشاعر الإيجابية.(١)

أما إن اعتمدنا على الأرقام فالإحصاءات تثبت ذلك "فقد كشفت آخر الإحصاءات في الولايات المتحدة الأمريكية أن ٨٠٪ من الأمريكيات يفضلن البقاء في البيت لرعاية أسرهن ، وأن ٦٤٪ من الرجال يفضلون بقاء الأمهات مع الأطفال في البيت.(٢)

ونختم قولنا هنا ببعض أقوال بعض الكتاب الغربيين :

يقول العلامة الإنجليزي(ساموبل سمايلس) في كتابه (الأخلاق) :

"إن النظام الذي يقضي بأن تشتغل المرأة في المعامل ودور الصناعات مهما نشأ عنه من الثروة ، فإن نتيجة كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية ؛ لأنه هاجم هيكل المنزل وقوض أركان العائلة ، ومزق الروابط الإجتماعية ؛ لأن وظيفة المرأة الحقيقة هي القيام بالواجبات المنزلية ، كترتيب مسكنها ،وتربية أولادها ، والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالحاجات العائلية. ولكن المعامل سلختها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير المنازل ، وأضحى الأولاد يشبون على غير التربية

(١) مجلة كل الأسرة ، ع٢٢٨، فبراير ١٩٩٨ للمقالة لـ غادة الطعمة (شغل البيت .. الجميل) عنون الكتاب (العمل بحب وانشراح)

(٢) مجلة الأسرة (هولندا) ع٥٠ ، جمادى الأول ١٤١٨هـ

الحقيقية لكونهم يلقون في زوايا الإهمال.."(١) "جاء في مجلة: (شجرة الدر) في ج: ٦ سنة ١ ، عن الكاتبة الإنجليزية (مس أني رود) ما نصه: "إذا اشتغلت بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم فهو خير ، وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد ..فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية – كما قضت بذلك الديانات السماوية – من ملازمة البيت وترك أعمال الرجال للرجال وفي ذلك سلامة لشرفها.(٢)

"قال طاغور : ليست المرأة للرجل ، بل هي متممة له فلا يفيده أن تخرج إلى ميدان الأعمال لمزاحمة الرجل على اكتساب ما يقوم بأودها فإن تلك المزاحمة ليست من متممات الجمال.

للمرأة في هذا العالم مهمة تختلف عن مهمة الرجل ، فهي معينة له في ميدان الحياة فيجدر بها أن تتذكر أن التعاون لا يعني التقليد والمنافسة ، ولو أن مهمة المرأة كانت كمهمة الرجل لكان العالم فراغا مملا ولاستولى الضجر والسآمة على الإنسان".(٣)

الخلاصة:

فبعد الأدلة والبراهين على أن المراة ليست كالرجل ، جسديا ونفسيا ، وأن هذا التمايز في حد ذاته من صنع الله الذي هيأ كل واحد لما خلق له من أعمال وأدوار ، نتيقن أن الحياة لا تكتمل إلا بقيام كل واحد منهما بدوره المنوط به أحسن قيام وإلا لاختل ميزان الكون ، وصارت الفوضى تعم الجميع وليس أدل على ذلك مما يحدث في الغرب من ضياع وفساد وانحلال وجرائم يعجز الإنسان عن حصرها.(عن

(١) عبد الله ناصح علوان ، تربية الأولاد في الإسلام (ط٣ ، دار السلام ، مصر :١٤١٥هـ-١٩٩٤م)ج١ ص٢٧٣

(٢) المرجع السابق ، ص٢٧٣-٢٧٤

(٣) الزواج (مرجع سابق) ص١٦٨.

عمران قال: قلت يا رسول الله فيما يعمل العاملون قال كل ميسر لما خلق له)(١) . فالمرأة أرادها الله كما هي ،فلا يعني الحط من قيمتها – كلا- إنما هو شرف لها ورفعة ، كفلهما الله لها حين يسر لها العوامل التي تؤدي إلى صيانتها وحفظها من شر ما خلق، ولو أنها أحست بشيء من ذلك فإنه لم ينسها في الآخرة حين جعل الجنة تحت قدميها الشريفتين ، وجعل طاعتها أمرا واجبا ، وقرن طاعتها بعد طاعته سبحانه وتعالى.

فمسؤولية المرأة لا تقل وزنا وأهمية عن مسؤولية الرجل فكلاهما مسؤول يوم القيامة عن عمله ، وكُل آتيه يوم القيامة فردا.

(عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كلكم راع ومسؤول عن رعيته ؛فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيتة والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤول عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته.(٢)

المبحث الثالث:دور المرأة في العهد النبوي

قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)(١) . أمة انبجست من تحت أنقاض الجاهلية ، فغيرت مجرى الزمن والتاريخ، فتولد منها زمان غير الأزمنة الغابرة ، إنه زمان أشرقت فيه شمس الإسلام ماسحة بشعاعها ونورها ظلام الجاهلية ، والتجبر والعبودية . شمس دخل شعاعها شغاف القلوب ،حاملا في طياته النور الإلهي (القرآن) والهدي النبيوي ،

(١) رواه البخاري ، ومسلم وأبو داود ،وأحمد

(٢) رواه البخاري ، الترمذي ، مسلم ، أحمد

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠

فحرك نورها الفطرة وناداها ، فتحول النور إلى قوة إيمانية هائلة ، تهد الجبال ، وتقهر أعتى المعتدين ، فحولهم بفضل ربهم إلى خير أمة أخرجت للناس . شارك فيها الكبير والصغير ، الذكر والأنثى ، القوي والضعيف ، الغني والفقير. كل شارك بما جبل عليه وما وهبه الله ورزقه إياه ، فكانت الأمة سلسلة مترابطة لا فجوة فيها ولا شين ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

وشاء الله أن تكون المرأة من أهم عناصر هذا المجتمع الجديد .فإذا بالمرأة في ظل الإسلام- بعد أن حررت من ربقة الجاهلية العمياء وظلامها – ترفع إلى أعلى عليين بعد أن كانت أسفل سافلين ، برزت في الصفوف الأمامية أما ، وزوجا ، وبنتا ، وأختا ، وحق لها ذلك لأنها آمنت بالنبي ﷺ لما كذبه قومه ، وآزرته ونصرته حين خذلوه ، فخففت عنه الآلام ؛ وهاجرت مع الرجل أينما ذهب ، إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، بايعته في بيعات عدة ، ورفعت السيف وداوت الجرحى ، وسقت العطشى ، وصمدت في أوقات المحن ، ربت الرجال فأخرجت لنا مدرستها رجالا أفذاذا جابوا الأرض واستسهلوا الصعب ، وهانت أمامهم الصعاب ، وصغر أمامهم العدو ، وقلت أمامهم الكثرة ، زحفوا كأنهم الطوفان ، حاملين معهم الإسلام ، وأخلاقه السمحة ، فبهروا الناس حكاما ومحكومين ، خاصة و عامة ، فأقبلوا على الإسلام بقلوب مقتنعة أفواجا أفواجا ، وصلوا الشرق بالغرب في ظرف زمني قياسي.

هذه المرأة المسلمة هي التي صنعت هؤلاء ، حين اتبعت أمر ربها ، وصلت خمسها ، وصامت شهرها ، وأطاعت زوجها ، وربت أولادها ، فجازاها الله أحسن الجزاء.

لقد كانت عناية الدين الجديد بالمرأة في كل المجالات ، فشاركت الرجل مشاركة فعالة، في الحدود التي وضعها لها الإسلام ، ولم يحبسها عن أداء واجبها في شتى المجالات: الاجتماعية والثقافية والسياسية . هكذا كانت توجهات الإسلام إلى المرأة معتبرا إياها أول ركيزة يقوم عليها المجتمع ، فكانت نعم الزوجة ، فتجلت قدراتها وعظمتها في بيتها . وكان لها الباع الطويل في جميع المجالات ؛ في مجال الدعوة ، وفي مجال العلم ، وفي مجال الجهاد في سبيل الله.

وحتى نوضح المكانة التي أحل الإسلام فيها المرأة سنحاول أن نعالج هذه الجوانب من خلال العناصر التالية :

١) المرأة في المجال الدعوي.

٢) المرأة في مجال العلم.

٣) المرأة في المجال الأسري.

٤) المرأة في المجال الجهادي.

أولاً : المرأة في المجال الدعوي:

وخير ما نبدأ به هو سيدة نساء النبي خديجة بنت خويلد أول من أسلم وآمن به ﷺ إذ تفرست في نبينا محمد ﷺ وتفرست فيه المستقبل الوضيء. فشاركته التجارة ثم الحياة الزوجية ، وأحاطته بكل ما لديها من حنان ورقة ، ورعاية . هي غمرته بحنان عظيم وقائلة له بكل ثقة بعد أن عاد من الغار ، بعد أن جاءه جبريل عليه السلام ، أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، تصدق الحديث ، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر (١) .

(١) ينظر :محمد الغزالي ، فقه السيرة (ط٧ ، مكتبة حسان ، القاهرة :١٩٧٦م) ص٩١ / أحمد الجدع، نساء حول الرسول (ط١ ، دار الضياء ، الأردن ، عمان ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)ص١٤-٢٠

لقد أخذت الأمر بجدية تامة ، ثم أفاضت عليه بحنانها ، فأذهبت عنه هذا الفزع ببضع كلمات عميقة سرت فيه مسرى الدم في العروق ، لم ينته دورها هنا بل سارعت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل مستفسرة ، ولم تقر عينها حتى أتته بالخبر اليقين الذي أثلج صدره.

فسارت معه في رحلته النبوية خطوة خطوة مؤازرة له بالرأي السديد ، والمال الوفير، والعمل الجاد ، حتى إن النبي ﷺ من شدة حبه لها سمى العام الذي توفيت فيه هي وعمه أبو طالب بـ(عام الحزن) ، وبقيت ذكراها في قلبه إلى أن أخذه الله إلى جواره.(١)

"عن عائشة قالت كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء ، قالت ذكرها يوما فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عزوجل بها خيراً منها. قال: ما أبدلني الله عزوجل خيرا منها ، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عزوجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء.(٢)

تلك هي المكانة العظيمة التي احتلتها خديجة رضي الله عنها من الرسول الكريم ، سيد الخلق أجمعين ، وكتب السيرة ترفدنا بمثل هذه القصص والمواقف لهذا السند العظيم ،تلك هي المرأة الجديرة بالذكر والثناء ، التي تستحق قوله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها).(٣) لقد تجلى فيها معنى الآية ؛ إنها السكن والهدوء ، والراحة، فقد كانت التي أسعدته في رمضاء الجاهلية ، وزمهريرها . لقد تركت بصمات على صفحات الدعوة ،

(١) ينظر: كتب السيرة . وللرحمين السابقين.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(٣) سورة الروم ،الآية ٢١

وخلدت نفسها بأبناء ورثوا منها خصالها، وشيمها. إنها ابنتها الصغرى فاطمة ، استطاعت أن تكسب قلب والدها الحنون ، وتفوز بلقب سيدة نساء العالمين، لقد فعلت ما عجز عنه الرجال الأفذاذ.

(عن ابن مسعود قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابت له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد ، فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه ، قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة ، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعاء عليهم ، وكان إذا دعا دعاً ثلاثاً ،وإذا سأل سأل ثلاثاً ، ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات ، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ،ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وذكر السابع ولم أحفظه فو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر)(١)

لم يتوقف مجال الدعوة على البيت النبوي ، بل كل من نطق بالشهادتين هرع إلى نصرة الدين ، وإعلاء كلمته. فهذه أسماء بنت أبي بكر يقول لها الرسولﷺ: (أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة)(٢)

(١) أخرجه النسائي في الصحيح

(٢) أحمد الجدع (مرجع سابق) ص١٠٥

لم تكتف بالإسلام ، والإدلاء بالشهادة ، ولكنها شاهدت وشهدت ما شهده المسلمون ، ومن بين ما فعلته في سبيل الدعوة ؛ أن افتدت بنطاقها فأخذته وشقته نصفين فجعلت واحدا لقربة النبي والآخر لسقائه (صلى الله عليه وسلم) ليلة خرج الصاحبان إلى المدينة مهاجران ، وكانت تذهب بالزاد إليهما خلسة دون أن تقصها عين راء، في فترة كانت الرقابة على المسلمين محكمة أشد إحكام ، فتتكبد مشاق الطريق وهي حاملة معها الطعام إلى جبل ثور والذي يبعد عن مكة مدة ليست يسيرة ، وذلك لمدة ثلاث ليال.(١)

فهؤلا نسوة ساعدن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قريب لقربهن به ، واللائي كن بعيدات أيضا أسهمن بما استطعن . أسماء بنت عميس تفر بدينها في سبيل الدعوة ، وتكابد ما كابده الرجال حين هاجرت مرتين ، تجوب الفيافي متجة إلى الحبشة ، بعدها انطلقوا إلى المدينة.

(قالت أسماء بنت عميس يا رسول الله :إن رجالا يفخرون علينا ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين ، فقال رسول الله ﷺ: بل لكم هجرتان، هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مرهنون بمكة ثم هاجرتم بعد ذلك)(٢) وبذلك حصلت على شرق تلقيبها بـ(صاحبة الهجرتين).

وهذه أخرى تصدق نفسها بالإسلام ،إنها أم سليم(الرميصاء ، أو الغميصاء).

عن أنس بن مالك ﷺ قال: (جاء أبو طلحة يخطب أم سليم فقالت: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركا ،أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار ، وأنكم لو أشعلتم نارا لاحترقت؟ قال :فانصرف وقد وقع في قلبه من ذلك موقعا ، قال: وجعل يجيئها يوما إلا قالت له ذلك. قال: فأتاها يوما

(١) المرجع السابق

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (دار بيروت للطباعة :د١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)ج٨ ص٢٨١/ وردت القصة بلفظ مغاير في البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وأبي داود

فقال: الذي عرضت علي قد قبلت ، قال: فما كان لها مهر إلا إسلام أبي طلحة)(١)

إن المتمعن في هذه الرواية يجد فيها من الفوائد الكثير ، والعظمة البالغة من موقف هذه الصحابية الجليلة ، التي تغلغل الإيمان في نفسها فخالط روحها ؛ إنه أسلوب جميل للإقناع ، أسلوب يحاكي الضمير السليم ، فكان لها ما شاءت بإذن الله.

أيضا كانت المرأة من أوائل الشهداء إنها سمية ماتت وهي تردد في إيمان كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، ماتت تحت وطأة التعذيب ، والقهر ، وهي تخير بين الكفر أو التعذيب المر ، تحت شمس لافحة ، فوق أرض ملتهبة ، ولكنها أبت إلا أن تختار جنات ربها مصابرة مكابرة ،في حين نجد ابنها عمارا لم يقدر على هذا الوابل العظيم من العذاب.(٢)

وتاريخ الصحابيات المسلمات حافل بالمواقف الجريئة التي يقف أمامها الشجاع ذاهلا معتبرا . ورغم كل هذا لم تغفل المجالات الأخرى.

ذلك هو جهاد المرأة في مجال الدعوة ، وهو وثيق الصلة بالمجال العلمي ، فما هو دورها فيه؟

ثانياً: المرأة في مجال العلم

عن أبي موسى الأشعري قال: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه).

(١) ابن سعد ، مرجع سابق ج٨ ص٤٢٦-٤٢٧

(٢) ينظر: محمد الغزالي (مرجع سابق) ص١٠٧-١٠٨

وعن مسروق قال: (نحلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسألون عائشة عن الفرائض).

وعن عروة عن أبيه قال: (ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ، ولا بفريضة ، ولا بحلال ، ولا بحرام ،ولا بشعر ، ولا بحديث ، ولا بنسب من عائشة).(١)

إنها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، إنها لموسوعة حقا ، معين من العلم لا ينضب ؛ فرائض ، وعلم الحلال والحرام ، وشعر ، وأدب ، وأنساب ، وطب أيضا ، فلم تكتف بعلوم العرب فزادت عليها الطب.

عن هشام بن عروة قال: (كان عروة يقول لعائشة: يا أمنا لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر ولا أعجب من علمك بالشعر، وأيام العرب ، أقول ابنة أبي بكر ، وكان أعلم الناس ، أو من أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب. قال :فضربت على منكبه ، وقالت : أي عروة إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره ، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها من ثم.(٢)

لم تمنعها أنوثتها ولا حياؤها من طلب الفريضة وتناقش وتستفسر فيما يخص دينها وأشكل عليها "حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضي الله عنها) تتحادث مع رسول الله ﷺ في تفسير آية ، يروى أن الرسول ﷺ ذكر عند حفصة أصحابه الذين بايعوه تحت الشجرة في صلح الحديبية، فقال لا يدخل النار إن شاء الله أصحاب الذين بايعوا تحتها. هكذا قال رسول الله لحفصة ذاكرا أصحابه المبايعين بالخير ومبشرا لهم بالنجاة من النار. كان من الممكن لحفصة أن تسكت ، ولكن حفصة تتذكر آية من القرآن الكريم فهمت منها غير الذي فهمته من حديث الرسول.

(١) جميع الروايات عن: ابن الجوزي ، صفوة الصفوة تحـ: محمود فاخوري (دار المعرفة ، بيروت ، لبنان (د.ت) م٢ ص٣٢

(٢) المرجع السابق ص٣٢-٣٣

فقالت وكأنها تستدرك عليه : بلى يا رسول الله . فزجرها الرسول ﷺ ولكنها – وكأنها تصر على رأيها- تلت قوله تعالى :(وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) (١) فقال لها النبي ﷺيردها إلى الصواب: (ثم ننج الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا).(٢) (٣)

وأدل على ما أقول هو مسارعتهن إلى العلم، والاستزادة منه في حضرة المصطفى ﷺ، والاغتراف من معينه الذي لا ينضب.(عن أبي سعيد الخدري : قالت النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك ، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن ، وأمرهم فكان فيما قال لهن : ما منكن أمرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار، فقالت امرأة :واثنين؟ قال :واثنين)(٤)

كانت المتعلم والعالم والمعلم ،تصيدت العلم من تلابيبه ؛ تكلمت فأبلغت، جادلت فأفحمت ، اجتهدت فأصابت ، قالت شعرا فكانت أشعر الشعراء.

قيل لجرير من أشعر الناس؟ . قال : أنا لولا الخنساء ، قيل :لم فضلتك؟ قال : لقولها

إن الزمان وما يفي له عجب أبقى ذنبا فاستأصل الراس

إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس.

وكانت تنافس الشعراء الفطاحل أمثال: حسان بن ثابت والأعشى ، وكانت تغلبهم بقوة شعرها ، وقوة كلماتها ، وروعة أوصافها..

(١) سورة مريم الآية ٧١

(٢) سورة مريم ، الآية ٧٢

(٣) أحمد الجدع ، (مرجع سابق) ص٦٩-٧٠

(٤) ابن سعد (مرجع سابق) ص٤٥٧

لذلك كان النبي ﷺ يعجبه شعرها فيستنشدها.(١)

إنها المرأة الحقيقية ، جمعت بين الحلم والعلم ، وبين الحنان والشجاعة ، وجمعت بين الصرامة والكرامة. ومع كل هذا لا تهمل دورها الرئيس ، فكانت الأم وأي أم ، نعم المعين ، والمحضن ، وكانت الزوجة ، وأي زوجة نعم العش والمسكن.

ثالثاً:المرأة في المجال الأسري

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكس أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال إخ إخ ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير غيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال : والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه ، قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني) (٢)

(١) عمر رضا كحالة ، أعلام النساء ، (ط١٠، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،لبنان :١٤١٢هـ-١٩٩١م)ج١ ، ص٣٦١

(٢) رواه البخاري ، ومسلم ، وأحمد مع اختلاف في بعض الألفاظ

هذا غيض من فيض، وأخبار الصحابيات الجليلات ملئ بمثل هذه الأخبار التي نستنتج منها ما يلي:

- كيف كان القوم بثاقب نظرهم يتخيرون لبناتهم ، لا يعبأ أحدهم بمال أو رياش من حطام الدنيا، الذي ينضب ويفنى ، فها هي أسماء بنت أبي بكر يزوجها أبوها من رجل لا يملك غير بعير يستقي عليه وفرس للجهاد ومن الرجل؟ هو سيف الله الزبير أحد العشرة المبشرين بالجنة.
- كيف يتعاون الأزواج في هذه الحياة ويحمل كل قسطا من متاعبها حتى يهون الخطب.
- كيف تكون المرأة أمينة حريصة على راحة زوجها ، حريصة على حفظ عرضه، ومراعاة غيرته في حضوره وغيبته ، متحلية بخلق الحياء وهو أجمل ما تتحلى به كرائم النساء.
- كيف يألم الرجل لنصب زوجه ويواسيها بالكلم الطيب ويقدرها قدرها ، ويكبر عليه أن يجدها في مشقة.. .(١)

نعم الزوجة أسماء ، ولولا الضروة لما تركها الزبير على حالها ، ومما هو أدل على اضطرارها ، عندما بعث إليها أبوها أبو بكر (رضي الله عنه) الخادم يكفيها سياسة الفرس قال: فكأنما أعتقني.

إن المرأة لم ينفعها لا نسبها ولا حسبها ، كل نفس بما كسبت رهينة ، وإنما عليها بنفسها ، اعتماد على النفس كامل لا هوادة فيه ، فإذا تزوجت ألقيت عليها المسؤولية كاملة مع زوجها ، تلك فاطمة أحب الناس إلى أبيها محمد (صلى الله عليه وسلم) أتت أباها الحليم تشكو إليه ما تلقى من وقع الرحى على يدها.

(١) محمد محمد يوسف، المسمو الواعظ ج٢ ص٣٧ (د.ت)

"قال علي (كرم الله وجهه) لابن أعبد: يا ابن أعبد ألا أخبرك عني وعن فاطمة؟

كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي فجرت بالرحى حتى أثرت الرحى بيدها ، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها ، وقمت (كنست) البيت حتى أغبرت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها ، وأصابها من ذلك الضر.

عن عطاء بن أبي رباح قال: إن كانت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ لتعجن وإن قصتها لتضرب الأرض والجفنة"(١)

حتى في ليلة عرسها ، لم تمنعها تلك الزينة ولا الحناء عن أداء دورها . قالت أم سلمة .. فتزوجني رسول الله (صلى اللهِ عليه وسلم) فانتقلني فأدخلني بيت زينب بنت خزيمة أم المساكين بعد أن ماتت فإذا جرة فاطلعت فيها فإذا فيها شيء من شعير، وإذا رحى وبرمة (٢) وقدر ، فنظرت فإذا فيها كعب من إهالة(٣) قالت: فأخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته في البرمة ، وأخذت الكعب من الإهالة فأدمته به. قالت: فكان ذلك طعام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة عرسه"(٤)

عروس في ليلة زفافها ؛ ليلة تطرح فيها الفرش والسجاجيد ، وتقدم فيها المأكولات والأطعمة المنوعة ،وتضاء فيها الأنوار المتلألئة ، تجد فيها طعامها صدفة في بيت كان لغيرها ، لم تتباك ، ولم تتخاذل ولكنها انطلقت بكل عزم وقلب رحب واسع كالبحر اللجي ، باحثة عما تقدمه لزوجها الحبيب المصطفى ﷺ ، فإذا

(١) ابن الجوزي ،(مرجع سابق) ص١٣-١٤

(٢) البرمة: القدر من الحجارة

(٣) الإهالة: الشحم والزيت وكل ما أوتدم به

(٤) ابن سعد (مرجع سابق) ص٩٢

بشعير في جرة ، أخذته وطحنته وعصدته في البرمة فأدمته بالكعب فكان طعامها وطعام زوجها، وأول لقمة مشتركة بينهما.

لم تقتصر مهمة المرأة في تحضير الطعام والشراب وما إلى ذلك ، فقد كانت الطبيب النفسي الذي لم يلتحق لا بجامعة ولا بكلية قط ، إنها جامعة الحياة فهذبها الدين أيما تهذيب.

قال أنس ثقل ابن لأم سليم من أبي طلحة فخرج أبو طلحة إلى المسجد ، فتوفي الغلام فهيأت أم سليم أمره (غسلته طيبته ، وكفنته) وقالت : لا تخبروا أبا طلحة بموت إبنه ، فرجع من المسجد ، وقد يسرت له عشاءه كما كانت تفعل ، فقال: ما فعل الغلام ؟ قالت : خيرما كان :فقربت له عشاءه فتعشى هو وأصحابه الذين معه، ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة فأصاب من أهله ، فلما كان من آخر الليل قالت: يا أبا طلحة ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها ، فلما طلبت إليهم شق عليهم؟ قال: ما أنصفوا ، قالت :فإن ابنك فلان كان عارية من الله فقبضه إليه . قال: فاسترجع وحمد الله فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فلما رآه قال: بارك الله لكما في ليلتكما فولدت له عبد الله بن أبي طلحة".(١)

وأم سلمة استطاعت أن تجمع شمل الأمة ، وترفع عن النبي ﷺ هماً أثقل كاهله برأيها الحصيف السديد ، وبفكرها الثاقب ، "حينما وقع الرسول ﷺ على صلح الحديبية فرأى كثير من الصحابة أن الشروط المقر عليها في الاتفاق مجحفة في حق المسلمين الذي قويت شوكتهم ، بعد أن بذلوا لذلك النفس والنفيس ، ولكن ذلك وحي من الله ، فعصى القوم أمر رسولهم حينما أمرهم أن يحلقوا ، وينحروا هديهم ، من شدة الغيظ الذي خيم عليهم.

(١) المرجع السابق ص٤٣٢

ولما رأى الرسول ﷺ ما بأصحابه دخل على أم سلمة ، والهم أعياه يشكو لها ما لقي من أصحابه .. فقالت له : يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ، فلما رأى المسلمون ما وضع النبي زال عنهم الذهول ، وأحسوا خطر المعصية لأمره فقاموا – عجلين – ينحرون هديهم ، ويحلقون بعضهم بعضا ، حتى كاد يقتل بعضهم بعضا لفرط الهم.(١)

ولا نغفل هنا دور السيدة زينت التي كانت أسرع نساء النبي لحوقا به ؛ لطول يدها، ليس الطول الحسي وإنما في فعل الخيرات ، وعمل المعروف والإحسان ،إذ كانت تعمل بيدها ، وتدبغ وتخرز لمساعدة اليتامى والأرامل فكانت مفزعا لهم.

"عن عائشة (رضي الله عنها) ، قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه أولكن يتبعني أطولكن يدا .قالت عائشة : فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول ﷺ نمد أيدينا في الحائط نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش ، وكانت امرأة قصيرة ،ولم تكن أطولنا يدا ،فعرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد بطول اليد الصدقة ،وكانت امرأة صناعا ، وكانت تعمل بيديها ، وتتصدق في سبيل الله عزوجل ، وعن عائشة قالت: فكانت تدبغ وتخرز ،وتتصدق في سبيل الله.(٢)

وكانت كريمة إلى آخر أيام حياتها "عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: لما احتضرت زينب بنت جحش أرسل عمر بن الخطاب ﷺ إليها بخمسة أثواب من الخزائن يتخيرها ثوبا ثوبا ، فكفنت فيها ، وتصدقت أختها عنها خمسة بكفنها

(١) محمد الغزالي (مرجع سابق) ص٣٦٢-٣٦٣

(٢) ابن سعد (مرجع سابق) ص١٠٨-١١٠

الـذي أعدتـه تكفـن فيـه. قالـت عمـرة بنـت عبـد الـرحمن : فسـمعت عائشـة تقول: ذهبت حميدة فقيدة ، مفزع اليتامى والأرامل.(١)

لقد جعلت رضي الله عنها نفسها وقفا في سبيل الله ، تصنع وتدبغ ، وتخرز من أجل اليتامى والأرامل لبلوغ المرام ، ففاقت جميع العظام.

فالمسلمة لم تبخل بكل ما أوتيت ؛ فآثرت دينها وزوجها ، وأولادها ، وأهلها والفقراء والمساكين ، واليتامى مقابل راحتها ، ومصلحتها طلبا لرضاء رب العالمين.

والأكثر من هذا – يقولون إن المرأة أقل شجاعة من الرجل ، قد يكون هذا حقا إذا نظرنا إلى القضية من نظرة شمولية ، ولكن هذا لا يعني أن لا يكون هناك نماذج للشجاعة الفائقة في النساء كما نرى مع المسلمة المجاهدة فهي لا تقل شجاعة وإقداما عن الرجل – لقد قدمت أعظم ما يكسبه الإنسان ، ويحرص عليه الحرص الشديد ؛ إنها النفس ، تسارع بها شارية إياها لنيل الشهادة سراعا ، والفوز بجنة الرضوان.

رابعا: المرأة في المجال الجهادي

طلبت الشهادة غير مبالية بزخرف الدنيا ، وبريقها مقابل نعيم بال لا يدوم ..أم ورقة بنت عبد الله تبحث عن الشهادة تذهب إليها برجليها ، ورضاها ، "كان رسول الله ﷺ حين غزا بدرا قالت له: تأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم ، وأمرض مرضاكم لعل الله يهدي لي الشهادة . قال: إن الله مهد لك شهادة . فكان يسميها الشهيدة".(١)

(٣) المرجع السابق

(١) المرجع السابق ص٤٥٧

وثمة نموذج آخر للبسالة والشجاعة: (أم عمارة) نسيبة بنت كعيب ، أسلمت وحضرت ليلة العقبة، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت مواقف كثيرة منها أحدا ، والحديبية ، وخيبر ، وحنين ، ويوم اليمامة.

لقد كان لها موقف عظيم عظم الجبال يوم أحد ، شهدت أحدا مع زوجها غزية ابن عمرو وابنيها ، وخرجت معهم بشن لها أول النهار ، تريد أن تسقي الجرحى ، فقاتلت يومئذ ، فأبلت بلاء حسنا ، وجرحت اثني عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف ، فكانت أم سعيد بنت سعد بن ربيع تقول: دخلت عليها فقلت حدثيني خبرك يوم أحد. قالت : خرجت أول النهار إلى أحد ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاة فيه ماء . فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ،فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ، فجعلت أباشر القتال ،وأذب عن رسول الله بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلي الجراح . قالت : فرأيت على عاتقها جرحا له غور أجوف ، فقلت: يا أم عمارة من أصابك هذا؟ قالت : أقبل بن قميئة ، وقد ولى الناس عن رسول الله ، يصيح: دلني على محمد نفلا نجوت إن نجا ، فاعترض له مصعب بن عمير ، وناس معه فكنت فيهم فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان.

وحسبها أن قال فيها الرسول الكريم وهو يخاطب ابنها: بارك الله فيكم أهل البيت مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل البيت.."(١)

مثال آخر على الجهاد ؛ أم سليم (الغميصاء ، أو الرميصاء) فرغم حملها لم تحرم نفسها من الجهاد "فما إن أسلمت وبايعت الرسول ﷺ حتى شهدت أحداً

(١) ابن سعد (مرجع سابق) (ط مطابع شركة الإعلانات الشرقية) ج ٨ ص٣٠١-٣٠٣

فكانت تسقي العطشى وتداوي الجرحى وشهدت يوم حنين وهي حامل بعبد الله بن أبي طلحة وكانت على قدر من الشجاعة ،اتخذت خنجرا يوم حنين . فقال أبو طلحة :يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر .فقالت :يا رسول الله أتخذه إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه ،وأضرب أعناقهم. فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن".(١)

لم تكتف المجاهدة بنفسها ، فالخنساء افتدت بفلذات كبدها ، حين حضرت القادسية، ومعها بنوها الأربعة ، قبل الدخول في الميدان شحذت هممهم بكلمات تُحول الجبان شجاعا ، والشاك متيقنا ، ثم انصرفوا بقلوب مليئة بالإيمان ، وفاضت بها، فأبلوا بلاء حسنا ،فقاتلوا حتى قتلوا جميعهم ، فلما بلغها خبرهم ، ما بكت ولا ناحت ، ولا صاحت ، ولكنها قالت كلمات مختصرة جليلة تحمل في ثناياها الإيمان القوي ، والجلد العظيم(الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته).(٢)

إن الأمثلة كثيرة من أمثال هؤلاء النسوة اللائي استطعن أن يخلدن أنفسهن في جنات النعيم ، مع الأنبياء والصالحين ، ويدخلن التاريخ من باب واسع مخلدات أنفسهن بذكريات كتبت بماء الذهب.

الخلاصة:

يستخلص من هذا المبحث أن المرأة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) شاركت في شتى الميادين ، مراعية بذلك ما يقتضيه الدين ، ومراعية أيضا حقوق غيرها ، فقد كان لها حقوق ، استفادت منها ، ولكن في المقابل هناك واجبات تجاه

(١) ابن سعد (مرجع سابق) ص:٢٢٥ بتصرف

(٢) ينظر :عمر رضا كحالة ،(مرجع سابق) ص٣٦٨-٣٦٩

غيرها فأدتها ، فاستطاعت أن تجمع بين الأمرين دون التفريط في أحدهما ، مراعية بذلك الضرورة ، والأولويات.

المبحث الأول: الخلفية التاريخية لخروج المرأة الغربية للعمل

نظرا إلى أن الكثير من النساء المسلمات أنما خرجن من بيوتهن للعمل خارجها اقتداء وتقليدا للمرأة الغربية ، فإني رأيت أن أخصص هذا المبحث الخاص للخلفية التاريخية لخروج المرأة الغربية ، لما له من الاتصال المباشر بموضوعنا.

إن كثيرا من النساء المسلمات أو العربيات ، يجعلن المرأة الغربية خاصة ، والحضارة الغربية المثل الأعلى الذي يقتدى به ، فكثير منهن إذا سئلن عن سبب العمل : اقتداء بالمرأة الغربية التي تمثل قمة التحضر ؛ ولأن العالم الغربي تطور وازدهر لأنه لم يضيع طاقة المرأة وجعلها ترفد الحضارة بعطائها المدرار في كل الميادين ، ودعاة خروج المرأة المسلمة أنفسهم كلما نادوا في محفل أو نادوا بالمساواة أشاروا إلى المرأة الغربية ، التي أخذت حقوقها ، وخرجت إلى ميدان العمل لتنافس الرجل في الميادين مزاحمة إياه بالركب والأقدام ، دون إستثناء.

ولكي نتأكد من صحة هذا الاستدلال ، يحسن بنا أن نلم بالأسباب التي صيرت المرأة الغربية في هذه المنزلة ، والظروف التي جعلتها تعمل سواء راغبة أو مكرهة في كل ميادين العمل.

لا يمكن لنا أن نضع منطلقا محددا ، أو نقطة بداية معينة ، فنقول أنه من هنا بدأت المرأة خروجها للعمل إذ "ليس في التاريخ خطوط حاسمة بطبيعة الحال. فكل خطوطه متداخلة بطيئة التحول ، ومع ذلك فبعض الخطوط بارزة على صفحة

الزمن ، شديد الوضوح"(١) ، ومن أهم هذه الخطوط التي أدت الدور الهام والحاسم في هذه القضية ؛ ظهور الرأسمالية ، والمادية المتمثلة في الثورة الصناعية.

1) الثورة الصناعية: بدأت الثورة سنة (١٧٦٠م) في انجلترا.

فبعد أعوام وقرون من الإقطاعية الجائرة التي استغلت العنصر البشري أبشع استغلال ، ظهرة الثورة الصناعية لتكون المخلص الوحيد ، والملجأ الأمثل من زفير الإقطاعية المتوحشة ، إذ كانت الحلم الذي طالما انتظره الأوربي القابع تحت وطأة الجور المتمثل في الإقطاعيين وممارستاهم المتنوعة المليئة بالحيف ، كل هذا كان يحدث في المناطق الزراعية في الأرياف ؛ إذ لم تكن آنذاك مصانع ، ولا آلات ، وإنما الركيزة الرئيسة هي الزراعة ، والمورد الوحيد لسد رمق العيش عند الأوربي ، لذلك كان عليه قبول العمل مستأجرا أو عبدا مجبرا لا مخيرا.

ومع هذه الصور القاتمة للمعيشة التي كان يعيشها الأوربي بدأ العلم يجد طريقه نحو التطور والإبداع فبدأت العلوم بالبروز والتعدد ، وبدأت المخترعات تظهر على أيدي علماء كبار ، بعد أن رأوا الويلات على يد القساوسة والرهبان ، الذين وقفوا أمام كل جديد ، وأمام كل علم تحت شعار الكنيسة ، التي أوهمت الناس أن كل شيء في الكون ثابت لا متغير فيه ، فحملتهم على الرهبنة صارفة أذهانهم عن الدنيا.

ومن هذا المنطلق بدأت الآلات تظهر وتنتشر ، والصناعة تتطور بخطوات سريعة نحو الأقوى والأحسن ، وبه زادت الأموال وقلت اليد العاملة مع كثرة الآلات ، ودعت أصحاب رؤوس الأموال إلى إيجاد العمال الذين يحركون عجلة النمو والتطور ، وفي الوقت نفسه إيجاد أسواق استهلاكية قوية ، تساعد على استهلاك

(١) محمد قطب : معركة التقاليد (ط١٣٨٦هـ-١٩٦٧م) ص١٠

هذه المنتجات ، ورواجها بين الناس ، فما كان عليهم سوى استقدام المزراعين الذين يتشوقون لإيجاد بديل يخلصهم من عصى الإقطاعي وقبضته ، وهكذا بدأت هجرة الذكور دون الإناث لأن التجربة جديدة ، وكل جديد يتسم بالتحفظ بادئ الأمر ، وكذلك كانت هجرة الرجال على أساس مؤقت بقصد جلب الأموال لأهليهم ، على أن يعودوا إليهم متى سنحت الظروف ، ومع مرور الزمن وجد أولئك المزارعون الحياة التي كانوا يحلمون بها في المدينة ، فانغمسوا في مغرياتها ، فكان مهم من نسي أهله ، ومنهم من كبلته الديون التي هي لأصحاب المصانع ، ومنهم من ضاع خبره في آفاق المدينة ، ومع طول الزمن صعب الأمر على النساء والأطفال الذين ظلوا يترقبون أهليهم الذين لم يعودوا ، فحملوا متاعهم هم الآخرون ميممين وجوهم صوب المدينة طلبا للرزق وخوضا لمعركة البحث عن أزواجهم وآبائهم الغائبين ، وهكذا تعددت الأسباب الدافعة بهم إلى المدينة ، وبذلك تكاثرت أعداد الناس ، وزادت متطلباتهم ، وعسرت عليهم المعيشة ، فما كان على الرجال الذين كانوا يحملون كلفة الإنفاق على بيوتهم إلا أن تركوا نساءهم يدخلن في هذا الخضم ، بعد أن زادت المنتجات وازدادت الحاجات إليها ، فكثير من الحاجات كان الناس لا يعرفونها ولما ظهرت تعودوا عليها فأصبحوا لا يستطيعون الاستغناء عنها وهكذا ، والنسوة اللائي هاجرن أجبرتهن الظروف أيضا على العمل نظرا لافتقادهن العائل الذي يقوم على الإنفاق ، وبهذا بدأت تتزايد أعداد النساء في مجال العمل ، مع إغراءات أرباب الأموال للنساء ، واستغلال جمالهن ، وأجسادهن لترويج سلعهم ، وكان بعضهن السلعة ذاتها.

٢) الحروب والطاعون:

وبمرور الزمن أصبح عمل المرأة الأوربية أمرا ضروريا ، فمع الأسباب السالفة ظهرت حروب طاحنة أودت بالكثير من الرجال ، فخربت هندسة المدنية ، واحتاجت إلى إعادة إعمار ، وقلت الأموال لما خلفت الحرب من خسائر فادحة في الأرواح ،والأموال والمنشآت ، فدخل ما بقي من الرجال لخوض معركة ثانية تتمثل في إعادة تشييد البنايات، والبيوت والمدارس ، فأسهمت المرأة معه للضرورة التي استدعتها ظروف الدولة ، والحاجة إلى المال للاقتيات.

وانتشار الطاعون الأسود الذي أصاب أوربا ، أودى بالكم الهائل من البشر وقل العنصر البشري والمادي الذي استدعته ضرورة المعالجة ومحاربة سطوة الطاعون المبيد ، وفي الوقت ذاته بدأت الحرب العالمية الأولى فالثانية بعدها ، كل هذا كان لزاما على المرأة أن تتقمص شخصية الرجل الذي سلبته الحروب نفسه ، وقضت على أعداد رهيبة من الرجال والشباب.(١)

٣) هجرات الشباب:

ومع اكتشاف العالم الجديد أمريكا وبعده أستراليا اقتضت الحاجة لتهجير أعداد هائلة من الشباب ، الذي كان يتطلع إلى المغامرة ، وتحقيق الأحلام بامتلاك أراض والفوز بقصب السبق لاقتحام هذا العالم الجديد الذي أغراهم ، سواء كانوا مهاجرين للاستيطان هناك ، أم تحت راية خوض غمار الحرب ضد الهنود الحمر،ثم تلتها الهجرات إلى أستراليا التي كانت على النسق نفسه الذي اتخذ مع أمريكا. كانت أعداده هائلة عظيمة ، تركت أوربا لشيوخها وكهولها يكابدون الحياة بأنفسهم ، والنساء والأطفال يتجرعون مرارة غربة أهلهم.

(١) ينظر:المودودي (م.س) ص٦٦-٩٨/ عمل المرأة في الميزان (م.س) ،ص:١٢٥-١٣١/شبهات حول الإسلام (م.س) ص٩٦-١٠٠

كل هذه الأسباب وغيرها كثير تضافرت على المرأة الغربية لتخرجها من بيتها ، وتحول بينها وبين بقائها مع أولادها وزوجها ، لذلك عملت في كل الأدوار سواء الطيبة منها أم القبيحة ، حتى الأعمال التي تمتهن فيها أعز ما عند الأنثى (الشرف) قبلت بها سواء عن جبر أم عن اختيار ، وقبلت بربع راتب الرجل ، ومع مرور الأيام وإرضاء لها زيد إلى النصف ، إلى يومنا هذا نجد بعض النساء إن لم نقل الكثير يتقاضين راتبا أقل من راتب الرجل ، في الدول الأوربية وأمريكا ، مما جعلها تطالب بمساواتها بالرجل ، وتكون مثله سواء بسواء.

٤) الظروف المعيشية والاجتماعية:

وما تعانيه المرأة الغربية الآن من حرمان شديد لحقوقها ، سواء المدنية أم الاجتماعية أم الاقتصادية لأقوى دليل عى تعاستها ، وما تقاسية من صعوبة عيش رغم المال الوفير والرفاهية الظاهرية ، وما تبثه وسائل الإعلام من أرقام تدل على أن المرأة الغربية ممزقة بين متطلبات الأسرة ، ومتطلبات الحياة الاجتماعية المرهقة.

تقول بعض الإحصاءات إنه ارتفع عدد الأمهات العاملات اللائي يخرجن كل صباح للعمل من ٦٥٪ ، ١٠,٢ مليون عام ١٩٧٠م إلى ١٦,٨ مليون عام ١٩٩٠م في أمريكا . في ظرف عشرة أعوام ازداد العدد أكثر من ستة ملايين.

وزاد عدد الأسر التي تقوم الأم برعايتها منة سنة ١٩٧٠م من أربعة ملايين أسرة إلأى ثمانية ملايين أسرة بنسبة ٢٠٠٪.(١)

هذه الوضعية أثرت ولا شك في أن تؤول بالزواج إلى فشل ذريع إذ ينتهي بالطلاق غالبا ، وهكذا تبقى الأم وحيدة مع أولادها تصرف عليهم ، ممتهنة كل

(١) مجلة الإصلاح ، ع٨، ٣٠٠/١٩٩٤م.

المهن لكيلا يموت أولادها جوعا فلا زكاة تصرف عليهم ، ولا صدقات من محسنين تقدم لهم.

تقول الإحصاءات : في سنة ١٩٨٢م ، ثمانون بالمائة ٨٠٪ من النساء المتزوجات في أمريكا أصبحن مطلقات ، إن الكم هائل حقيقة ، فكل هذه النسبة كيف يكفي للحكومة أن تضمن لهم مصروفا شهريا ؟ هذا مما يصعب توفيره.

خلاصة القول:

إن الذين يتخذون المرأة الغربية دليلا أو نموذجا يقعون في خطأ ذريع لأن المرأة الغربية لا تصح مقياسا للمقارنة ، إذ إن المرأة الغربية وقف أمامها كم هائل من الدوافع الجبرية، التي ألزمتها أن تخرج وتعمل وتزاحم الرجال ،فلو تخلصت من دافع واحد تزاحم في عينها الكم الهائل الباقي أمامها ، فلا مفر لها ولا مناص من هذه الظروف إلا نادراً.

أمام هذا الواقع الصعب نقرأ من حين إلى آخر تصريحات لنساء غربيات ، ولا سيما اللائي اعتنقن الإسلام ، يعترفن بالراحة الكبرى التي وجدنها في ظل الإسلام، وأخريات غير مسلمات يغبطن ما عليه المرأة المسلمة من سعادة في ظل أسرهن ، ورعاية أزواجهن ، وأولادهن.

المبحث الثاني : الخلفية التاريخية لخروج المرأة المسلمة للعمل

إن المرأة المسلمة كانت تشارك الرجل في عدة مجالات ، ولكنها لم تكن تخرج عن القيم الدينية ، ولم تغفل دورها الأساسي، إذ نجدها عندما تحتاج إليها الضرورة تسارع إلى تلبية النداء دون هوادة أو تقاعس ، كما كان يحدث في الحروب ، ومع مرور الزمن تغيرت حالة المرأة المسلمة ، فأصبحت تعامل معاملة متحفظة جداً لأسباب عدة منها الخوف عليها ، لتغير القيم وضعف الإيمان في القلوب ولأسباب غيرها ، ولكن مع مرور الزمن تحولت من النقيض إلى النقيض ، ويعزى ذلك إلى الأسباب التالية :

١) انتشار الجهل وتحكيم التقاليد

اجتاحت العالم الإسلامي زوبعة تسمى "التقاليد" ، تقاليد وأعراف اتبعها الناس ابتدعوها بأنفسهم ، كانت بعيدة كل البعد عن الدين الإسلامي ، أحلوها محل الدين واهمين أو موهمين الناس بأن الدين هو ذاك ، فسيطرت على حياتهم ، وتعاملاتهم ، وكانت المقياس العام في نظر الناس الذين تفشى فيهم الجهل. كانت الضحية الوحيدة للجو السائد هي المرأة ؛ التي حرمت من حقوق عدة وهبها الإسلام إياها ، وبولغ في الخوف عليها ، لحد أنها كانت لا تخرج من بيتها سوى مرتين ؛ مرة إلى بيت زوجها ، ومرة إلى قبرها ، وذلك من جراء خوفهم عليها فحرموها حقوقها من أهمها حقها في التعليم ، وحقوق أخرى . وهذا لا يعني أن العالم الإسلامي لم يكن فيه مثقفات متعلمات ، لكن كان هذا بشكل ضئيل وضعيف.

هذا الوضع للمرأة والوضع العام في تصور الأمور كان له الدور الكبير في مسيرة خروج المرأة للعمل ؛ ويظهر هذا الدور في الردة العنيفة المقابلة جراء هذا الجهل.

٣) الإستعمار

لعب الاستعمار الحديث دورا فعالا في تغيير حياة الدول الإسلامية من جذورها، فبقي هذا الأثر متأصلا إلى ساعتنا هذه . لقد قام بانقلاب جوهري هز القيم الدينية والأخلاقية في نفوس الشعوب المستضعفة ، وأحدث فيها شرخا كبيرا يصعب رأبه.

وكان هذا الدور يؤدى تحت راية الصليبية ، ومن وراء ستار ، مواصلا بذلك مسيرة الصليبية الحاقدة على الإسلام بعد حملاتها المتكررة على أرض الإسلام التي لم تؤت أكلها بالشكل الذي كان مسطرا لها ، مما جعل الصليبيين يفكرون ويخططون مليا ، محاولين الاستفادة ، والاعتبار مما مضى. ففي " الحروب الصليبية الأولى وقع لويس التاسع ملك فرنسا في الأسر بعد هزيمة نكراء لحقت حملته ، وبقي سجينا في المنصورة فترة من الوقت حتى افتداه قومه ، وفك أسره ، وأثناء سجنه أخذ يفكر فيما حل به ، وبقومه ، ثم عاد يقول لقومه : إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح ، ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم".(١)

فمذ ذلك العهد وهم يفكرون ويدبرون ، ويرمون للوصول إلى أسهل الطرق ، وأكثرها نجاعة، فكانت البداية هي التي قام بها قائدهم الفرنسي نابليون بونابرت ، الذي دخل مصر سنة ١٧٩٨م ، بأفكار مغلفة بالرقي والحضارة.

(١) محمد قطب: واقعنا المعاصر ، ص١٩٦ (ط٢ مؤسسة المعرفة للصحافة . جدة السعودية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م

فوضعوا أثقالهم في قلب الحياة المصرية ممتزجين بأهلها ، حتى صاهر بعضهم العائلات المصرية ، فأصبح ذكر الفرنسي والفرنسية واصلا الأسماع ، وتعاملات الفرنسي مع الأنثى ، باللطافة ، والرقة ، والمودة ، مما جعل نار الحيرة تتأجج في قلوب المصريات تائهات بين الواقع المعيش ، والواقع المسموع دون الوصول إليه ، فتفتحت أذهانهن لهذه الحياة المليئة بالحرية والتعليم ، والتقدم.

بعد الاستعمار الفرنسي بدأت حملة الاستعمار تعم العالم الإسلامي كله ، تاركة بصماتها على الحياة العربية الإسلامية ، وبدأت بعض الطبقات تتأثر بحياة المستعمر ، فكان لها دور قوي في تنشيط حركة التحرر النسوية.

٣) الإرساليات التنصيرية

بعد دخول الاستعمار العالم الإسلامي جاء بنظم جديدة واستحدث وسائل تكنولوجية كالطباعة ، ونشر الكتب ، وبناء المدارس التبشيرية في بادئ الأمر ، فدخل عدد لا بأس به من الطلاب المسلمين والطالبات المسلمات في هذه المدارس التي تهدف إلى نشر المسيحية ، وتغيير القيم الإسلامية في الفرد المسلم ، تحت مسمى المدرسة ، فتأثر الكثير من البنات اللائي كن يدرسن في هذه المدارس ، وكانت بدايتها في الشام ، تخرج فيها عدد من البنات اللائي يحملن أفكارا غربية نشرتها تلك المدارس ، وغرستها في عقولهن، وهؤلاء البنات كان لهن دور أيضا في بعض البلدان الإسلامية الأخرى ، يقول القسيس (زويمر) رئيس الإرساليات التبشيرية في رسالته التي بعنوان: (العالم الإسلامي اليوم) : لم يسبق وجود عقيدة متينة على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارتي آسيا وإفريقيا. ينبغي للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة إذ

من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير المرأة.."(١)

٤) البعثات

ومما جاء به الاستمار التبادل العلمي ، أو بالأحرى إرسال نماذج شابة من الطلاب للدراسة في الدول الاستعمارية كما وقع في مصر والشام والمغرب العربي، فلعبت هذه البعثات دورا جديا في قضية التحرر ، فمعظم الذين اتجهوا إلى الدول الأروبية تغيرت أفكارهم ، وجاءوا بفكر غربي محض، ساهمت في الثورة النسوية، والثورة على التقاليد السائدة آنذاك ، وهذا لا يعني أن نغفل الدور النهضوي في العلم ، من هؤلاء رفاعة الطهطاوي ، وقاسم أمين ، وهدى شعراوي، كل هؤلاء وغيرهم شاركوا بأفكارهم وأقلامهم في وسائل الإعلام ؛ في الجرائد والمجلات والمحافل لنشر أفكار التحرر، على امتداد العالم الإسلامي ، وساهموا أيضا بشكل فعلي في المنطلق الجدي لهذا التحرر ، أمثال هدى شعراوي ، وصفية زغلول ، في المظاهرات التي حدثت في مصر ضد الاستعمار سنة ١٩١٩م ، إذ قمن بنزع حجابهن حرقه ، أمام الناس ، فكانت أول خطوة فعلية للتحرر.

٥) حركة التغريب

ترك الإستعمار بصماته واضحة على المجتمع الإسلامي حتى بعد أفوله من البلاد الإسلامية ، وعلى شخصيات سياسية كبيرة بوجه التحديد ؛ لغرض سوف يخدمهم لاحقا ، لينتهجوا نهج الاستعمار في السياسة ، والحكم ، ونذكر منهم مثلا لا حصرا : محمد علي ، وابن بلا ، والحبيب بو رقيبة.

(١) ...

اتبع هؤلاء النهج الغربي المحض في السياسة ، فأثر ذلك على الطابع العام للدول الإسلامية ، ومن بينهم المرأة ، فقد كثفوا كل ما لديهم من أجل تحويل المرأة من الحياة الإسلامية إلى الحياة المتغربة ، فاستعملوا كل الوسائل بالترغيب والترهيب كما حدث ويحدث في تونس والجزائر مثلا ، عن طريق سن القوانين الجائرة ، ونشر الأفكار المخالفة للدين والمطابقة لقوانين الغرب الصليبي ، يقول بن بلا مثلا مخاطبا المرأة: إن المرأة الجزائرية امتنعت عن خلع الحجاب في الماضي ؛ لأن فرنسا هي التي كانت تدعو إلى ذلك أما اليوم فإني أطالب المرأة الجزائرية بخلع الحجاب من أجل الجزائر".(١)

٦) حاجة المجتمع

كان المجتمع بحاجة ماسة إلى مشاركة المرأة في الحياة العملية خاصة ما يتعلق بمجالها كالتطبيب ، والتمريض ، الذي كان يقوم به الرجال ، أو النساء الأجنبيات ، أو تعليم الإناث في المدارس ، ورفع المستوى الثقافي والعلمي للمرأة والرقي بالمجتمع ، وتحرره من ربقة التقاليد التي لا تمت إلى الإسلام بصلة.

هكذا كانت دوافع المرأة المسلمة لخروجها من البيت سواء للتعليم ، أو العمل ، وهذه الأسباب التي ذكرت من بين عدة أسباب ، دفعت المرأة المسلمة للدخول في مجال العمل المهني ، وتحمل تبعاته ، فمن النساء من خرجت لأجل الحاجة المعيشية ، ومنهن اللائي خرجن من أجل المساهمة في بناء المجتمع ، ومنهن اللائي خرجن لمجرد التقليد لا أكثر ولا أقل.

(٢) واقعنا المعاصر (مرجع سابق)) ص٢٦٠ ،

هذا فيما يخص المناطق العربية الإسلامية غير منطقة الخليج ، إذ كانت المرأة الخليجية آخر من تأثر بهذه الحركات التحررية ، وبالحركة الحديثة لخروج المرأة للعمل. إلى غاية السبعينيات بدأت المرأة تخرج إلى العمل ؛ لاستجداد الظروف على الحياة الخليجية ، لكن بأعداد قليلة ، وبصورة بطيئة ، نظرا لظروف عدة.

المبحث الثالث: الدوافع الحقيقة لخروج المرأة المسلمة للعمل

رأينا في المبحث السابق أن عمل المرأة بالمفهومَ الحديث حديث العهد . ومن هنا يتبادر سؤال يحتاج إلى جواب هو: ما هي الدوافع التي ظهرت فجأة فجعلت الكم الذي لا يستهان به من النساء يخرجن إلى مجالات العمل ، ويشاركن الرجال في معظمها.

أعداد النساء المقبلات على العمل خارج بيوتهن في تزايد مستمر فتذكر بعض الإحصاءات أن عددهن حوالي ٤٠٪ في الدول النامية(١) ،وفي عمان بلغت نسبتهن في القطاع الخاص حوالي ١٠٪ ، أما القطاع العام فعددهن يقارب خمسين وثلاثمائة واثني عشر ألفا و(١٢٣٥٠)(٢) ، وفي مصر تبلغ نسبتهن ١٨,٥٪ ، منها ٥٥٪ في القطاع الخاص(٣) . وفي الإمارات ارتفعت نسبة العاملات من ٣,٤٪ عام ١٩٨٠م إلى ١١٪ عام ١٩٩٠م ، شغلت ٢٠٪ من الوظائف العامة.(٤)

إذاً كما لاحظنا فالعدد متزايد زيادة مطردة ، وبكميات كبيرة خاصة في منطقة الخليج التي كانت تعتمد على الأجنبي بشكل كبير ، ونظرا لظروف عديدة حاولت إقحام أكبر عدد ممكن من المواطنين لسد الفراغ الذي شغله الأجنبي.

ويعود هذا أساسا إلى ظهور متغيرات جديدة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للوطن الإسلامي ككل ؛ فقد تغيرت أمور كثيرة ، خاصة بعد استقلال الدول الإسلامية فأصبح لزاما عليها أن تخطط لاقتصادها ، وتنتهج طريقا يجعلها تتحرر به من ربقة التبعية التي كانت في زمن الاستعمار ، ومن أهم هذه المتغيرات المهمة تغير

(١) طبقا لآخر إحصائية أحرتها الأمم المتحدة قبل خمس سنوات ، مجلة للشاهد ع: ٢٥ ، ١٩٩٥/٩/٩

(٢) وثيقة من وزارة الشؤون الإجتماعية والعمل ، إحصائية آخر سنة ١٩٩٦م

(٣) مجلة الأسرة (هولندا) ع٥٢ ، رجب ١٤١٨هـ . اظفر بذات الراتب ، أسماء الحسيني

(٤) الأسرة (عمان) ، ع٨٣٦، ١٩٩٦/١٢م

نمط حياة الناس ، وتغير نظم العالم الإسلامي ،إذ معظمها تحول إلى سياسة انفتاح السوق والدخول في معترك الرأسمالية ؛ والرأسمالية إقبال على المادة المحضة وعبادتها ،والسعي وراءها سعيا أعمى، والتسابق نحو الغنى ، وهذا التسابق جعل الحياة صعبة المنال ؛ لأن الثراء ليس له حدود ، فكلما اغترف الإنسان غرفة منه استزاد ، كالشارب من ماء البحر ، من هنا ضعفت القيم الدينية والأخلاقية ، وبدأت تختفي صور التكافل والتراحم والتعاون ، وبدأت الأنانية تبسط نفوذها على حياة الناس ، وكل يقول: (نفسي ، نفسي) ، وبدأ الناس ينقسمون إلى طبقات ؛ منهم الغني الغنى الفاحش ، والفقير الفقر المدقع.

مما سبق نخلص إلى أن الضرورة ، هي من أهم الدوافع التي جعلت المرأة المسلمة تعمل ، والضرورة من خلال ما رأيناه تنقسم إلى قسمين:

- ضرورة شخصية
- ضرورة عامة

أ) أولاً الضرورة

أولاً الضرورة الشخصية:

المقصود من الضرورة الشخصية هو: الظروف التي تضطر المرأة للعمل خارج بيتها مقابل أجر ، ومن هذه الظروف ما يتعلق بشخصها، وما يتعلق بمن حولها من أسرتها وأهلها.

ولو ألقينا نظرة خاطفة على أحوال العالم الإسلامي لهالنا ما نراه ؛ شعوب تطحنها المجاعة ، والفقر ، وضيق العيش في حياة مزرية ، وفتن داخلية ، وخيانات متعددة من المسؤولين وغيرهم ، وأمراض اجتماعية ، من مخدرات وانحلال

أخلاقي، وانتشار حالات الطلاق ، كل هذا جعل الناس يعيشون حياة مريرة ، عسيرة وصعبة.

هذه الأسباب وغيرها جعلت غالبية المسلمين يعيشون حياة فقيرة أو متوسطة الحال في أحسن الحالات مع ازدياد في الهبوط والركود يوما بعد يوم ، مما اضطر الناس إلى التمسك بأهداب المادة بأيديهم وأسنانهم لعلهم يظفرون بلقمة عيش ، أو قطعة خبز تسد الرمق ولو إلى حين ، وجعل الرجال يسمحون لنسائهم وبناتهم ، وأطفالهم بالدخول إلى مجالات العمل ، وبالنساء إلى التنازل عن دور الحنان والعطف مقابل السعي وراء الاسترزاق ، وما كنا نسمعه أن النساء يعملن لتحقيق المساواة مع الرجل فهذا قد نقص كثيرا نظرا للظروف التي أشرنا إليها سابقا.

تقول الكاتبة حُسن شاه: " إن الكثير من النساء الآن يعُلن أسرهن ، وهناك إحصائية هائلة في مصر تقول إن النساء هن اللائي يعلن أسرهن ، بين أرملة ، ومطلقة ، وبنات غير متزوجات ، ونساء يساعدن أزواجهن ،إني أرى أن الذي يقال أنها تعمل من أجل الرفاهية ليس صحيحا إلا نادرا ، فالذي أراه هو أن المرأة تعمل طوال النهار في البيت وخارجه لتضع الراتب كله في بيتها".(١)

إذا فالضرروة الاقتصادية خاصة هي من أكثر الدوافع انتشارا ، وأقواها إجبارا للمرأة على العمل خاصة في المجتمعات التي تعاني ضيق الحال ، كدول شمال إفريقيا ، والشام ، والعراق ، ومصر..

ويمكننا أن نوجز هذه الضرروات فيما يلي:

١) الفقر المدقع ،وعدم كفاية المال لسد الحاجة ، ولو مع وجود العائل.

(١) الشاهد ، ع٢٥

٢) عدم وجود العائل ، لموته أو طلاق المرأة منه ،أو غيابه ، وانعدام من ينوب مقامه.

٣) لسد دين سواء على المرأة أو على زوجها ، أو أحد من أهلها.

٤) عدم قدرة العائل على العمل ، لعاهة فيه أو مرض مقعد ، أو وجود حائل كسجن مثلا.

٥) وجود العائل مع استطاعته على العمل ، لكن ظروفا ما منعته عن العمل، أو مع عمل العائل ولكنه مصاب بالإدمان مثلا ، أو بسفه مما يجعله مسرفا غير محسن لصرف لمال.

وهذه بعض الأمثلة الحية لنساء عاملات جعلتهن الضرورة لذلك ، يتكبدن مشاق الحياة المعيشية ؛ بعضهن يعيل عائلة من أم وأب ، وبعضهن يحاول تسديد الديون التي عليهن أو على أزواجهن ، وهكذا. تقول فاطمة – من تونس هي واحدة من مجموعة عاملات النظافة تعمل من الخامسة حتى التاسعة ليلا – عن سبب عملها: "أعمل بسبب ضيق العيش لأن زوجي مريض"(١)

وطالبة وفي نفس الوقت تعمل ، تقول عن سبب عملها : " أعمل من أجل المال، فأنا أقيم مع أمي ، لأنها مطلقة ، فهي لا تعمل ، إضافة إلى ذلك لي أخ وأخت فأسرتي تعتمد علي ، في حين والدي يعمل في شركة كبيرة لكنه لا يصرف علينا ، والثمن زهيد بالنسبة لعائلتي فهو لا يتجاوز خمسة عشر دينارا".(٢)

ومثال آخر لامرأة حالت الظروف بينها وبين زوجها فترك العمل مما اضطرت للعمل بدلا منه تقول: أنا مثلا كان زوجي موظفا ، فلما جاء (الإحتلال

(١) للشاهد ، ع٢٥

(٢) للشاهد ، ع٢٦ ، ١٠/٩/١٩٩٥م (بتصرف)

الإسرائيلي) ترك الوظيفة ، فأنا أريد مالا حتى أصرف على بيتي وأولادي".(١)

جمعت المعلمة جواهر سليمان صورا من الاستغلال ، فهي وأختها المطلقة بين مطرقة الأب وسندان الزوج أصبحتا مسؤولتين عن منزل أبيهما، وتدفعان إيجار البيت ، وتأمين كافة مستلزماته ، وتضيف أن زوجها لا يكاد يستقر في عمل ... وهو كثير الانتقال من مؤسسة إلى أخرى ، وأيام بطالته أكثر من أيام عمله ، تقول: أصبحت مسؤولة عن بيتي ، وبيت والدي ، وأؤمن حاجتهما، ورغم راتبي إلا أني كثيرة الديون .. وفي مثل هذه الضروف لن أستطيع تحقيق أحلامي.."(٢)

تقول (زينب المكتومي) :"كنت سابقا موظفة حكومية لكنني أحلت إلى التقاعد، والمشكلة أنني استدنت من البنك ، فكان عليّ أن أبحث عن أي عمل لأسدد ديني ، فتوجهت إلى كثير من الشركات والمحلات التجارية باحثة عن عمل مناسب مهما كان العمل شريطة أن يكون مناسبا.."(٣)

وكما يقال (كاد الفقر أن يكون كفرا) ، فالإنسان لكي يعيش يجب أن يلبي حاجاته الضرورية ، وغرائزه المفطورة فيه ، ومن أهمها الحاجة إلى الطعام والشراب، والملبس والمسكن ، فإذا حالت الظروف دون هذه الحاجة انتهجت شتى السبل والمخارج لإشباع هذه الرغبة ، وممكن أن يؤدي بالأنثى إلى التنازل عن شرفها ،أو قيمها مقابل لقمة العيش ، وبعض الحالات يمكن أن تؤدي إلى السجن، أو الحجر على الممتلكات ، كالتي استدانت من البنك فإنها ليس لها خلاص إلا العمل.

(١) المشاهد ، ع٢٣ ، ١٩٩٥/٨/٢٠م

(٢) الأسرة (هولندا) ، ع:٥٢

(٣) الأسرة (عمان) ع:٨٢٢، ١٩٩٦/٨م

ثانياً: الضرورة العامة

الضرورة العامة هو ما يقابل الضرورة الشخصية ؛ أي ما يخص المجتمع والدولة والناس ، هو ما يخرج عن النطاق الشخصي.

إن للمرأة كما هو معلوم دوراً فعالا وهاما داخل المجتمع ، لانها نصفه الذي لا يستغني عنه ، وشقه الثاني المكمل للرجل ، وأهم هذه الأدوار هي الأمومة والزوجية ، تحنو على أولادها ، وتوفر لهم الجو السكوني الهادئ ، جمالا وراحة.

هذا لا يعني بالمقابل أنه لا يمكن لها أن تقدم غير ذلك ، وما هو دائر في دائرة البيت وحيزه ، هناك مجالات تصلح فيها المرأة بل هناك أخرى لا تصلح فيها سوى المرأة ، ولا يصلح فيها الرجل ، ويحتم عليها الواجب إذا تعين عليها أن تقوم بهذا العمل ؛ كأن تكون طبيبة أو ممرضة أو معلمة فيما يخص النساء أو الأطفال ، فكثير من الأدوار لا يصلح فيها سوى المرأة نظراً لملائمة ذلك الدور مع تكوينها ، ونفسيتها ، ومما يؤسف له وجود رجال أجانب ، ونساء كافرات يقمن بالكشف على عورات النساء المسلمات، في حين نجد الكثير من الطبيبات المسلمات في دول أخرى يعانين البطالة ، أو نجد القدرة لتخريج طبيبات وممرضات موجودة لتوفر الإمكانيات اللازمة.

لذلك الأمر وتلك الضرورة نجد الكثير من النساء يتحملن مرارة الاغتراب من أجل خدمة المصلحة العامة ، والمساهمة في بناء المجتمع ورقيه ، لتخريج أجيال متعلمة ، ومثقفة.

تقول حياة صلاح مدرسة اختارت هذا الخيار عن سبب هذا الاختيار حيث تعمل في مدينة بعيدة عن أهلها في جنوب تونس ، رغم ما يساورها من خواطر العزوف عن هذا العمل : لا خيار لي وليس بإمكاني حتى أن أطمع في التقاعد

المبكر .. فإن عملي ضرورة ؛ لأنه لا يخضع لرغباتي أنا فقط ، إنما هو مسؤولية وطنية ، ومستقبل جيل بكامله".(١)

إن الأعداد الكبيرة التي تتخرج من كليات الطب كل سنة ، وعدد العاملات في سلك الطب لدليل حاجة المجتمع إليهن ، وكذلك مناسبة العمل بالمرأة ؛ لأنه يحتاج إلى رأفة ورعاية وصبر وعاطفة.

في عمان مثلا نجد عدد النساء العاملات في وزارة الصحة هو واحد وسبعون وأربع مائة وألفين (٢٤٧١) عاملة ، مقابل عدد الذكور البالغ حوالي ثلاث وسبعمائة وأربعة آلاف ، وهذه النسبة للنساء تعد ثاني أكبر نسبة للعاملات بين الوزارات بعد وزارة التربية والتعليم ، ورغم هذا العدد لم يلبّ الطلب بعد.(٢)

إذا فالحاجة ماسة للمرأة في مثل هذه الظروف والمجالات ، لملائمة الدور لها وسدا للذرائع ؛ حيث نسمع المناكر تقع من بين بعض الأطباء الذين ضعف الإيمان في قلوبهم ، كما حدث من شاب انتهج التخصص الطبي ، وفي الأخير اتضح أنه اختار ذلك التخصص لإرضاء شهواته البهيمية إذ كان يعتدي على النساء وينتهك أعراضهن.

هذه الحالات – ولو كانت شاذة – فإنها تسلتزم الطبيبة مكان الطبيب : لأن الشرع أباح الكشف للطبيب الأجنبي على الأنثى عند الضرورة ، وإذا زالت الضرورة سقط الحكم وعاد إلى أصله وهو التحريم.

إن ما سبق عرضه صور تتعلق بالضرورة الواضحة ، ولكن ما العمل في الحالات التي لا تبدو فيها الضرورة كذلك ؛ لأن الناس يختلفون في آرائهم ، وأحوالهم ، وطريقة عيشهم ، وكيفية تكيفهم مع المستجدات ، وتختلف من بيئة

(١) جريدة الوطن ، ع٢٥٨ د ، ١٩٩٧/١١م ، تونس : لطفي الحناشي ، المرأة العاملة

(٢) وثيقة من وزارة الشؤون الإجتماعية والعمل ، إحصائية سنة ١٩٩٦م

لبيئة ، ومن منطقة إلى منطقة ، ومن شخص لآخر ؛ فالبعض يعتبر الضروري كماليا ، والآخر يعتبره حاجيا ، والآخر يعتبر كماليا ضروريا.

ذلك مما اضطرني إلى تقسيم الدوافع الضرورية إلى ثلاث أقسام وهي :

- دوافع شخصية.
- دوافع تعود إلى المجتمع.
- دوافع تعود إلى الأفكار والرؤى.

١) الدوافع الشخصية:

يدخل ضمنها حاجات الشخص ، ومن يحوطه ؛ أسرته وأهله.

وهذه الحاجات مقسمة إلى أقسام :

١ - حاجات اقتصادية.

٢ - حاجات نفسية

- تحقيق الطموحات
- تحقيق الراحة النفسية
- نسج العلاقات الاجتماعية

أولاً: الحاجات الاقتصادية:

إن الحاجة الاقتصادية يمكن وضعها على رأس الحاجات ؛ لأن المال هو زينة الحياة الدنيا ، والإنسان مفطور على هذا الحب بالسعي وراء جمعه والتمتع به ، قال تعالى: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام..)(١) ، سواء كان الحب للحاجة الملحة أو للزيادة ؛ لذلك نجد في عصرنا الكثير من النساء خاصة الطبقات غير الفقيرة

(١) سورة آل عمران الآية ١٤

والمتوسطة الحال يعملن من أجل زيادة الدخل ، والعيش عيشة راضية (وإنه لحب الخير لشديد)(١) ، أو المساعدة في البيت ، أو رفع التكاليف عن الزوج أو الأب، من توفير الأغراض الكمالية ، ووسائل الرفاهية ، من بيت واسع ، وسيارة فارهة، وملابس فاخرة ، وأثاث جديد.

وأهم هذه الحاجات هو الاستقلال الاقتصادي ، وهذا ما تؤكده الكثير من النساء العاملات نظرا لأسباب عدة ، والتي سنذكرها لاحقا.

تقول (م، المحروقي) عن تجربتها في العمل ، وعن دوافع عملها : إن هذه التجربة ممتعة من خلالها أستطيع أن أحقق لنفسي الاستقلال الاقتصادي ، وتأكيد ذاتي.

مع العلم أنها تؤكد أن التجربة ليست سهلة ، خاصة مع تدبير ميزانية تلبي حاجاتها هي وأختها .. من إيجار وطعام ، وملابس ، وبترول للسيارتين ، ومصاريف شخصية ، مما يلجئها لتنظيم جمعيات هي وأختها مع زميلاتها في العمل ليمكنها الوفاء باحتياجاتها".(٢)

في استطلاع أجري على العاملات في السعودية عزت ٧٥٪ منهن عملهن إلى الحاجة المادية ، ولو لم يسهمن في نفقات الأسرة.

وما يؤكد ذلك ما جاء في الاستطلاع ، إنه وفقا لأراء العينة فإن أوجه صرف الراتب يتركز على الكماليات غير الضرورية التي لا يميل الرجل إلى تأمينها ؛ كالملابس الثمينة لها ولأبنائها ، والأواني المنزلية الفاخرة وغير ذلك".(٣)

(١) سورة العاديات الآية ٨

(٢) الأسرة (عمان) ع:٨٦٠ ، د/ت١٩٩٥م

(٣) الأسرة (هولندا) ٢:د

إن هذا الدافع نجده منتشرا بين الأيامى أكثر منه بين المتزوجات ؛ ذلك لأن الأيم ترى أنها عالة على أبيها وأهلها ، ويجعلها حبيسة البيت ، ويمنعها فقدانها للمال من تحقيق بعض متطلباتها ؛ لأنها تميل إلى الزينة ، والتباهي ، وتلبية الرغبات النفسية أكثر من المتزوجة ؛ لأنها تعلم يقينا أنها ليست عالة على زوجها وذكل من حقها المشروع ، ويمقتضى العقد المبرم، وكذلك المسؤوليات التي عليها لا تسمح لوجود الوقت حتى تخرج من أجل هذا الدافع ، هذا لا يمنع طبعا من وجود متزوجات يعملن للغرض ذاته.

ثانياً: الحاجات النفسية

أ- تحقيق الطموحات:

إن البنت كائن بشري ، وما يمتاز به هذا الكائن هو الحرص ، وطول الأمل.

ومن طبع البنت الطموح المليء بالآمال وكثرة الأحلام ، نظرا للعاطفة التي تمتاز بها، وتكوينها النفسي ؛ ومن الأمثلة التي يظهر فيها هذا الطموح سعيها للعمل من أجل تحقيق أحلام طالما راودتها في طفولتها أو سنوات دراستها.

مثال ذلك (شمسة الحجري) تقول: اختياري للعمل كمضيفة ليس لأجل الحصول على مرتب مرتفع ، إنما منذ صغري وأنا أتمنى أن أكون مضيفة طيران".(١)

وبعضهن يتجهن إلى العمل حبا لذلك النوع من العمل ، ورغبة في ممارسته ،(كشيخة المزاحمي) معلمة في روضة ، متزوجة لها أطفال تقول: ظروفي

(١) الأسرة (عمان) ع: ٦٩٨، ١٩٩٤/٤م

الإجتماعية جيدة .. إلا أنني حُبي للعمل ، وخاصة في مجال التربية هو الذي يدفعني إلى العمل.

وتضيف: نحن في مشكلة وطنية تتعلق بتنشئة أبنائنا فعلينا أن نتعاون من أجل مواجهتها .. ونتغاضى عن مسألة الراتب (لأن الراتب لا يتجاوز ١١٠ ريالات)".(١)

من أهم الوسائل التي تحقق هذا الدافع وتقويه هي الدارسة ؛ كثير من البنات تكون حجتهن الشهادة ، فالشهادة تلعب دورا مهما في المسير بالبنت نحو العمل ؛ إذ بعد أن تنال الشهادة تقول: لا يمكن أن أجلس في البيت ، وأضع الشهادة في إطار وأعلقها على الحائط ، فلم تعلمت إذا؟.

وهذه كلها تعليلات متولدة عن المناهج الدراسية التي تمزج بين الذكر والأنثى دون تفريق بين طبيعة تكوينهما ، مما أدى إلى الاختلال الكثير في الموازين ، ذلك ما يؤكده العالم الكبير ألكسيس كاريل.(٢)

ب- تحقيق الراحة النفسية:

لعله من أهم الدوافع التي تجعل الإنسان يسير في خط معين هو النفس وما تمليه عليه، فالنفس أمارة، سواء بالسوء أم بالخير ، ونجد ذلك جليا في مسألة عمل المرأة ؛ فالعامل النفسي يؤدي دورا مهما وكبيرا في توجيه المرأة إلى العمل ، وهذا بطبيعة الحال يختلف من نفس لأخرى ؛ فاختلاف الطباع ، وطريقة التفكير ،ونوعية الهواجس المحيطة بالشخص ، وطبيعة تكوينه الفزيولوجي والنفسي كلها تسهم بشكل فعال في هذه المسألة.

(١) الأسرة (عمان) ع:٧٤٩ ، ٤/١٩٩٥م

(٢) ينظر : ألكسيس كاريل (مرجع سابق) ص:١٠٨ وما بعدها.

نجد أن الأنثى التي تعودت الحركة والخروج والنزهات والتجوال تختلف كثيرا عن التي اعتادت البيت ، واقتنعت به مكانا لها، وهذا ما نجده مثلا في المرأة المدنية، والمرأة الريفية ، فالمرأة المدنية تمثل الصنف الأول وهو الغالب ، والمرأة الريفية تمثل الصنف الثاني.

إذ التي تعودت الخروج والتنقل ، والحركة ونسج العلاقات ترى أن جلوسها في البيت حبس لها ولحريتها ، مما يصاحبه شعور بالقلق والضيق ، وخاصة إذا كان هذا الشعور تصاحبه اعتقادات على أنها عنصر سلبي ، وأنها عالة على غيرها ، فهي تأكل وتشرب وتنام فقط لا نفع يأتي منها . كما تقول العاملة التونسية (هالة) : لا أتصور أبدا أن أبقى بدون عمل ، فما الذي سيعطي لحياتي معنى؟ وكيف يكون سير حياتي إن بقيت أنتظر ثمن لباسي من والدتي ، ومصروفي من أبي؟ إن الإكتفاء المادي هو خطوة للراحة النفسية ، وأول دعم للثقة بالنفس فإن لم أعن عائلتي ، وأعن نفسي ، فكيف سأشعر ؟ ستكون حياتي حتما فراغا في فراغ".(١)

وتقول أخرى – كانت عاملة ثم توقفت سنة كاملة : أحسست فيها بالضياع ، وأنني غير فاعلة ، وغير منتجة ، وعانيت من الشعور بالإحباط ، والآن أنا أعاني من الشعور بالإرهاق بعد عودتي للعمل".(٢)

فرغم الإرهاق والتعب الذي يحيط بهن ، وعدم الحاجة إلى المال إلا أنهن متمسكات برأيهن في العمل ؛ لأنه يوفر لهن فرصة الفرار من البيت ، تقول (فوزية البلوشي) : قد يكون هناك بعض الإرهاق ، لكن هذا التعب من النوع الذي

(١) جريدة الوطن ، ع:٢٥٨٥

(٢) المرجع السابق

يطاق، أي أنه في الإطار المعقول .. وهو أقل قسوة بكثير من أن أجلس في البيت وأعاني الفراغ والإحساس بأني مجرد مخلوق استهلاكي".(١)

إن الملاحظ من خلال النماذج السابقة للعاملات يتضح لنا أن العاملة رغم معاناتها من التعب الجسدي إلا أنها تفضله على التعب النفسي ، وهذا معقول بالنسبة للنظرة الظاهرية ؛ لأن الأخطر على الإنسان أن يعاني أمراضا نفسية من أن يعاني من آلام عضوية من تعب وغيره ، فهنا العمل يحقق لها الراحة النفسية رغم التعب الجسدي الذي يزول بعد أخذ الراحة.

ويعد العمل سببا للراحة النفسية خاصة عند الأيم ، عندما تجري المقارنة بين البيت والعمل ، تجد البوم شاسعا بينهما ؛ خاصة عند اللائي يعشن معيشة ضيقة ، وصعبة ، فإنها ستجد أن البيت هو العمل الشاق المضني طوال النهار من غسيل وكنس ، وترتيب للأغراض ، ومراقبة الأولاد ، وأوامر موجهة على مدار الساعة ، ثم حبسها عن العالم الخارجي ، وعن الناس وعن تكوين الصداقات.

فالعمل إذا في هذه الحالة يعد المتنفس الوحيد لها مما تجده في البيت ، كما تصرح السكرتيرة (نهلة) : أقول بصراحة ، إن العمل بالنسبة لي هو الهروب من مشاكل البيت، ومشاغله ، فماذا أفعل بوقتي إن بقيت في البيت؟ سأشعر بالملل ، وبوطأة المشاكل أكثر ، أما عملي فهو يحقق لي مبلغا مهما من المال أستطيع أن أسهم به في البيت، إضافة إلى تحقيق ما أريد من مستلزمات شخصية".(٢)

إذا فالعمل هو المهرب من البيت عند العائلات التي تنتابها المشاكل غالبا ، إضافة إلى ذلك فإنها ستكسب مبلغا من عملها يجعلها تتحرر من أي تبعية مالية ، فهي حرة تشتري ما تريد لمن تريد دون تدخل أحد ، وبذلك تشبع حاجاتها ،

(١) الأسرة (عمان) ع:٧٢٣ ، ١٠/١٩٩٤

(٢) جريدة الوطن (مرجع سابق)

وبإشباع الحاجات تتحقق الراحة النفسية المرجوة ، ونحن نعيش زمنا تحكمه المادة ، ويسيره المال.

خلاصة القول:

من خلال هذه الأقوال الاستطلاعية ننتهي إلى أن العمل للمرأة – خاصة الأيم- يعد عنصر إغراء كبير لها ، والنتائج التي يأتي بها العمل على المرأة يجعلها ترضى بنفسها. فتحقيقها لرغباتها ، وإشباعها لحاجاتها يحقق لها الراحة النفسية كما مر بنا ، فكل هذا يدفع بها متسارعة نحو العمل دون تردد أو تراجع.

هذا لا يعني أن العمل لا يخلو من المشاكل والسلبيات ، من متاعب وأضرار ، وذلك ما سنتطرق إليه في مكانه من هذا البحث.

ج- نسج العلاقات الإجتماعية

- علاقات اجتماعية لمجرد الصداقة.
- علاقات اجتماعية تحت نطاق العلاقات العاطفية.

إن العاطفة التي خلقها الله في الأنثى ، تجعلها عنصرا اجتماعيا أكثر من الرجل، فالصداقات والأمور الأخوية أمور ضرورية للأنثى ،فقليلا ما نجد أنثى منعزلة أو منطوية على نفسها ، نجدها سريعة التأقلم مع الآخرين ، مثلا : إذا انتقلت من مسكن إلى آخر، استطاعت في ظرف زمني قصير أن تنسج صداقات عدة مع الجيران وأهل الحي.

ولما كان العمل يتوفر لأي شخص قادر، فلا يحتاج إلى شهادات أو مستويات علمية، فهو متوفر لكل المستويات ، من ذلك استطاع كثير من النساء أن يدخلن

مجال العمل ليس إلا لغرض الصداقة وملء الفراغ ، كما يؤكد ذلك كثير من العاملات ، تقول (نهلة) : .. يساعدني أيضا على التعرف على أشخاص ، وتنمية تجاربي ، وتحقيق طموحاتي المادية ، والعاطفية".(١)

ومثال آخر أيضا : "كان مصنع يحيل عاملاته إلى المعاش في سن الخامسة والخمسين معطيا إياهن معاشا عائليا سخيا ، وقد وجد أن كثيرا من هؤلاء النساء المتقاعدات يقفن على أبواب المصنع كل مساء لانتظار صديقاتهن عند الخروج ، ويواصلن في الحضور عند حدوث أي أحداث اجتماعية".(٢)

٣) دوافع تعود إلى المجتمع:

الإنسان اجتماعي بطبعة لا يستطيع أن يعيش وحده ، فهو جزء لا يتجزأ من المجتمع ، وللمجتمع دور مهم في التأثير على الشخص وتفكيره، وطرق حياته ، ويظهر تأثير المجتمع على عمل المرأة من نواح منها :

- رؤية المجتمع للمرأة الماكثة في البيت.
- نظرات المجتمع تحرك في المرأة الهمة والعزم – المشكلة ليست هنا – إنما تكمن في طريقة وكيفية هذه النظرة ، إذ يرون إلى الأمور بالمنظور الحسي والميزان غير العادل ، فالذي يكون له مال ويحقق مشاريع أو يمتاز بصوت رخيم ، سيعد من العظماء والشخصيات البارزة ، في حين نجد أن الكثير منهم رؤوسهم خاوية لا تحمل بين جنباتها شيئا يذكر ، كذلك المرأة العاملة وغير العاملة ؛ نجد أن المجتمع يقدر المرأة العاملة ويطريها أكثر من ربة

(١) جريدة الوطن (مرجع سابق)

(٢) كاميليا عبد الفتاح، سيكولوجية المرأة العاملة (ط١ ، دار الثقافة العربية ،القاهرة :١٩٧٩م) ص٨٥

البيت، بينما الأم أو ربة البيت تجاهد وتكابد حتى تعطي المجتمع رجالا يرقون بالأمة نحو التطور والتحضر ، لا يلتفت إليها سوى مرة في العام حين تشترك مع المرأة العاملة في عيد الأم.

- هذا دافع لا يستهان به فالمرأة من طبعها حب الإطراء والمديح لذلك يعلل الكثير من النساء العاملات عملهن بإثبات الشخصية وتحقيق الذات ، في حين نجد أن هذه الطموحات يمكن تحقيقها في مجال البيت. كل هذ مما يدفعها إلى العمل كي تحظى بالمنصب العالي والدرجة الاجتماعية ، ويشار إليها بالبنان- طبعا ليس كل العاملات – وتغطية وسائل الإعلام لأعمالها وبروزها في المحافل.

اتجاه الشباب نحو النساء العاملات:

مع تأزم وضعية المجتمع الإسلامي وضعف الاقتصاد ، وعسر المعيشة وكثرة البطالة، وجد كثير من الشباب تحقيق أحلامهم بالتزوج بالمرأة العاملة التي تنفق عليهم، أو لمساعدتهم لبلوغ المستوى المعيشي الجيد ، أو الانطلاق نحو تحقيق الأحلام.

وهذا ما يؤكده كثير من الشباب ، ويذكر بعض الباحثين أن الشباب كانوا قد أحجموا في مجابهة الحياة الزوجية ، ومطالبها ولضيق ذات اليد ،ووجدت المرأة أن عملها فيه حل لهذه المشكلة إذ بجمعها بين العمل والزواج إنما هو تمكين للشباب من الإعراض عن هذا الإحجام.

٣) دوافع مردها إلى الأفكار:

من أهم هذا الدوافع التقليد ، كثير من النساء العاملات دافعهن إلى العمل هو التقليد لا غير تقليد الغربية ؛ لأنها – في نظرها – مقياس للتحضر والثقافة العالية والرقي ، ومن ذلك احتجاجهن بالمساواة في حين نجد أن ظروف المرأة الغربية والمرأة المسلمة مغايرة تماما كما رأينا سابقا فلا تصلح مقياسا في هذا الأمر الحساس.

وكأن لسان حالهن يقول : إنا وجدنا الحضارة الغربية على أمة وإنا على آثارها نقتدي ، وهذا تقليد دون تقليب أو تمحيص ، لأنه غالبا ما يكون تقليدا للقشور ، والمظاهر الخداعة ، والجوانب السلبية. مثال ذلك أن تقول امرأة مسلة : أريد أن أثبت ذاتي في أعمال خارج البيت ، كأنها تقول إن جلوسها في البيت هو عالة على أهلها ، هذا صحيح بالنسبة للغربيين ، لأن قوانينهم تحتم عليهم ذلك وتحكمهم شريعة شرعها الإنسان ، معروفة بالقصور الفاحش في كل الجوانب ، لكن المسلمين يحتكمون إلى شريعة ربانية محكمة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

خلاصة:

إن الدوافع الحالية التي جعلت المرأة تزاول الأعمال خارج بيتها كثيرة وعديدة ومتنوعة أيضا ، ولكن يمكن حصرها في دوافع ضرورية وأخرى غير ضرورية.

المعيشة ، وطريقة تفكير الناس ، وتأثير المجتمع ، والأفكار الدخيلة على المجتمع المسلم الذي يرى نفسه من زاوية الضعف والتبعية لها الدافع القوي في هذه القضية.

مشروعية عمل المرأة وضوابطه

حق المرأة في العمل

إن العمل حق للفرد أوتيه من قبل الشرع ، ورغبه فيه دون تفريق بين جنس وآخر ، وحث عليه ، إذ الإسلام يحترم العمل ويعظمه ويدعو إلى توفية أجره معجلا كاملا غير منقوص ، فالقرآن، يغري بالعمل ، ويجعله معرضا للأنظار، محلا للنظر والحكم: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)(١) ، وفي ذلك إغراء بالتجويد والإتقان ، كما أن فيه تعظيما للعمل يجعله موضع النظر ، والترقب والتأمل ، وفي موضع آخر يحض على السعي في الأرض من أجره (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) (٢) (٣) ، ويقول المولى عزوجل في كتابه مبينا أنه لا فرق بين ذكر وأنثى في استحقاق الحقوق كل مما كسب (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)(٤) ، كان الجاهليون يحيفون فيه ، وخاصة بالنسبة للمرأة – إلا في حالات نادرة – فقد كانت هي في ذاتها مما يستولى عليه عند وفاة زوجها.

وهو الحق الذي زاغت فيه الحضارات الغربية الحالية من جور وحرمان ، "ولكن الإسلام قد منحها هذا الحق ابتداء ، وبدون طلب منها .. منحها هذا الحق تمشيا مع نظراته العامة إلى تكريم الإنسان جملة ، وإلى تكريم شقي النفس الواحدة ، وإلى إقامة نظامه الاجتماعي كله على أساس الأسرة ، وإلى حياطة جو الأسرة بالود والمحبة والضمانات لكل فرد فيها على السواء.

(١) سورة التوبة الآية ١٠٥

(٢) سورة الملك الآية ١٥

(٣) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام (ط١٢ ، دار الشروق ،بيروت ، لبنان ١٤٠٩هـ-/١٩٨٩م) ص٩٦

(٤) سورة النساء ،الآية ٣٢

ومن هنا كانت المساواة في حق التملك ،وحق الكسب بين الرجال والنساء من ناحية المبدأ العام".(١)

ومن السنة أيضا ما يؤكد ذلك المنحى الذي جاء به الإسلام (عن جابر بن عبد الله قال طلقت خالتي فأرادت أن تجذ نخلها فزجرها رجل أن تخرج فأتت النبي ﷺ فقال: بلى فجذي نخلك فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفا)(٢)

وما نجده أيضا في حديث أسماء بنت أبي بكر (السالف الذكر) ، أن النبي ﷺ لما رآها تحمل فوق رأسها النوى لم ينهها ولم يزجرها على ذلك الفعل ، إنما أراد أن يساعدها شفقة على ما تلاقيه.

وكذلك ما رأيناه في المبحث الثالث الذي تحدثت فيه من دور المرأة في العهد النبوي لدليل قوي على ما أقول.

إذا فالإسلام أجاز العمل على الإطلاق ، وحث عليه ،وألزم بذلك للعامل ضمانات تضمن له حقوقه ، وتحفظها من الضياع ، قال صلى الله عليه وسلم: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) ، إلى غيرها من الأحاديث التي تدل ، وتحث على الالتزام بالحق الذي فرضه الإسلام للعامل ، ومع كل هذه المراعاة و الحث والترغيب ، لم يفرق بين رجل وامرأة فهما على حد السواء ،فالعمل جائز للمرأة من حيث الأحقية، والفقهاء متفقون على أن للمرأة أن تزاول أعمال المعاملات مع كل الشروط والقيود التي اشترطوها.

ولكن المسألة هنا ليست في إثبات الحق فالحق ثابت كما سلف بالكتاب والسنة وما اتفق عليه الفقهاء ، إنما القضية وما فيها هو هل الأصل في هذا الحق الإطلاق أم التقييد بالضرورات والطوارئ؟

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن (مرجع سابق) م:٢ ج٥ ص:

(٢) رواه مسلم ، وابن ماجه ، وأحمد

١- الحكم الشرعي:

أولا القرآن:

قال تعالى :(وقرْن في بيوتكنْ).(١) قال المفسرون في تفسير هذه الآية الكريمة ما يلي: يقول القطب رحمه الله : "معناه اثبتن فيها بمعنى لا تخرجن إلا للضرروة، أو ما لا بد منه"(٢) ، ويؤيد ذلك قول الإمام القرطبي حيث قال: "معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت ، وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى ، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن".(٣)

وإن كان النص صريحا في مخاطبة نساء النبي ولكن كما نعلم أن نساء النبي ﷺ هؤلاء قد نزل فيهن قرآن حيث قال المولى عزوجل: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء)(٤) فقد اصطفاهن المولى عز وعلا في غير موقف وآية ، وجعلهن أيضا أمهات للمؤمنين وهذه منزلة عظيمة ،اللائي لا يطمع فيهن طامع ، ولا يخطر على بال مريض شيء نحوهن ، أيضا لو عرفنا العهد الذي كن فيه فهو فجر الإسلام ، عهد خير أمة أخرجت للناس ، حينما كان الإسلام بما فيه من قيم يعشش في القلوب مفرخا سلوكا قليلا ما نراه بعدهم ، فهم الصفوة المختارة الذين أنيط إليهم نشر الرسالة العظيمة –رسالة الإسلام- التي أبت السماوات والأرض أن يحملنها فرقا من عظمتها ، وأوكل إليهم تبليغها إلى من حولهم من العالمين.

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٣

(٢) تيسير التفسير (مرجع سابق) ج١٠ ص٢٥٢

(٣) أبو عبد الله الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ، م:١٤ ص١٧٩

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٢٨

فمع كل هذه القيم الرفيعة فإن الإسلام حريص على توطيدها ، فما بال هذه العصور التي مرضت فيها القلوب ، وضعف الإيمان ، وأصبح العمل عنصرا غائبا تماما في السلوك – إلا نادرا – فكل هذا فمن باب أولى أن يوجه الخطاب إلى غيرهن من النساء ، فهن أحوج إلى هذه الوسائل الوقائية والمطهرة في ذات الوقت حيث قال المولى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)(١) (٢)

يقول الشيخ علي يحيى معمر (رحمه الله) : "هذه أوامر الله سبحانه وتعالى لنساء النبي ﷺ وهن أمهات للمؤمنين لا ينظرن إلى المسلمين إلا نظرتهن إلى أبنائهم ، ولا ترتفع أبصارهم إليهن إلا كما يرتفع بصر الابن المؤدب الحيي إلى أمه الوقور المحبوبة المحترمة ، ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى يأمرهن بالاستقرار في البيوت وينهاهن عن الخروج والتبرج".(٣)

"وليس معنى الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقا ، إنما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن ، وهو المقر وما عداه استثناء طارئ لا يثقلن فيه ولا يستقررن ، إنما هي الحاجة ويقدرها "(٤) ، أما الحاجة والضرورة فسأذكرها لاحقا.

أما الدليل الثاني: فهو ما نستخلصه من قصة سيدنا موسى ، والمرأتين في أرض مدين: قال تعالى: (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم أمرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣

(٢) ينظر: في ظلال القرآن (مرجع سابق) م:٥ ،ج٢٢ ص٢٨٥٨-٢٨٦١

(٣) علي يحيى معمر ، الفتاة المسلمة ومشاكل الحياة ، جمع وتعليق ، أحمد كروم ، حمو بو كرموش ص٦٥

(٤) في ظلال القرآن (مرجع سابق) م٥ ج٢٢ ص٢٨٥٩

كبير)(١) إذ هو يطلع على مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة ، السليمة الفطرة، وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء(٢) ،وأدل على غرابة الموقف لسيدنا موسى (عليه السلام) عندما رأى هذا المشهد استنكر ذلك الموقف من الرعاة واستغرابه لتواجد المرأتين هنا ، توجيهه السؤال للمرأتين مستفهما: (ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) فذكرتا له السبب وهو كبر الأب وشيخوخته ، وهذا يدل على أنه من الأحرى أن يكون هنا رجل لا امرأة ، وتدخل سيدنا موسى في هذا الموقف رغم الإعياء والتعب ، والعطش ، والجوع ، والخوف الذي كان يلف به لف السوار للمعصم (وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين❖ فخرج منها خائفا يترقب قال ربي نجني من القوم الظالمين)(٣) ، فخرج من مصر فارا ببدنه لا قوت ولا رفيق ، ولا دابة تطوي له الطريق ، إن القصة صحيح أنها تحكي عن أمم السابقين ولكنها لا تخالف النصوص الشرعية بل تؤيدها ، والله لا يقص علينا هذه القصص لمجرد التسلية ولكن للعبرة (٤) ،حيث يقول المولى: (نحن نقص عليك أحسن القصص)(٥) ويقول أيضا: (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)(٦) أما السنة فقد وردت أحاديث كثيرة تحث المرأة على المكوث في البيت وعدم الخروج بدون حاجة تقتضي منها ذلك.

(١) سورة القصص ، الآية ٢٣

(٢) في ظلال القرآن (مرجع سابق) م٥ ج٢٢ ص٢٦٨٦

(٣) سورة القصص الآية ٢٠-٢١

(٤) ينظر: شبهات وأباطيل خصوم الإسلام (مرجع سابق) ص٦٠ / في ظلال القرآن (مرجع سابق) م٥ ج٢٢ ص٢٦٨٦

(٥) سورة يوسف الآية ٣

(٦) سورة الأعراف الآية ١٧٦

ثانياً: السنة النبوية:

قال ابن مسعود : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (إن المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان).(١)

عن عائشة قالت :(خرجت سودة بنت زمعة ليلا فرآها عمر فعرفها فقال: إنك والله يا سودة ما تخفين علينا ، فرجعت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فذكرت ذلك له وهو في حجرتي يتعشى ، وإن في يده لعرقا فأنزل عليه فرفع عنه وهو يقول :قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن).(٢)

"قال ابن بطال :في هذا الحديث دليل على أن النساء يخرجن لكل ما أبيح لهن الخروج فيه من زيارة الآباء والأمهات وذوي المحارم ، وغير ذلك مما تمس الحاجة إليه، وذلك في حكم خروجهن إلى المساجد، وفيه خروج المرأة بغير إذن زوجها إلى المكان المعتاد للإذن العام فيه". (٣)

وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت: (كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله ﷺ ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس).(٤) (٥)

وفي الصحيحين أيضاً أنها قالت: (لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد، كما منعت نساء بني إسرائيل). (٦)

يقول الشهيد سيد قطب معلقاً على الحديث: "فماذا أحدث النساء في حياة عائشة(رضي الله عنها)؟ وماذا كان يمكن أن يحدثن حتى ترى أن رسول الله ﷺ كان مانعهن من الصلاة؟ ماذا بالقياس إلى ما نراه الآن".(٧)

(١) رواه الترمذي ، قال أبو عيسى : هذا الحديث حسن غريب.

(٢) رواه البخاري
(٣) بدر الدين أبي محمد العيني، عمدة القاري، (دار إحياء التراث، بيروت،- د.ت-)، ج:٢٠ ص: ٢١٨.
(٤) الغلس :ظلمة آخر الليل / المرط: كساء من صوف / متلفعات : متسترات بثوب يغطي جسد هن كله.
(٥) رواه البخاري ومسلم عند البخاري بلفظ مخالف
(٦) رواه البخاري ومسلم
(٧) في ظلال القرآن (مرجع سابق) م ٥ ج ٢٢ ص٢٨٦

وقصة أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنه) لأدل على ذلك.(١)

من خلال استقراء الأدلة النقلية من الكتاب والسنة، من الآيات الصريحة التي لا تقبل تأويلاً تبين أن الأصل في عمل المرأة التقييد بالحاجة الملحة والضرورة الماسة وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء، وما يؤيد هذا الحكم أيضاً، العقل:

ثالثاً: الأدلة العقلية:

١- المباح لايزاحم واجباً:

" إن الحكمة من مشروعية العمل تحصيل الإنسان ما يوفر له أسباب العيش من طعام وشراب ولباس وسكن، ونحو ذلك . فإذا توافر للإنسان ذلك كله كان العمل في حقه مباحاً، له أن يعمل ليزداد كسباً، وله أن لا يعمل؛ لأن عنده ما يكفي لسد متطلبات ومقتضيات معيشته.

وحيث إن المرأة مكفية المؤونة؛ لأن نفقتها على زوجها إن كانت ذات زوج، وسواء كانت غنية أو فقيرة، فإن لم تكن ذات زوج فنفقتها على أبيها، إن لم تكن ذات مال، فإن لم يكن لها أب فنفقتها على أخيها أو من تلزمه نفقتها، إذن فالعمل في حق المرأة مباح.

لكن يجب أن لا يزاحم ما هو واجب عليها ؛ لأن فعل الواجب آكد من فعل المباح، بل ولا يزاحم هذا المباح ما هو مندوب للمرأة . وحيث إن واجب المرأة القيام بأعمال البيت وما تتطلبه الحياة الزوجية والوفاء بحق الزوج عليها ، وقيامها بشؤون أولادها ، وتربيتهم وخدمتهم ، وهذه الواجبات كثيرة جدا ومتعبة ، وتحتاج إلى تفرغ المرأة لها، وبالتالي لا يمكنها – عادة وغالبا – القيام بالعمل المباح لها خارج البيت إلا على حساب التفريط بهذه الواجبات ، والتقصير في أدائها إن لم

(١) ينظر المبحث الثالث:(دور المرأة في عهد النبي).

نقل إهمالها ، وحيث إن من أصول الحقوق والواجبات عدم جواز مزاحمة ما هو حق للإنسان لما هو واجب عليه ، وإن حق العمل للمرأة مباح كما ذكرنا ، فلا يجوز أن يزاحم هذا المباح واجبات المرأة في البيت".(١)

٢- حكمة التمايز بين الرجل والمرأة

كما رأينا في المبحث الأول أن الفروق جوهرية بين الذكر والأنثى مما يقف حائلا بين تغيير الأدوار ، فلا يمكن أن نضع الرجل مكان المرأة ، والمرأة مكان الرجل على الدوام ؛ لأن ذلك مخالف للفطرة والحكمة الإلهية ، فكل جنس يكمل الثاني، وهذا التكميل يكون بوضع كل جنس في مكانه الذي أوكل إليه.

٣- وجوب النفقة على الرجل

لما ميز الله الرجل بالشدة والقوة والتحمل ، وبجسم قادر على الأتعاب ،أناط إليه أعمالا جاءت لتتلاءم مع هذه الميزة ، موافقة لتكوينه النفسي والجسدي ؛ حتى يؤديها على أكمل وجه ، وعلى وجه متقن.

ولما كان كذلك أوجب الإسلام عليه تحمل تبعة المال والإنفاق ، وجعله القائد للركب الأسري حتى لا يختل توازن الأسرة ، وبه يختل توازن المجتمع ، فهو المكلف بدفع المهر عند الزواج ، وبعد ذلك هو مكلف بدفع النفقات على الأولاد والزوجة ، وعليه أيضا نفقات والديه إن لم يكن لهما رزق أو من يعولهم غيره. أما الأنثى فهي معفاة، مكفية النفقة في كل الحالات سواء كانت بنتا ، أو أما ، أو زوجة بل هي واجبة لها ممن يعولها.

(١) د- عبد الكريم زيدان ، المفصل في أحكام المرأة (ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٤١٣هـ-١٩٩٣م) ج:٤ ص٢٦٦،

فرض النفقة على أبيها وهي بنت ، وفرض المهر على الزوج وهي عروس ، والنفقات وهي زوج في ظلال الزوجية القائمة ، وفرض النفقة لها وهي أم ، حتى لو كانت عمة أو خالة أو قريبة في بعض الظروف المقتضية ذلك.

قال تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم).(١)

لكي يكتسبوا هذه القوامة فضل الله بعضهم على بعض ، وأوجب النفقة على الرجل كما بين ذلك المولى في الآية.

ويقول في وجوب الإنفاق على الزوجية (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن)(٢) ويقول المولى في وجوب النفقة على الأبناء ، والزوجات: (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن)(٣)

والأحاديث أيضا تعضد ذلك:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: (فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بكلمة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف)(٤)

وعن عائشة (رضي الله عنها) (إن هنداً بنت عتبة قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني وولدي إلا ما أخذت منه قال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف)(٥) "قال ابن قدامة: اتفق أهل العلم على وجوب نفقات

(١) سورة النساء، الآية ٣٤
(٢) سورة الطلاق ، الآية ٧
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٣٣
(٤) رواه مسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه ، وأحمد
(٥) رواه البخاري ومسلم

الزوجات على أزواجهن إذا كانوا بالغين إلا الناشز منهن.قال: وفيه ضرب من العبرة ؛ وهو أن المرأة محبوسة على الزوج يمنعها من التصرف والاكتساب ، فلا بد من أن ينفق عليها".(١)

والحكمة من وجوب النفقة في حق الزوج تؤكد ذلك. يقول السيد سابق في الحكمة ما يلي : "إنما أوجب الشارع النفقة على الزوج لزوجته ؛ لأن الزوج بمقتضى عقد الزواج الصحيح تصبح مقصورة على زوجها، ومحبوسة لحقه لاستدامة الاستمتاع بها، ويجب عليها طاعته ، والقرار في بيته ، وتدبير منزله، وحضانة الأطفال وتربية الأولاد، وعليه نظير ذلك أن يقوم بكفايتها والإنفاق عليها، ما دامت الزوجية بينهما قائمة، ولم يوجد نشوز أو سبب يمنع من النفقة عملا بالأصل العام كل من احتبس لحق غيره، ومنفعته، فنفقته على من احتبس لأجله"(٢)

ويقول القطب أطفيش (رحمه الله) في هذا السياق : وتلي باستحباب أمر بيته كله، ولا سيما أمر أكله كطبخ وخبز وفراش ، فإنه يستحب أن تلي عيشه وفراشه بنفسها مثل أن تجني له الثمار، وتطحن له ، وتخبز ، وتطيب له كل ما يعمل بالنار، وتطحنه وتصنعه ، وإن كانت له مائة خادم" ، ومقابل ذلك قال" ولزمه ألا يجيعها ، أو يظمئها ؛ يعطشها أو يعريها (أي بدون كسوة) أو يشعثها (مغبرة الرأس)"

مقاصد الشرع:

"إن مزية الإسلام الكبرى أنه نظام واقعي ، يراعي الفطرة البشرية دائما ، ولا يصادمها أو يحيد بها عن طبيعتها ، وهو يدعو الناس لتهذيب طبائعهم والارتفاع بها

(١) ابن قدامة المقدسي ، المغني (دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان) ج٩ ص٢٢٩
(٢) سيد سابق، فقه السنة (ط٣، دار الفكر ، لبنان :١٤٠١هـ-١٩٨١م)ج:٢ ص:١٤٨

ويصل في ذلك إلى نماذج تقرب من الخيالات والأحلام ، ولكنه في تهذيبه لا يدعو لتغيير الطبائع ، ولا يضع في حسابه أن هذا التغيير ممكن أو مفيد لحياة البشرية حتى إذا أمكن ! وإنما يؤمن بأن أفضل ما تستطيع البشرية أن تصل إليه من الخير ، هو ما يجيء متمشيا مع الفطرة بعد تهذيبها ، والارتفاع بها من مستوى الضرورة إلى مستوى التطوع النبيل.

وهو يسير في مسألة الرجل والمرأة على طريقته الواقعية المدركة لفطرة البشر ، فيسوي بينهما حيث تكون التسوية هي منطق الفطرة الصحيحة ، ويفرق بينهما حيث تكون التفرقة هي منطق الفطرة الصحيح".(١)

فلو خالفنا منطق هذه الفطرة ، وعدلنا عن هذا الاختلاف لانقض البنيان الإلهي الذي رسمه واضحا جليا لسعادة البشرية ، ولحدثت أشياء لا طائل للإنسان بها ولا مخرج منها سوى العودة إلى نقطة الصفر.

ونتائج ذلك التحويل للفطرة يزداد يوما فيوما وهو ما نراه في الدول التي انتهجت ذلك المنهج فالأرقام رهيبة جدا ، والمخازي كثيرة لاحصر لها ، تزداد بمرور الأيام ، محاولين بكل ما أوتوا من العلم والتكنولوجيا والآلات ، والمعدات الضخمة ، ولكن لا جدوى من ذلك ، إذ نرى أهم الدعائم للمجتمع تزداد انشقاقا وتفككا وهي أصلا ليست سليمة حتى تحتاج إلى انشقاق فهي تكاد تنعدم حتى عد الزواج عندهم من الحالات الغريبة أو الطارئة ، كما هو حادث في هولندا(٢) ،وإذا قام فإنه لا يدوم طويلا ،ففي مرات ليست بالقليلة لا يتراوح عمر الزواج سوى عدة أشهر معدودة(٣) وما يترتب على هذا الطلاق من

(١) شبهات حول الإسلام (مرجع سابق) ص١٠٧

(٢) وهو ما صرحت به هولندية مسلمة في لقاء تلفزيوني يتكلم عن المسلمين غير العرب في قناة السودان

(٣) ينظر: السيد مجتبى الموسوي، الإسلام والحضارة الغربية ، تر:محمد هادي اليوسفي (دار الأمير، بيروت لبنا :١٤١٣هـ-١٩٩٢/ ص٩٤

مشاكل عديدة ، أطفال مشردون دون آباء ، يعانون من عقد نفسية تؤثر سلبا على المجتمع كله ، إن القائمة طويلة ، وكل هذا لا يخفى على مطلع ،فالمحاكم تعج بالقضايا المختلفة ، والمستشفيات مليئة بالمرضى النفسيين والمرضى العضويين ، والسجون مكتظة بالمساجين ، إلى غيرها من الأمور التي لا يتسع لها المقام.

الجدوى الاقتصادية:

إن الكثير من الذين يتحمسون لعمل المرأة يتحججون في غالب الأحيان بالناحية الاقتصادية ، قائلين إن المرأة نصف المجتمع فكيف نقوم بشل هذا النصف الذي لا يقل أهمية عن الرجل؟ ، تقول اليابانية (سوئ أوورا) التي صار اسمها(مريم نوسي)(١) التي ولدت في عالم وثني وعاشت فيه سنوات طفولتها وشبابها ، عن عمل المرأة "عمل المرأة خارج البيت فيما يضاد فطرتها ضد طبيعتها ، وليس له فاعلية على أي مستوى "تعلل ذلك قائلة: "لأن دور المرأة الأساسي في الحياة هو تربية الأولاد .. وبقاء المرأة في البيت يحقق عائدا اقتصاديا ؛ لأنها ستحقق السعادة لزوجها وأولادها ، وستحسن تربيتهم ، ولهذا عائد كبير على المدى الطويل ، فالطفل الذي لا يتشرب الحنان ، والرعاية يضر بالمجتمع بعد ذلك ، ولا يكون له نفع عندما يصبح رجلا .. والمرأة أساس الاستقرار الأسري ، وإذا حملت نفسها ما لا تحتمل ، وغيرت من طبيعتها فذلك سيؤثر على المستوى الاقتصادي ، والاجتماعي ، وقد تؤدي إلى بطالة بين الرجال ، وأحيانا يكون تقييمها في العمل على أساس أنثوي ، وليس على أساس قدرتها الانتاجية ، وفي هذا خسارة لها ، وللمال العام ..(٢)

(١) أدية يابانية، اعتنقت الإسلام بعد رحلة إيمانية دامت عشر سنوات

(٢) المجلة العربية ، حوار د: ليلى بيومي ، ع٢٤٢ (ربيع الأول :١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)

مصلحة المرأة:

إنه ليس من العدل أن نحمل الضعيف أكثر من القوي المتحمل ، إنه لمن الإجحاف أن تحمل المرأة عملين أو واجبين ، مع العلم أن الواجب الأول (الأمومة، والزوجية) من أعقد المهام ، وهي من الصعوبة بمكان ، ثم نزيد عليها واجبا ثانيا لم تخلق له أصلا وهو العمل خارج البيت – في غير ما يتعلق بفطرتها - . فلا يمكن أن يعطي الضعيف عملا مضاعفا ، ومخالفا لطبيعته التكوينيَة والمهيأ لأجله، ونعطي القوي عملا واحد وهو الذي أمر به "فبعد الفرض عليها أن تتحمل كل تلك المصائب التي تتجسمها الفطرة (من حمل وإرضاع وحيض ، ونفاس وتربية ..) تخرج من البيت كالرجال لتعاني مشقة الكسب ، وتكون معهم على قدم المساواة في القيام بالأعمال السياسية ، والقضاء والصناعات ، والمهن ، والتجارة ، والزراعة ، وإقامة الأمن ، والدفاع عن حوزة الوطن.(١)

قال تعالى بعد أن أورد أمر القرار للمرأة في بيتها منبها إلى فائدة تلك الأوامر: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)(٢) فالله عزوجل لا يفرق بين فئة وفئة فإذا كان الأمر مذكورا في فئة معينة (نساء النبي) فالمعنى أن ذلك شامل لجميع الجنس (النساء) ، رغم أن الله تعالى يخاطب نساء النبي خاصة ، ولكن الخطاب موجه أيضا إلى غيرهن من النساء إذ هن أحوج إلى هذه النصائح والأوامر من أمهات المؤمنين.

فالله تبارك وتعالى جعل هذه الأمور الضرورية لتستقيم حياة المرأة ، وبه حياة الأسرة والمجتمع ، فتظفر برضاء ربها في الدنيا والآخرة.

(١) المودودي (مرجع سابق) ص١٩٠ (بتصرف)

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣

تجارب العاملات:

إن مما ترتب على عمل المرأة كثير من الأمور ، وهذا ما نعيشه في واقعنا ، سواء في العالم الإسلامي ، أو في العالم الغربي ، وما نجده عند الغرب أشد تنكيلا ؛ لأن القضية متوغلة مع جذور التاريخ ، ولها عمر طويل ، وكذلك للحرية الواسعة المفهوم دور فعال وعميق في هذه المسألة ، فالأرقام التي تصدر كل عام عما يحدث في الغرب من قضايا اجتماعية مما يهول ، ويندى له الجبين ، وما يصدر كل عام من الإحصاءات (١) لهو الدليل القوي الذي تجسد فيه معاناة المرأة (العاملة) ؛ لأن المرأة في الغرب نادرا أن نجدها قعيدة البيت ، وذلك من جراء ما تطالب به من حقوق وحريات ، ومن جراء انغماسها في التيار المادي المحض الخالي تماما من أدنى خلق أو قيم مرعية.

وما نعزز به قولنا هو تجارب النساء العربيات ، فبعضهن ممن وصلن إلى مستوى تعليمي مرموق يردن ، ويتمنين العودة إلى البيوت.

تقول الدكتورة زكية أستاذة الصيدلة في قطر: أنا شخصيا لو أتيحت لي فرصة ترك العمل يكون أفضل أنا أحس أن العمل يرهق المرأة ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الدراسة أخذت أيضا جزءا كبيرا من حياتنا ، وأرهقتنا ، كما أن العمل يرهقنا الآن ، فأعتقد أن مكان المرأة الأفضل أو أن وضعها الطبيعي فعلا هو مثل ما يرددون ، أي في المنزل ، يعني أن هذا الشيء ابتدأت ألاحظه أو أحسه من خلال كل الأشخاص أو القصص التي (أراها) ، في الواقع أصبحت فعلا أقتنع بهذا الشيء ، وأحيانا كثيرة أكتب هذا الشيء وأدعو له ، يعني فعلا أن المرأة عندما تكون في المنزل ويكون هدفها تربية الأولاد والأسرة هي أيضا تقوم بعمل مهم ، وعمل يتطلب تركيزا ،

(١) ينظر :الملحق في آخر البحث

ويتطلب دقة ، وهو أيضا عمل متنوع وليست فيه مثلما يرددون أنه ملل ، وأن هناك فراغا ، بالعكس تستطيع المرأة أن تخلق من خلال هذا العمل أيضا آفاقا أخرى".(١)

ولا يسعني إلا أن أقول ما قاله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)(٢) ، فكما أسلفت سابقا بأن الآية وإن جاء النص فيها صريحا لنساء النبي (صلى الله عليه وسلم) فإنه شامل لجميع النساء دون استثناء.

ومما سيقوي الحجة أو يضعفها عندما نستعرض الإيجابيات والسلبيات في عمل المرأة، وذلك في الفصل القادم ، فتبين الحقائق ، من الواقع ، والتجريب.

بعد سرد النصوص النقلية والعقلية تبين أن الأصلح والأحسن للمرأة أن تلزم بيتها ما دام لم تدعها الضرورة لذلك. فالعمل للمرأة محظور ما لم تقتض الضرورة والحاجة لذلك ، فما هي هذه الضرورة؟.

قبل الدخول في تفاصيل هذه الضرورة ومقدارها علينا أن نعلم أن الضرورة في المصطلح الإسلامي يجب أن تقدر بقدرها ، وذلك كما جاء في القواعد الفقهية أن الضرورة تقدر بقدرها ؛ يعني أنه إذا زالت الضرورة زال ذلك الحكم المباح في حال الضرورة، فيعود الحكم إلى الأصل وهو الحظر ، وعلى المرأة أن تسارع في رفع هذه الضرورة حتى تعود لمكانها الأصلي ، والذي هو أسلم لها من أي مكان آخر.

ودليله ما نجده في قصة أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنه) وهو ما نجده أيضا في قصة سيدنا موسى مع المرأتين . يقول الشيخ الشعراوي في هذا الصدد" إن المرأة من كرامتها أن تنتهي هذه المهمة. لم يجعل الله إنهاء القصة على يد رجل، لا على يد موسى، ولا على يد شعيب والد المرأتين ، وإنما جاء بها عن طريق المرأتين ، فكأن

(١) للشاهد ، عمل المرأة ، خيار أم ضرورة تحتمها الظروف الاجتماعية ، نجوى الطامي ، ع:٢٥، ٣-٩ سبتمبر ١٩٩٥.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣

المرأة الكريمة على نفسها ، الحريصة على وضعها العرفي ، ووضعها الأدبي ، في أي مجتمع ، أن تحاول جاهدة أن تخرج من الضرورة حين تجد أول بصيص من أمل يخرجها من الضرورة ، ونلحظ ذلك في اللقطة الموجودة في الآية ، في قول الحق سبحانه وتعالى: (قالت إحداهما يا أبت استأجره)

لو أن المرأة حلا لها أن تخرج من مكانها الطبيعي إلى الخارج ، لما نبهت أباها إلى أن يستأجر الرجل ، ويحميها من الضرورة التي أخرجتها.

إذن فالمزأة الواعية هي التي تعشق الستر ، وتعشق الاحتجاب ؛ لأن ذلك هو كرامة المرأة .. إذن فالمرأة حين قالت لأبيها (يا أبت استأجره) لم تقل هذا إلا أنه يخرجها من الضرورة التي اضطرت إليها على مضض".(١)

الضرورة والحاجة: من بين القواعد الشرعية الثابتة: الضرورات تبيح المحضورات.

"إن الإسلام لم يقف جامدا عند وجود الضرورة التي تلجئ المرأة إلى الخروج لتعمل خارج بيتها فحددها في القصة التي سلفت في قوله تعالى: (وأبونا شيخ كبير)، وهي قضية ناضجة في أذهان النساء في ذلك العصر ، وليست ارتجالية"(٢) فالدين الإسلامي مما يمتاز به هو الشمولية ، فهو شامل لكل زمان ومكان ولكل حالة ولكل ظرف أيا كان، حتى لا يعنت البشر أمام الطوارئ أوجد الحلول ، ورفع المشقة ، وما هو موجود في الشريعة أكبر من هذا ، حيث أجاز للمضطر أكل الميتة، أو أكل لحم الخنزير ، فالدين يتماشى مع واقع البشر مما يحقق

(١) شبهات وأباطيل أعداء الإسلام (مرجع سابق) ص٦٠-٦١

(٢) المرجع السابق ص٦٠

لهم مصالحهم ويرفع عنهم العنت ، وهذه المصالح لا يعرفها سوى خالق البشر سبحانه وتعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر).(١)

"وكون القرآن يعطينا الحكم منذ عهد موسى ؛ لأنه العالم بعلمه المحيط ، ويعلم أن أصحاب موسى هم الذين سيصنعون للمرأة حدود الانطلاق عندهم ، ليكون ذلك أسوة لحدود الانطلاق عند غيرهم . فجاء بها عن موسى لأننا حين نرى ما يفد إلينا من صناعات اليهود ، وادعائهم تجميد المرأة في نظام الإسلام ، نقول لهم: نبيكم هو الذي سقى لهما(للمرأتين كما سبق في القصة) ، ومعنى (سقى لهما) أن هذه كانت مهمته"(٢) يقول الإمام الفخر الرازي في صدد تفسير الآيات السابقة : "فإن قيل كيف ساغ لنبي الله شعيب أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية؟ .. إنا وإن سلمنا أنه كان شعيبا(عليه السلام) ، لكن لا مفسدة فيه لأن الدين لا يأباه ، وأما المروءة فالناس فيها مختلفون ، وأحوال أهل البادية غير أحوال أهل الحضر ، لا سيما إذا كانت الحالة حالة ضرورة".(٣)

والدليل الثاني في جواز خروج المرأة للعمل عند الضرورة حديث أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنه) (عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح ، وغير فرسه ،فكنت أعلف فرسه، وأستقي الماء ، وأخرز غربه ،وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار ، وكن نسوة صدق ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي ، وهي مني على ثلثي فرسخ ،فجئت يوما والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله صلى الله

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥

(٢) المرجع السابق ص٦٠

(٣) لأنه قد وقع خلاف في شخصية ذلك الشيخ الكبير في آيات القصص ، ويرجح الفخر أنه ليس بشعيب لأن شعيبا قد مات حينذاك.

عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار ، فدعاني ثم قال: أخ أخ ليحملني خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فمضى ، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب فاستحييت منه ، وعرفت غيرتك ، فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه ، قالت: حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني)(١)

قال العيني في شرح الحديث: "وأما وجه صبرها على ذلك ، وسكوت زوجها وأبيها على ذلك فلكونهما مشغولين بالجهاد دون غيره وكانا لا يتفرغان للقيام بأمور البيت لضيق ما بأيديهما عن استخدام من يقوم بذلك".(٢)

قال العسقلاني عند استنباط الأحكام من الحديث: "والذي يظهر أن هذه الواقعة ، وأمثالها كانت في حالة ضرورة كما تقدم ، فلا يطرد الحكم في غيرها ممن لم يكن في مثل حالهم".(٣)

ومما يؤكد أن أسماء كانت مضطرة هو فرحها عندما بعث أبوها أبو بكر (رضي الله عنه) بالخادم فقالت: (فكأنما أعتقني).

فالضرورة مجيزة للعمل وممكن تقسيمها إلى قسمين هما:

- ضرورة شخصية.
- ضرورة عامة.

(١) رواه البخاري ، ومسلم ، وأحمد مع اختلاف في بعض الألفاظ

(٢) بدر الدين العيني(مرجع سابق) ج١٠ ، ص٢٠٧

(٣) البخاري ، شرح العسقلاني (٧٧٣هـ-٨٥٢هـ) (دار المعرفة ، بيروت ، لبنان) ج٩ ص٣٢٧

أعني بذلك أن هناك ظروفا تضطر المرأة للعمل خارج البيت ، منها ما يتعلق بشخصها أو ما يتعلق بمن حولها من أسرتها . كما في مبحث سابق ؛ حيث خرجت أسماء للعمل في أرض زوجها وهي تبعد عن منزلها مسافة لأن الزبير كان مشغولا بالجهاد ونصرة الدين وفي قصة سيدنا موسى أيضا ، حيث خرجت المرأتان لعدم استطاعة أبيهما على السقي لأنه شيخ كبير ، وعدم وجود رجل غيره ينوب عنه في عمله ، مثاله:

١- الحاجة الملحة للعمل لوجود فقر ، وعدم كفاية المال لسد رمق العيش ، مما يجعلهم يسألون الناس إلحافا.

٢- عدم وجود عائل يعول من في البيت سوى المرأة ، لصغر الأولاد ، ووفاة الزوج ، وعدم وجود الوالد أو من يقوم مقامه.

٣- عمل المرأة لسد دين عن زوجها ، أو مساعدته في سداد ذلك الدين ، حتى لا يلقى عنتاً ، ومشقة على ما يترتب عليه سداد الدين ؛ كسجن أو حجر على أمواله مثلا.

٤- وجود العائل ولكن مع عدم قدرته على العمل لسبب دائم أو مؤقت ؛ كإصابته بعاهة مستديمة مقعدة عن العمل ، أو لظرف مؤقت لمرض مؤقت، أو لدخوله السجن مثلا ، أو لسفر بعيد ، إلى غيرها من الظروف.(١)

هناك نقطة يجب ذكرها ، بالنسبة للمستوى المعيشي ، فلا يمكن أن نقول مثلا "إنها تخرج لزيادة الدخل من أجل حياة أفضل ، فليس من المفروض في الإنسان الذي يخضع لقيم سماوية ، أن يفرض مستوى الحياة أو لا ثم بعد ذلك يحمل

(١) ينظر : محمد متولي الشعراوي ، أنت تسأل والإسلام يجيب (دار المسلم) ج٣ ص٨-٩ /المودودي (مرجع سابق) ص٢٣١-٢٣٣ / د: يوسف القرضاوي ، قضايا إسلامية معاصرة ،(ط١ ، دار الضياء ،عمان ، الأردن :١٤٠٧هـ -١٩٨٧م)ص٧٤-٧٥

الدخل على هذا المستوى. بل الصحيح هو العكس ؛ وهو أن يحدد مستوى حياته على قدر دخله ، فالمستوى المعيشي لا يحدد إلا على أساس الدخل ، والذي يتعب الناس أنهم يحددون مستوى الحياة أولا ، ثم إذا لم يكف الدخل يبدءون في عمل الأشياء الأخرى ، فقد ينحرفون ، أو يرتشون".(١)

وكثير من الناس لا يفرقون بين ضرورة الحياة ، وترف الحياة ؛"ضرورة الحياة هي القوت الضروري .. ولكن ترف الحياة أن يقول الإنسان : لا أقدر أن أتزوج .. لا أقدر أن أجد مسكنا من أربع غرف ،إلى غيرها من وسائل الراحة ، والترف، إنهم يريدون أن يبدأوا حياتهم بما لم تنته به حياة آبائهم لا .. الذي يريد أن يرفه حياته لا بد أن يرفع مستوى حركة الحياة .. قبل أن تحدد مستوى حياتك لا بد أن تحدد مستوى عملك .. إذا لم يكفك دخلك فحاول أن تنمي حركتك في الحياة ليزداد دخلك".(٢)

هذا بالنسبة لحاجة المرأة الشخصية أو العائلية ، أما بالنسبة للحاجة العامة ، للمجتمع والأمة :

ثانياً:الضرورة العامة:

يقصد بها : الضرورات التي هي من خارج محيط الأسرة : وهي كما يلي :

حاجة المجتمع إليها كتوظيفها في مراكز لا يصلح لها سوى النساء :

١- كتعليم البنات أو الأطفال ؛ لأنها أصلح وأنسب لبنات جنسها ولمنع الاختلاط ، وتكون بالنسبة للأطفال أحن عليهم من الرجل ، حتى لا يحسوا بالبعد من بيتهم.

(١) أنت تسأل والإسلام يجيب (مرجع سابق)

(٢) المرجع السابق ج٤ ص٥٢

٢- كتطبيبهن ؛ لأنه لا يجوز في الإسلام الكشف على المرأة إلا من المرأة ؛ وذلك منعا للخلوة وكشف العورات ، والاختلاط بالرجال الأجانب.

٣- أو تمريضهن ، وفي بعض المرات يتعين عليها إذا لم يوجد غيرها ، أو لم يكف العدد لسد العجز المترتب على ذلك النقص إلى غيرها من الأمور الموجبة للعمل ، فهي تتغير حسب الزمان والمكان.(١)

ومع كل هذه الظروف والضرورات فإن الإسلام لم يترك الحبل على الغارب ، فقد وضع ضمانات وضوابط وهذه الضمانات منضبطة لا تتحول أو تزول مع هذه الضرورات فيجب مراعاتها ، فالضرورة تقدر بقدرها ، ولا ضرر ولا ضرار ، إذ هذه قواعد ثابتة في الإسلام.

أقول إنه حتى وإن وجدت بعض هذه الضرورات فإن لا يستلزم لأجل العمل الخروج من البيت ؛ فكثير من الأعمال ممكن مزاولتها داخل البيت ، وخاصة مع توفر آلات عديدة تسهل من هذه المهمة كثيرا ، فآلات الخياطة والتطريز والحياكة إلى غيرها ، كلها تساعد على جمع المال ، والخروج من الحاجة بدون المعاناة التي تستوجبها عند خروجها من البيت ،فتتكبد مشاقا كالتي يتكبدها الرجل تماما ، وممكن لها أن تصصدم بمشاكل تجرح كرامتها ، ولقد تجني الكثير ، ففي بعض الأحيان يفوق دخلها عن دخل العاملة خارج بيتها ، وهذا ما حصل مع نساء دخلن التجربة ، ونجحن فيها بكل تفوق، وكل هذا أسلم لها ، ولأولادها ، وأسرتها ، وزوجها ، وللمجتمع أيضا.

(١) وهذه الأماكن الثلاث مما قال به الشيخ أحمد الخليلي (حفظه الله) ، وأفتى به . ينظر مجموع فتاوى الشيخ أحمد الخليلي(مخطوط).

الضوابط والشروط:

- أن لا تكون الوظيفة معطلة لعملها الذي خلقت له ، أو تكون على حساب واجبات أخرى لا يجوز لها إهمالها ؛كواجبها نحو زوجها ، وأولادها ، وهو واجبها الأول وعملها الأساسي، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)(١) ،فالأم والأب هما المسؤولان أمام الله تعالى عن هذه الوديعة التي أودعها المولى عندهما.

يقول الشهيد سيد قطب في تفسير الآية: "إن المؤمن مكلف هداية أهله ، وإصلاح بيته ، كما هو مكلف هداية نفسه ، وإصلاح قلبه.

إن الإسلام دين أسرة .. ومن ثم يقرر تبعة المؤمن في أسرته ، وواجبه في بيته ، والبيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة ، وهو الخلية التي يتألف منها ، ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحي .. المجتمع الإسلامي.

إن البيت الواحد قلعة من قلاع العقيدة ، ولا بد أن تكون القلعة متماسكة ، من داخلها حصينة في ذاتها ، كل فرد يقف على ثغرة لا ينفذ إليها .. وواجبه أن يؤمن هذه القلعة من داخلها .. ولا بد من الأم المسلمة ، فالأب المسلم وحده لا يكفي لتأمين القلعة لا بد من أم وأب ليقوما كذلك على الأبناء والبنات.

فعبثا يحاول أن ينشئ المجتمع الإسلامي بمجموعة من الرجال ، لا بد من النساء في هذا المجتمع فهن الحارسات على النشء .. وهو بذور المستقبل وثماره ، ويتعين على الآباء أن يعلموا أن الخلايا الحية لهذا البعث وديعة في أيديهم ، وأن

(١) سورة التحريم الآية ٦

عليهم أن يتجهوا إليهن بالدعوة والتربية والإعداد قبل أي أحد آخر ، وأن يستجيبوا لله وهو يدعوهم (يأيها الذين آمنو قو أنفسكم وأهليكم نارا).(١)

ومع حقيقها لدورها الأمومي الرفيع المفعم بالقداسة والعطف والحنان ، تحاول أن تجتهد لتحقيق الواجب الثاني المتمثل في الزوجية ، فبذلك تتجسد حكمة المولى في الزواج وخلق الزوجة ، والذي نجده وضيئا في الآية حين قال: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)(٢) . لقد رتب الله عزوجل خلق الزوجة مع أعظم الآيات التي خلقها ، فقرنها بخلق السماوات والأرض، والإحياء والموت ،واختلاف الألسن ، فجعلها آية للناس تدل على عظمة الخالق ، وتتجسد هذه الآية " في تلك الصلة ؛ حيث السكن للنفس والعصب، والراحة للجسم والقلب ، والإستقرار للحياة والعيش ، والأنس للأرواح والضمائر ، والاطمئنان للرجل والمرأة على السواء ، والتعبير القرآني الرقيق يصور العلاقة تصويرا موحيا ، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس :(لتسكنوا إليها) ، (وجعل بينكم مودة ورحمة).(٣)

- أن يكون عملها مشروعا ، سواء نوعية ذلك العمل أو ما يحيط بذلك العمل ؛ فال يجوز أن تعمل عملا يوجب لها الاختلاط ، وأدلة ذلك كثيرة في السنة ، عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه سمع النبيﷺ يقول: (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي

(١) في ظلال القرآن (مرجع سابق) م٦ ج٢١ ص٣٦١٩-٣٦٢٠

(٢) سورة الروم الآية ٢١

(٣) المرجع السابق ص٢٧٦٣

محرم)(١) وقال (صلى الله عليه وسلم) :(لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان)(٢) ، وعن عتبة بن عامر (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار ، أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت.)(٣)

ولا يجوز أيضا التبرج ، قال تعالى: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)(٤) ،وعدم الخلوة بالأجنبي أو يكون العمل فيه استغلال لأنوثتها ، كعارضة أزياء ، أو عاملة دعاية ، أو يستغل جمالها لتملأ به صفحات المجلات، أو تكون وسيلة لجلب الزبائن، عن رافع بن رفاعة قال: (نهانا صلى الله عليه وسلم عن كسب الإماء إلا ما عملت بيدها ، وقال هكذا بأصابعه نحو الخبز والغزل والنقش)(٥) ، عن أبي هريرة قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الإماء) ، ذكر ابن الأثير الجزري في الجامع ، في شرح غريب الحديث: "قد جاء في حديث أبي هريرة هكذا النهي مطلقا ، وجاء في حديث رافع مقيدا: (إلا ما عملت بيدها) ، ووجه حديث أبي هريرة أنه كان لأهل مكة والمدينة إماء ، عليهن ضرائب يخدمن الناس ، ويأخذن أجرهن، ويعين مواليهن ما عليهن من الضرائب ، ومن تكون مبتذلة خارجة داخلة وعليها ضريبة وقرار لمولاها فلا يؤمن أن تبدو منها زلة ، إما لاستزادة في المعاش، وتحصيل ضريبة ، وإما لشهوة تغلب ولغير ذلك ، والمعصوم قليل ،

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه الترمذي وأحمد

(٣) رواه الترمذي/ الحمو : قيل أنه الأخ ، عند البخاري : الحمو هم أقارب الزوج ، غير آبائه ، وأبنائه.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٣

(٥) رواه أبو داود

فنهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن كسبهن تنزها عنه ، هذا إذا كان للأمة وجه معلوم تكسب منه ، فكيف إذا لم يكن لها جهة معلومة".(١)

- عليها أن تلتزم بأدب الإسلام إذا خرجت من بيتها : في زيها ، عليها الالتزام بالستر وعدم التبرج ، قال تعالى: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وعدم المبالغة في التزين مما يثير الأنظار ؛ كلبس الذهب والخلاخل ووضع الطيب الذي يثير الحواس.

عن عائشة قالت: بينما رسول الله جالس في المسجد ، إذ دخلت امرأة من مزينة ترفل في زينة لها في المسجد ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (يأيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة ، والتبختر في المسجد ، فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة ، والتبختر في المساجد).(٢)

تلتزم الأدب في مشيتها وحركاتها ، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: (صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا)(٣) ، قال تعالى : (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء)(٤) مشية الفتاة الطاهرة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال على استحياء في غير تبذل ولا تبرج ولا إغواء".(٥)

(١) ابن الأثير الجزري ،جامع الأصول (ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ج١٠ ص٥٨٧-٥٨٨

(٢) رواه ابن ماجه

(٣) رواه مسلم ، وأحمد البحث: جمال طويلة الأعناق

(٤) سورة القصص الآية ٢٥

(٥) في ظلال القرآن (مرجع سابق) م٥ ج٢٢ ص٢٦٨٦

- عدم الإختلاط بالرجال ، قال تعالى على لسان سيدنا موسى (عليه السلام) : (قال ما خطبطما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير).(١) لقد خرجت المرأتان عند الضرورة للسقي ، ولكن رغم الضرورة " لم تزاحما الرجال ، وقفتا بعيدا تمنعنان ماشيتهما من السقيا حتى ينصرف الرعاة .. وهنا يعطينا مبدأ وهو أنه إذا اضطرت المرأة للخروج للعمل .. فلا يجب أن تزاحم الرجال بل تبقى حتى ينصرفوا ، ولا تكون هناك مزاحمة .. وهكذا نعرف أن ضرورة العمل لا يجب أن تجعل المرأة تزاحم وتختلط".(٢)

خلاصة القول : إن المرأة إذا اضطرتها الضرورة للخروج إلى العمل فعليها أن تلتزم بما فرضه الشرع عليها من كل النواحي . دون إجحاف ولا تفريط ، ترعى الله في نفسها وأهلها ، وذويها.

وفي الختام لا بأس بذكر بعض الاعتراضات التي يمكن أن تثار حول عمل المرأة من الناحية الشرعية ، وذلك نقلا عن كتاب المفصل في أحكام المرأة.

❋ الاعتراض الأول

وقد يقال : ما تقولون في المرأة إذا أرادت العمل المشروع خارج البيت ، وجاءت بالخادمة تنوب عنها في عمل البيت ، وحضانة الأطفال وتربيتهم ؟ أيبقى العمل محظورا في حق هذه المرأة ، وقد جاءت بالخادمة تنوب عنها في أداء واجبها في البيت؟.

(١) سورة القصص الآية ٢٣

(٢) محمد متولي الشعراوي ، المرأة في القرآن (مطابع أخبار اليوم) ص١٠٤-د١٠

الجواب: يبقى العمل في حقها محظورا خارج البيت ما دامت غير مضطرة عليه، ولا يعفيها من ارتكاب المحظور جلب الخادمة ، ولا يدفع عنها الإخلال بأداء واجباتها في البيت ، لأن الأطفال من قبل أمهم وإحاطتهم بعطف الأمومة وحنانها لا يمكن تحصيله عن طريق الخادمات ، هذه واحدة.

الثانية: إن قول هذا المعترض يعني أنه لا يقيم وزنا ولا اعتبارا للخادمات ، وأنهن غير جديرات بالرعاية ، والاهتمام ، وأنهن بمنزلة أدنى من غيرهن من المخدومات في حكم اشتغال المرأة خارج البيت. ومثل هذا النظر غير صحيح ولا يجوز ؛ لأننا عندما نقول بمنع عمل المرأة خارج البيت ، فهذا القول حكم عام يشمل جميع الخادمات والمخدومات ، فكيف نسوغ للخادمات العمل خارج بيوتهن وهو محظور عليهن ، ونسمح للمخدومات بالعمل خارج بيوتهن وهو محظور عليهن؟ وهل هذا إلا من قبيل ارتكاب محظورين للخلاص من محظور واحد؟ وهذا – بداهة – لا يجوز.

❊ الاعتراض الثاني

وقد يقول قائل أو يعترض معترض: وإذا لم تكن المرأة متزوجة فهل تمنع من العمل خارج البيت وهي غير مسؤولة عن أعماله؟

الجواب: في هذه الحالة يندب لها البقاء في بيتها ؛ لأن نفقتها – إن كانت فقيرة- على أبيها ، أو وليها الشرعي ومن تلزمه نفقتها عند عدم وجود الأب أو عجزه عن الإنفاق عليها ، فلا حاجة لها إلى العمل ؛ لأن بقاءها في البيت أستر وأسلم لها، وهي مكفية المؤونة ، والشرع يندب إليها القرار في البيت ، ويرغبها في البقاء فيه ما دام لا يوجد مبرر شرعي لخروجها.

❁ الاعتراض الثالث ودفعه

وإذا قيل: أليس العمل مباحا لها ، وهي ليست ذات زوج فلا حقوق عليها له، ولا أطفال لها تلزمها رعايتهم، فلماذا تمنع من العمل المباح الذي هو حق لها؟

الجواب: إن المندوب إليه شرعا قرار المرأة في البيت وعدم قضاء وقتها خارجه في الاشغال بعمل أو بدونه ما دامت لا ضرورة لها بهذا العمل.

وأيضا فإنها ملزمة بخدمة أبويها ، أو تندب إلى هذه الخدمة إذا قلنا بعدم الوجوب ، فيقدم ما هو مندوب إليه في حقها – وهو خدمة أبويها – على ما هو مباح لها وهو اشتغالها خارج البيت.

ويقال أيضا: إنها قبل الزواج محتاجة لمعرفة كيفية إدارة شؤون البيت والقيام بأعماله للمران على ذلك وإتقانه ، وهذا يستغرق منها وقتا كثيرا وتكرار للعمل ، ولا ينبغي إهماله أو التسويف فيه ، أو تأخيره ؛لأنها معرضة لأن تكون زوجة في أي وقت ، فيجب أن تكون مهيأة للحياة الزوجية ، ومن ذلك إتقانها أعمال البيت والمعرفة بالقيام بشؤونه ؛ لأن هذا التهيؤ يعتبر من قبيل الاستعداد للحياة الزوجية والقيام بواجباتها ، وهذا الاستعداد لاشك أنه مندوب إليه فيقدم على ما هو مباح للمرأة وهو عملها خارج البيت ، وهذا كله إذا لم تكن مضطرة على العمل خارج البيت ، أما إذا كانت هناك ضرورة لعملها خارج البيت فللضرورات أحكامها.(١)

(١) د: عبد الكريم زيدان (مرجع سابق) ص٢٦٤-٢٦٨

المبحث الأول: نتائج خروج المرأة المسلمة للعمل على الأسرة

الأسرة وعلاقتها بالمجتمع:

يقول السيد قطب في تعريف الأسرة: " الأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها ، وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها ، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب ، والرحمة، والتكافل ، وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة ، وعلى هديه ونوره تتفتح للحياة، وتفسر الحياة ، وتتعامل معها.(١)

بالنسبة للمجتمع فهي تمثل الركيزة الأساسية ،والقوية في بناءه ، وهي أساسه الذي يقوم عليه، فإذا صلحت صلح المجتمع ، وإذا فسدت فسد.

فالدائرة مغلقة بين العناصر الثلاثة : الفرد ، والأسرة ، والمجتمع ،كل واحد من هذه المجموعة يؤثر في الآخر ، فالأسرة تعني المجتمع ، والفرد يعني الأسرة ، والمجتمع يعني الفرد ، وهكذا فالكل متداخل في بعض ، لا ينفك جزء عن الآخر ، كذلك أرادها الله تعالى.

نظراً لما للأسرة من دور مهم فإن الدين الحنيف عني بها أيما عناية ، حيث آثرها بتفصيل أحكامها شاملة في القرآن ، وتطرق لكل صغيرة وكبيرة فيه ، وبعضها فسرت بالسنة النبوية ، أباح الزواج ، وحث على الإنجاب ، من أجل تكوين الأسر، (عن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة)(٢)

(١) في ظلال القرآن (مرجع سابق) م١ ج٢ ص٢٢٩

(٢) رواه أحمد ، مسند باقي المكثرين.

من المؤكد وما لا جدال فيه أن للمرأة دورا فعالا في الأسرة ؛ لأنها تمثل الركيزة الثانية التي تقوم عليها الأسرة ، والأم خاصة لها دورها الفريد في تربية الأجيال ، وتخريج رجالات تقوم برفع المجتمع نحو الأعلى والأحسن.

بعد أن عرفنا معنى الأسرة ، ودور المرأة فيه ،نتعرف على أثر عمل المرأة على الأسرة.

كما هو معلوم إن الأسرة لا تنفك أن يكون فيها زوج وزوجة ، ثم أولاد ، وعمل المرأة لا يخلو تأثيره في هذه المحاور الثلاثة.

أثر عمل المرأة على الأولاد:

لا يخلو أمر من عنصرين من ناحية التأثير غالبا ، وهما الإيجاب والسلب ، حتى الخمر والميسر قال فيهما تعالى: (قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) (١) ، أيضا عمل المرأة لا يخلو من هذين العنصرين.

- الإيجابيات:

ديننا الإسلامي كما أسلفت خص الأسرة بالعناية البالغة ، لما لها من دور عظيم، لكن قبل هذه الأسرة اهتم أول الأمر بالفرد ، لأن الأسرة في أصلها مزيج من الأفراد ، بعدها اهتم بالجماعة، فأساس تكوين المجتمع هو الفرد ، ذلك ما شهدناه في الفترة النبوية المكية ، بعد أن ربى الفرد وغرس فيه القيم والوحدانية ، ووضع ركائز الإيمان في قلبه ، بدأ بتوجيه الخطاب للأسرة ، في الفترة المدنية.

إن الفرد عنصر فعال ، وصلاحه هو صلاح المجتمع ككل ؛ لذلك أحاطه الإسلام بالعناية قبل وجوده ؛ بأن هيأ له الأسباب ، أسباب الصلاح والتقوى والإيمان والهداية ، عندما حث على الزواج ، وحرم الزنا ، وحث على حسن

(١) سورة البقرة الآية ٢١٩

الاختيار ، وجعل مقياس هذا الاختيار هو التقوى والصلاح ، لا المال ولا الجمال، بعد ذلك أحاطه بالرعاية عند تكوينه ، حرم قتله ، وإجهاض ما في بطن الأم ، وأوجب له الضمان ، سواء بالغرة ، أو الدية ، حث الأمهات على إرضاع الوليد حولين كاملين ، وفرض له حقه في الميراث ، وأوجب على الأب الإنفاق عليه، وعلى أمه لكي تتفرغ لرعايته ، إلى غير ذلك من الرعاية.

فالطفل فرد مهم في العنصر البشري ؛ لأنه يمثل البداية الأولى له، ونقطة التحول من العدم إلى الوجود ، فالأطفال هم زينة الحياة الدنيا ، وعماد الأمة ، ومستقبلها ،وأساس حاضرها .

حتى القوانين الوضعية لم تغفل هذه الأهمية ، فكفلت له حقوقا خاصة انفرد بها عن غيره من المراحل العمرية في المجتمع "ولا يجد الباحث كبير عناء في إدراك الأسباب التي من أجلها منح الطفل هذه الحقوق الخاصة ؛فهو كائن ضعيف البنيان غير مكتمل النضج بدنيا وعقليا ، غير قادر على حماية حقوقه أو الدفاع عن نفسه ، هو في حاجة إلى من يمنحه الأمن والأمان ، والحب والحنان ، ويتولى عنه مسألة الكسب ،والإنفاق وتوفير متطلبات الحياة المادية والمعنوية.

ومرحلة الطفولة هي مرحلة تكوين وإعداد ، ومن خلالها تتشكل التقاليد والأنماط السلوكية . ويقدر ما تنجح الأمم والشعوب في رعاية أطفالها ، وإشباع حاجاتهم المادية والمعنوية ، النفسية والاجتماعية ، وتربيتهم على القيم والمثل العليا، والأخلاق الفاضلة بقدر ما تتكون أجيال جديدة قوية البنيان ، متوازنة نفسيا واجتماعيا ، قادراة على العمل والخلق والإبداع ، كل ذلك مما تؤكده

الدراسات النفسية والاجتماعية ، من ثم وجب تقنين الحقوق المتعلقة به في اتفاقيات".(١)

فالطفولة هي فترة مهمة ، وخطيرة في نفس الوقت ، إن استغلت في الحسن أنبتت حسنا ، وان استغلت بالسيئ أنبتت نكدا ؛ فهي الأرض البشرية التي أيما بذرة بذرت أنبتت ، مصداقا لقوله (صلى الله عليه وسلم) :(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)(٢) ، فهو كالعجينة الطيعة في يد الآباء كيفما شاءوا شكلوها – طبعا ليس التشكيل الخلقي-.

والطفولة كما يؤكده علماء النفس ، والطب تحتاج إلى رعاية مركزة طوال الوقت ، رعاية دورية لا تنقطع .

من بين ما يحتاجه الطفل في سنه المبكرة أمور مادية ومعنوية.

المادية : ما يتمثل في الأكل والشرب ، والملبس الحسن ، والسكن الصحي المريح..

المعنوية : العطف والحنان ، والحماية ، والإحسان بالرعاية ، والدفء الأبوي..

هذه هي أهم المتطلبات التي يحتاج إليها الطفل ونقصانها أو افتقادها يترتب عليها نتائج وخيمة كما سنرى ، ومن يستطيع تلبية هذه الحاجات هما الوالدان خاصة ، فلا يمكن أن يعوض الطفل حنان الوالدين إلا من هو أقرب الأقرباء إليهكالجد أو الجدة خاصة.

بعد هذه المقدمة نتسائل : مامدى تأثير الأم العاملة في تلبية هذه الحاجات لطفلها؟ ، أو بمعنى أصح هل يمكن للمرأة العاملة أن توفر كل هذا الكم من الحاجات لطفلها؟ .

(١) مجلة الحقوق ع:٣ ، س١٧ ، ١٩٩٣/٩م ، ص:١٤٤-١٤٥ الكويت

(٢) رواه : البخاري ، مسلم ، النسائي عن أبي هريرة

لا تخلو الإجابة على السؤال من شقين ؛ هما : التأثير الإيجابي ، والتأثير السلبي.

١- التأثير الإيجابي:

إن للطفل حاجات عضوية ونفسية، كلاهما يكمل الآخر، فلا غنى للكائن البشري عن أحد دون الآخر ، ولتلبيتها تأثير إيجابي كبير حاضراً ومستقبلاً، خاصة الطفل ؛ لأن الطفل يمكن تشبيهه بقاعدة هرم حياة الإنسان، إذ يجب أن تكون متينة حتى لا يسهل اندثارها بسرعة، يجب أن تكون قاعدة عريضة متزنة خالية من الاضطراب، عريضة بالقيم والأخلاق، والصحة النفسية ، والجسدية الجيدة.

توفير مرافق الحياة :

إن النساء اللائي يعملن يحصلن على المال ، وهذا المال يحقق المآرب الشخصية والعامة للأسرة، من مأكل طيب، ومشرب حسن، وسكن مريح، ومركب فاره، ففي هذه الحالة المرأة حققت لأهلها، وأطفالها خاصة الحاجات المعيشية الضرورية، فساعدت في تيسير سبل العيش، وجلبت لهم وسائل الراحة، هذا كله إيجابي ، ويؤثر بشكل طيب على الأطفال " لأن الدراسات الاجتماعية ، والنفسية المتعلقة بالطفل تجمع على ضرورة، وأهمية الجو العائلي المناسب للطفل، ففي هذا الوسط يشب ويكبر، ومن خلاله يكسب توجهاته، وملكاته في مستقبل حياته"(١) ، فتوفير المسكن الواسع والمأكل الطيب إلى غيرها من المتطلبات كل ذلك يهيئ الجو العائلي الهادئ، أيضاً ما ييسره المال من أمور التعلم، كجلب وسائل التعليم قبل دخول المدرسة، مثل الأشرطة السمعية والبصرية ، واستخدام الكمبيوتر، وكل

(١) مجلة الحقوق (مرجع سابق) ص١٤٥-١٤٦

الوسائل الحديثة ، لأن سن ما قبل المدرسة لها تأثير بالغ على الطفل ومدراكه ، ذلك ما " تؤكده الدراسات ، إن ما يتعلمه الطفل منذ الولادة ، وحتى بلوغه السن السابعة ، يؤثر بشكل واضح في تشكيل الطفل من جميع الجوانب النفسية ، والخلقية ، والاجتماعية ، طيلة سنوات عمره"(١) ، أيضاً بعد بلوغه سن دخول المدرسة ، كإدخاله مدارس خاصة ذات مستوى حسن ، أو إعطائه دورات تدريبية تزيد من مدارك الطفل. وتوفير الكتب والوسائل المتطورة هذا كله يؤتي ثمراته عند الكبر ، ، هذا لا يمنع أن يشب الطفل عالماً قوياً صحيح البنيان ، في بيت من خص ، تحت معيشة فقيرة ، فكم من نابغ ، وعالم شب في بيت وحي فقير ، إن لم نقل أكثرهم.

خاصة ونحن نعيش عصراً استعصى فيه التعليم ، وشق على كثير من الناس ، سواء لفقر أو لعدم رغبة بذلك ، لذلك كان توفير الجو المادي الحسن مساعدا على التحصيل.

استفادة الأطفال من ثقافة الأم:

يقال إن المرأة العاملة تزداد ثقافة بدخولها مجال العمل ؛ لاحتكاكها بالعالم الخارجي ، وتعاملها مع أناس مختلفي الطبقات والفئات ، فتكسب بذلك الخبرة في الحياة ، والعبرة من تجارب الآخرين ، والأخذ بنصائحهم ، ومشاهدة العالم الخارجي يوقظ الحس ويوسع المدارك ، فإذا كانت المرأة العاملة كذلك فإن ذلك يعود على أبنائها ، من خلال تربيتهم ، وطريقة تعاملها معهم ، مما يجعلهم أكثر مداركا ، وأوسع تجاربا ، ويسهل عليهم التعامل مع الآخرين ويكسبهم الثقة بالنفس ، ويذهب عنهم الخجل والانطواء.

(١) (المرجع السابق) ص١٤٦

وثقافتها التي تكتسبها ،وكثرة تواجد النساء المتعلمات في العمل ، يجعلها تحس بقيمة العلم والثقافة ، فتحاول أن تراقب أولادها في دراساتهم ، ودروسهم ، ومراجعتها لهم ، ومتابعة سلوكهم ونتائجهم في المدارسة والسؤال عنهم

إنعكاس الراحة النفسية للأم على أولادها:

كما رأينا سابقا فإن بعض النساء يجدن الراحة النفسية في العمل ؛ لمجرد العمل ، وعند تحقيقها للطموحات ، والأهداف ، وتحقيق الأرباح المالية ، يخلق في المرأة العاملة شعورا وإحساسا بالراحة النفسية ، مما يؤثر إيجابا على أطفالها ، الذين تجدهم بقلب رحب باسم ، فتعاملهم بهدوء ، وراحة بال ، فيحسون بتلك السعادة ، وتنعكس على نفسياتهم ، حتى الجنين والرضيع يتأثران بنفسية الأم.

أضفاء الطابع المنظم على الأولاد:

كل الأعمال تتسم بالنظام والانضباط ، والالتزام المحكم ، وتساعد العمال على تعليم تحمل المسؤوليات ، والشعور بقيمة الوقت ، وكيفية استثماره ، هذا من بين ما تستفيده المرأة العاملة من عملها ، وما ينعكس على حياتها وأسرتها ، وأولادها خاصة ، فتعودهم على النظام والجدية والنشاط ، وكيفية استمثار الوقت، فيجعل الأسرة كتلة من نظام ، وانضباط. وإحساسها بالمسؤولية أيضا يدفعها للعناية بأطفالها أحسن عناية واهتمام.

تكثيف العناية بالأطفال:

المرأة العاملة بمقتضى وقتها الممتلئ ، والمشاغل التي تملأ وقتها يجعلها أقل التفاتا لأولادها ، مما يشعرها بالتقصير فتحاول بكل ما بوسعها تكثيف الوقت لأولادها ، وتعويضهم في العطل والأعياد، وتبذل كل ما لديها من أجل سد هذا النقص في

حياة أبناءها . وإحساسها أيضا بقيمة أطفالها ، وهي بعيدة عنهم تزيد من الشفقة عليهم.

هذه الإيجابيات لا يعني أن تكون مع كل عاملة ، ولكن ممكن وجودها مع بعضهن.

بعد أن علمنا الإيجابيات تأتي السلبيات.

- السلبيات:

ينقسم الأولاد من الناحية العمرية إلى مرحلتين عمرتين هامتين:

- مرحلة الطفولة.
- مرحلة المراهقة

أ) مرحلة الطفولة:

لا شك أن المرأة العاملة لا يقل غيابها عن البيت أقل من ست ساعات يوميا ، وفي حالات كثيرة يصل غيابها إلى عشر ساعات ، وربما تكون الفترات متقلبة من أسبوع لأسبوع، أو من شهر إلى شهر ، وهذا ما يحدث غالبا مع الطبيبات ، والممرضات ، كل هذا يجعل الطفل وحيدا ، ودون أم لساعات طول اليوم ، محروما من حاجات عدة.

الناحية الغذائية:

الرضيع:

من المؤكد أن الطفل في مرحلة الرضاعة سيحرم من الرضاعة إذا كانت أمه عاملة ؛ لأسباب:

لغيابها عن البيت ، وعدم وجود الوقت ، أو لاعتقاد بعض النساء أن الرضاعة ترهل الثدي مما يفقدها جمالها ورونقها الذي هي بحاجة إليه سواء مع زوجها أو خارج البيت ، أو شعورا بالتعب، مما يعجزها عن حمل الرضيع ومناولته الثدي ، قال الله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)(١) ، في هذه الحالة إن المرأة تحرم وليدها أعز حقوقه الذي لا يجد له بديلا ، من بين كل الألبان.

وتأكيد المولى في الآية على الإرضاع ، وجعل اللبن في ثدي الأنثى إنما هو لحكمة ، وما اكتشفه الطب من فوائد حليب الأم يبين لنا بعض ذلك الإعجاز.

أهم فوائد حليب الأم:

- لبن الأم معقم من المكروبات مما يقيه الأمراض.
- يلائم جميع فترات النمو ؛ فهو يتغير من فترة لفترة حسب حاجة الطفل العمرية لذلك.
- الارتباط النفسي والعاطفي بين الطفل وأمه ، مما يولد الاستقرار العاطفي والنفسي لدى الرضيع .
- غذاء كامل ، ملئ بالفيتامينات الحيوية الضرورية لتقوية الطفل ، وصلابة عوده.
- يمتاز أطفال الرضاعة الطبيعية بالنمو النفسي ، إضافة إلى النمو البدني . إلى غيرها من الفوائد التي تفيد الأم نفسها.(٢)

هذا بالنسبة للرضيع ، أما غيره من الفئات العمرية من الأطفال فهم أيضا سيحرمون من العناية الغذائية ، والعناية النفسية ، فالغذاء في هذه السنوات له أهمية

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٣

(٢) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن (مرجع سابق) ص٤٦٦

عظيمة وجليلة ، ففيها يتكون جسم الإنسان والأنسجة ، وتتقوى العظام ، فإذا كانت التغذية غير كافية ، وغير متوازنة نتج عنها أمور منها: النحافة ، وقصر القامة ، فكثير من الأطفال لا يجدون الرغبة في الأكل إلا إذا رغبوا في ذلك، وفي حالة حصول اختلال وسوء في التغذية ثم استمر الوضع كذلك ، سيكون من الصعب أن يتدارك الأمر عند الكبر لأن العظام قد تكونت ، والأنسجة قد كملت ، لذلك يستدعي من الأم المراقبة الواعية ، والعناية الكاملة بتغذية الطفل ، وانتقاء ما ينفعه ، ويساعده على النمو بشكل قوي ، كل هذ يحثنا عليه ديننا الحنيف ، ويحبذ المؤمن القوي على المؤمن الضعيف ، ولا يتوقف ضرر سوء التغذية على البنية بل يستمر مع الطفل حتى يكبر ، فيسبب له عقدا نفسية ، من خجل، وانطواء وعزلة بالنفس ، وهذا كله لا يحبذه الإسلام ، قال تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)(١) ، فلا يمكن أن تأتي القوة من شخص ضعيف البنيان ، وضعيف الشخصية ، كثير الخجل ، حتى ركوب الخيل يحتاج إلى مهارة ، وسرعة، وقوة تحمل.

الناحية النفسية:

إن الطفل مخلوق ضعيف ، والضعيف دائما يحتاج إلى الرعاية ، والحنان ، والإحساس بالحماية ، وهذه الحاجات ليس لها وقت معين ، ولا قدر منضبط ، فمهما أعطي استزاد ، وكما يقول أصحاب علم النفس: إن العطف ، والحنان والحب ، والرعاية كلها أمور لا تنفك عن الصبي حتى الكبير ، ونقصانها يؤثر في تنشئة الطفل ، وتظهر أعراضه عند الكبر جلية.(٢)

(١) سورة الأنفال ، الآية ٦٠

(٢) ينظر : حامد عبد السلام هارون ، علم نفس النمو (ط٤ ، عالم الكتب ، القاهرة) ص٢٦٧-٢٦٨

كل هذه الحاجات لا تعوضه الماديات مهما يكن ، ككثرة اللعب ، والهدايا ، وتوفير المال إذ إن بعض النساء يعتقدن أن الأطفال بحاجة إلى اللعب أكبر من أي شيء آخر ، ولكن الحقيقة غير ذلك كما يفسرها علماء النفس ؛ إن الطفل إذا أحس بأن مطالبه تجاب ينشأ مدللا ، لا يستطيع أن يتحمل المسؤولية تجاه حياته عندما يكبر .. وأن إهمال الطفل أسوأ ما يمكن أن يعامل به الطفل مهما كان يحيطه من مال ..فإذا أعطي الطفل الحب أعطي الحياة".(١)

فالحب والحنان والاعتراف بالشخصية والقدرات ، وتوفير الحماية للطفل وإتاحة فرص التعبير له عن النفس ، والحرية في الإبداع ، وفرص اللعب ، كلها أمور ضرورية مهمة ، فقد كان رسول الله ﷺ شديد الحرص على هذه الأمور ، يأمرنا بالمسح على رأس اليتيم، وتقبيل الأطفال ، وإتاحة فرص اللعب ، كما كان يفعل مع سبطيه الحسن والحسين حتى وهو في الصلاة، وأكثر ما هذا فبكاء الطفل يرق له قلبه ﷺ ذات مرة كان ﷺ يصلي بالناس ، فصلى بهم في الركعة الأولى بستين آية ، وفي الركعة الثانية ، بدأ القراءة فلما وصل الآية الثالثة سمع بكاء طفل فركع مباشرة ، ولما فرغ من الصلاة سئل عن تقصيره القراءة ، فقال: سمعت بكاء طفل فخفت من وجد أمه عليه.

فأي ضغط يمنع من تحقيق هذه النزعات لدى الطفل سيولد فيه مشاعر السخط والحرمان ، والغيرة ، والعجز ، وكلها مقدمات للسلوك غير الأخلاقي ، وغير الاجتماعي ، وهذه النزعات تسعى إلى الإشباع بأي وسيلة ، وإغلاق المصارف الاجتماعية لها تفتح الطريق لإشباعها عن طريق طرق جانبية غير مشروعة ، وقد يقال إن العوامل الخارجية المحيطة بالطفل في بيته ، وخارجه ؛ مثل رفقة السوء لها

(١) محمد رفعت، الأمراض النفسية وعلاجها (ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت لبنان ١٩٩٢م) ص:٤٢-٤٣

أثر ، صحيح ذلك ، ولكن اضطراب النمو النفسي أقوى هذه الأسباب فهو قوة حبيسة في نفس الطفل ، ما إن تطرقها العوامل الخارجية حتى تنطلق معها في طريق الجريمة ، وكلما كان الاضطراب العاطفي أشد كان الضغط الخارجي المتطلب لحدوث الجريمة أقل".(١)

وما يعضد ذلك هو تلك البحوث التي نسمع عنها ، والأرقام الضخمة من الجرائم بأنواعها التي تصلنا مما يحدث في أمريكا ، وأوربا ، فالطفل يولد على الفطرة فلا يمكن أن يكون عدوانيا بالوراثة ، إلا إذا ترك ولم يحط بالعناية الضرورية ، وقد أجري بحث تحت إشراف منظمة الصحة العالمية ، وقام به عالم النفس البريطاني(جون بولبي) ، يقول فيه: (إن معظم الأطفال المصابين بأضرار عقلية أو انحرافات أخلاقية قد عاشوا بعيدا عن أمهاتهم ،وأن ما تشهده بريطانيا من حمى الإجرام ، والعنف يعود إلى عدم وجود من يرعى أطفال الأمهات العاملات، وأشار بحث آخر يؤكد فيه ما سبق ، أن غياب الأم عن أسرتها بسبب العمل مسؤول عن ٨٠٪ من أسباب انحراف الأطفال".(٢)

فالمشكلة أكبر من هذه ؛ لأن هذه الأعراض يعسر غالبا علاجها ، فالطفل قد شب على ذلك الطبع ، وطبع عليه تلك الطباع إذ" أثبت الطب والتحليل النفسي أن كثيرا من أسباب الشقاء الزوجي يرجع أصله إلى عقد الصبا ، والمراهقة ، وأن الزواج لم يحلها بل كبرها كما يكبر المجهر النقطة الصغيرة".(٣)

(١) سمير عبده ،التحليل النفسي للجريمة (ط١ ، دار الكتاب ، دمشق :١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) ص٤٣-٤٤

(٢) مجلة الإصلاح ، ع٣٠٠ ، ١٩٩٤/٨م

(٣) محمد قطب ، الإنسان بين المادية والإسلام (ط٨ ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان :١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ص١٣

ولو افترضنا أن هذه السلبية فقط الناتجة عن خروج المرأة إلى العمل لاكتفينا بها ، لأنها تهدد مستقبل جيل بكامله ، ومستقبل أمة ، فاعتماد الأمة على شبابها ، فكيف تكون الأمة وشبابها بهذه الحالة.

الإهمال التربوي:

إضافة إلى ما سبق فإن الطفل يحتاج أيضا إلى تربية محكمة ؛ لأن الطفل مثلة كالتربة ، فأي بذر يبذر فيها يأتي بالنبت على شكل الغرس ، والطفل صفحة بيضاء نقية ، لذلك حث وشدد ديننا الحنيف على التربية ، وجعلها من المسؤوليات التي تسأل عنها يوم القيامة ، وبمقتضى أن الأم هي أكثر جوارا للأبناء فإن المسؤولية الأكبر توجه إليها ، لذا يجب عليها أن تستغل هذا الجوار ، وتستثمره لصالح الطفل، والمجتمع . عن أيوب بن موسى القرشي عن أبيه عن جده قال: (قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن).(١)

عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين).(٢)

يقول ابن القيم في هذا الصدد : الطفل في غاية الاحتياج إلى الاعتناء بأمر خلقه فإنه ينشأ عما عوده المربي في صغره من حر ، وغضب ولجاج ، وعجلة وحقه مع هواه ، وطيش وحدة ، وجشع ، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات، وهيئات راسخة له".(٣)

مع العلم أن التربية تعد من أصعب التخصصات لأنها تعتني بالنفس البشرية ، لذلك نجدها تدرس على أعلى المستويات وفي أكبر الجامعات ، وتجرى البحوث

(١) رواه الترمذي في سننه ، وأحمد في المسند

(٢) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود بأحكام المولود ، تح:عبد المنعم العاني(ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ص١٥٨

(٣) المرجع السابق ص١٦٤-١٦٥

حولها . وتزداد تعقيدا يوما بعد يوم ، بسبب المستجدات الحديثة التي تلعب بعقول الشباب ، والأطفال أيضا ، والإهمال الذي يلاقونه لانشغال الآباء عن التربية حتى في وطننا العربي .أكدت دراسة أعدتها اليونسكو مؤخرا عن الطفل العربي أن تربيته أصبحت صعبة من أي وقت مضى ، وذلك بسبب التغيرات الاجتماعية ، والبيئية التي حدثت أخيرا في المجتمع العربي .. وقد ألحق إخراج الأم التي كانت تربي أطفالها بنفسها إلى سوق العمل أضرارا جسيمة".(١)

إذا فمن خلال ما سبق يمكن الوصول إلى أن الأمر أخطر مما يتصور ، إذ لا يمكن للمرأة البعيدة عن البيت أن تتفرغ لهذا العبء الكبير فوقتها لا يسمح بكل هذه المسؤوليات ، خاصة في وقتنا الحاضر ، والذي كثرت فيه وسائل المعلومات ، التي من خلالها يطلع الطفل ، على أمور عدة يمكن أن تسيء إلى أخلاقه وقيمه ، وزعزعة اعتقاداته ، فالأولاد إما وحدهم في البيت ، أو مع الخادمة أو مع أحد من أهلها ، فممكن لوجود أحد من الأهل أن يهون الوضع ، ولكن إذا كانوا مع الخادمة أو وحدهم فإنهم سيتصرفون بمنتهى الحرية ، ودون وعي أو إدراك ، بين التلفزيون ، والدش ، والفيديو ، كلها أمور تحتاج إلى رقابة ، وتوعية مستمرة ، إضافة إلى ذلك رفقة السوء ، والتي تعد من أهم الأسباب في تغيير طبائع الطفل ، وتحويرها ، تحكي امرأة عاملة حادثة وقعت مع ابنها تقول: رجعت مرة إلى بيتي فوجدت ابني البالغ من العمر اثنتي عشر سنة لافا ورقة ويدخن، فلما رآني أسقطها .. لو كنت في البيت ما حدث هذا ، فالأم التي تخرج للعمل يكون خروجها على حساب بيتها ، وأولادها".(٢)

(١) مجلة الأمة ، ع٣٢ ،س٣ ، شعبان /١٤٠٣خ، / ص٨٤

(٢) للشاهد ، ع ٢٦ (م.س)

الإهمال الدراسي:

إن الطفل الذي لا يلقى الرعاية ، والمتابعة من قبل الأم والأب سيهمل دراسته، ودروسه ؛ لأنه يعيش في جو مليء بالمغريات ، والمنفرات عن الدراسة ، فوجود التلفزيون ، وكثرة القنوات ، والتي تصل مرات إلى حوالي أربعين أو يربو، والكمبيوتر ببرامجه الشيقة ، وألعابه المسلية ، وشكبة المعلومات العالمية ، كل ذلك يساعد على الإهمال الدراسي ، ويشغل وقته ، لذلك يحتاج إلى من يمنعه ويحمسه على الدراسة ، لأن إطلاق الحبل على الغارب للأطفال يجعلهم يتمردون ، وجهلهم بالمسؤولية ، وبمصالحهم ، وصغر سنهم يجعلهم يتصرفون دون وعي أو إدراك.

افتقار الطفل لدور الأم:

مما جلبه عمل المرأة على الأسرة ، وعلى الطفل خاصة هو اختلال الأدوار في البيت ، فاضطرار المرأة قضاء معظم الوقت خارج البيت ، وبقاء الرجل أحيانا في البيت لعدم توافر العمل، واسترجال بعض النساء ، وضعف بعض الرجال ، وفكرة المساواة التي جعلت المرأة تتشابه ،وتطابق الرجل ، والنظر إليها من خلال ما يستطيع الجنسان أن يمارسه من المهن المتماثلة ، كل ذلك سمح للمرأة أن تكون كالرجل ، بحيث يستطيع أحدهما أن يحل محل الآخر في العمل ، جعلت تصورات الطفل تهتز ، و يحس بنقصان دورها ، وهو الدور الأمومي ، فالولد بحاجة إلى دور الأب ، ودور الأم معا بشكل متكامل ، لا متطابق لينمو نموا عاطفيا سليما ، ولتكون شخصيته بصورة متوازية.

فللأم دور خاص في الأسرة ، وللأب كذلك دور ، ومع أن هذين الدورين متكاملان إلا أن أحدهما لا يمكن أن يلغي الآخر ، أو يحل محله ؛ فالأولاد بحاجة

إلى وجه مؤنث ، ووجه مذكر ، إلى حنان الأم، وسلطة الأب "(١) لذلك ولأمور أخرى لعن الرسول (صلى الله عليه وسلم) المتشبه بالنساء من الرجال ، والمتشبهة بالرجال من النساء.

الترف الإقتصادي

فكما للمال فوائد على الطفل له أيضا مضار ، فالترف الاقتصادي يؤدي إلى الدعة ، والراحة والكسل ، والاتكالية ، خاصة إذا نشأ الطفل منذ نعومة أظفاره على هذا المنوال ، كما نجد تلك الصورة بكثرة بين أسر المترفين في دول الخليج خاصة ، نجد جل اعتمادهم على الخادم أو الخادمة ، حتى كوب الماء يقرب منه بضع سنتيمترات يطلبه من الخادم ، وأقل عمل في البيت مثلا : إعادة تركيب مصباح محترق ، يستدعي العامل الكهربائي ، لا يمنع طبعا أن يكون الإنسان منعما في عيشه ، ولكن هذا النعيم ينقصه الرعاية ، والعناية ، والمراقبة ، وتعويد الاتكال على النفس.

أيضا وفرة المال تجلب كثيرا من وسائل الترف ، والراحة ، والمال الوفير في يد الطفل ، أو المراهق مما يمكنه من اقتناء ما يريده ، ويسهل عليه الوصول للمحظور ، مثال ذلك : يساعده على استئجار أشرطة الفيديو ، أو اقتناء المحرمات كالسجائر ، وربما المسكرات ، كل هذا مع عدم وجود رقابة الأهل خاصة الأم.

هذا فيما يخص مرحلة الطفولة ، أما مرحلة المراهقة فلها تأثير عليها أيضا.

٢) مرحلة المراهقة

إنها من أخطر المراحل على الإنسان ، فهي امتداد لمرحلة الطفولة ، ومن ثم فهي" مرحلة دقيقة من الناحية الاجتماعية ، إذ يتعلم فيها الناشئون تحمل

(١) إلياس ديب ، عالم الولد (ط١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت لبنان :١٩٨٦م) ص٩٨

المسؤوليات الاجتماعية ، وواجباتهم نحو المجتمع ، كما أنهم يكونون أفكارهم عن الزواج والحياة الأسرية ، وبالزواج يكتمل جزء كبير من دورة النمو النفسي العام".(١)

فالمراهقة مرحلة حاسمة في حياة الطفل نحو المستقبل ، ونظرة المراهق لنفسه تجعله يحس بأنه قد صار رجلا ، ويستطيع أن يبرهن عن ذلك بتصرفات غير واعية منه ، فيقوم بتقليد الكبار ، ومثال ذلك ما نجده مع بعض الشباب يدخنون السجائر بمجرد بلوغهم هذه السن ، ربما حبا في الاطلاع ، والتجريب ، ويقعون بذلك في المزالق التي لا مفر منها ، والرغبة الجنسية التي تنشأ مع هذه السن ، والتي تكون في أشد ثورانها ، تشكل خطرا على المراهق في ارتكاب المحرمات كالزنى وغيرها . لذلك نجد كثيرا من الشباب تتحول آراؤهم ، وتصرفاتهم في هذه السن ، وتتغير طبائعهم ، إما إلى الأسوء ، أو إلى الأحسن.

لأجل هذا يجب أن يحاط المراهق بعناية خاصة ، وطرق مختلفة عما كان عليه في سن الطفولة ، يعامل معاملة الصديق ، ويحسس بالحنان والمحبة ، " توصل باحثون من جامعة (نورث كارولينا ، وجامعة مينيسوتا) الأمريكيتين إلى أن ارتباط البالغين بالآباء ، والمنزل بروابط قوية تجعلهم أقل عرضة لتعاطي المخدرات أو الكحوليات ، أو تدخين السجائر ، أو الانخراط في مجموعات شبابية تمارس أعمالا غير مشروعة.

وجاء في الدراسة – التي شملت ٩٠ ألف شاب في مرحلة البلوغ – إن الشباب يصبح في حالة صحية جيدة إذا ما عرف أن أباه يحبه ، ويهتم به ، ويتوقع له مستقبلا مرموقا".(٢)

(١) حامد عبد السلام هارون (مرجع سابق) ص٢٩٤

(٢) الأسرة ، (هولندا) ع:٥٢ م.س

أيضا ما يعد خطرا على المراهق هو الفراغ ، فوجوده في البيت وحده يهيء الجو المناسب للفساد ، ومع توفر الوسائل ، كالأفلام الفاضحة على الفيديو ، والدش ، بمختلف قنواته ، حتى الكمبيوتر أصبح وسيلة من وسائل الفساد إذا أسيء استعماله ، إذ تباع أقراص تحمل في طياتها أفلاما وصورا للجنس ، وكذلك الإنترنت ، توفر كل ما يحتاجه المطلع من معلومات ، حتى العقائد الزائغة ، يروج لها في هذه الشبكة ، وأدل على خطرها هو ظهور عبدة النار(١) ـ في عدة بلدان من الوطن العربي ، وكانت أهم الوسائل التي أطلعتهم على هذه العقيدة ، وأغرتهم بها هي الإنترنت ، ومعظم المنتمين إليها من مصر هم من الطبقة الراقية ، أبناء شخصيات ، وأصحاب مناصب عليا في المجتمع ، وعزى أحد المحللين سبب هذه الظاهرة إلى غياب الأسرة التي تلهث وراء المال ، حيث أصبح هذا الشباب فريسة سهلة لأصحاب هذه الدعاوى".(٢)

هذا المثال الأخير يؤدي إلى نقطة أخرى وهي الترف.

وفـــــرة المـــال

إضافة إلى ما رأينا سابقا عن الترف ، وميزاته فإنه يعد سببا وراء جنوح الأحداث " فحسب دراسة ميدانية أمنية أثبتت أن ارتفاع المستوى المعيشي من أهم الملامح لمرتكبي الجرائم ، ويفسر الدكتور: محمد مراد عبد الله مدير مركز البحوث والدراسات في شرطة دبي هذه الظاهرة إلى ارتباط الجاني بالأغلاط الاستهلاكية غير المتزنة ، والتي تؤدي بالتالي إلى تنامي الحس الاستهلاكي (٣) لدى الجاني نتيجة وضعه في بحبوحة مالية لا يحتاجها ، ومن ثم يضطر للبحث عن وسائل استهلاكية

(١) ينظر:أبو إسلام أحمد عبد الله ، وآخرون ، عبدة الشيطان (ط١ ، بيت الحكمة ، القاهرة ١٤١٧هـ -١٩٩٧م)

(٢) المرجع السابق ص١٢٨

(٣) جريدة الشرق الأوسط ، ع:٧٠١٦ ، التخمة وراء جنوح الأحداث في الإمارات ، شوال ١٤١٨هـ-١٩٩٨م

أخرى تفضي به إلى عالم الانحراف والجريمة ، ويرافق ذلك عادة غياب الرقابة والمتابعة الدقيقة من الأهل الذين يظنون خطأ أن وفرة المال بين يدي أبنائهم تجنبهم الانحراف كمد اليد للسرقة ، وما شابه ذلك".

ربما يقال إن خروج المرأة لا يعني كل هذا الإهمال ، إذ يمكن تعويضها باستجلاب خادمة أو مربية.

الخادمة

يمكن للخادمة أن تسد بعض ما تتركه الأم من تقصير في العناية الغذائية ، والرعاية الصحية ، وحماية مؤقتة ، لكن الواقع يقول غير ذلك ، خاصة لو علمنا أن معظم الخادمات اللائي يقمن بهاذ العمل هن من جنوب شرق آسيا ، غير عربيات ، وبعيدات كل البعد عن نمط الحياة العربية ، وفي الكثير من الأحيان يكن غير مسلمات.

فالخادمة تعد عنصرا سلبيا أكثر من كونها بديلا عن الأم العاملة ، وتتركز مخاطرها ليس فقط على الطفل ، بل على المراهق ، والزوج ، والزوجة أيضا ، والأسرة بكاملها ، والمجتمع كذلك.

بعد البحوث الاجتماعية التي أجريت في عدة دول عربية ، وغير عربية ، ودراسات جامعية ، تبينت أمور عدة تدل على أن الخادمة خطر على من حولها ، وربما بقيت مضارها لسنوات أو لازمت المضرور مدى حياته ، خاصة تلك التي تقع على الطفل الصغير.

أثرها على الطفل

مهما تكن الخادمة في درجة من الحنو والعاطفة ، ودرجة من التعلم ، والتربية ، فإنها لن تعوض الأم أبدا ، ولو عوضتها في التربية ، والأخلاق ، فإنها لن تعوضه حنان الأم ، وحبها ؛ فعاطفة الأمومة أمر لا يصطنع ، فلا يمكن لخادمة تشقى طول النهار ، تكد وتشقى ، وفوق ذلك ينتظر منها أن تعطي الطفل الحنان ، وهي تحس بآلام نفسية كثيرة ، وفاقد الشيخ لا يعطيه.

أولاً: الأثر النفسي

- **افتقار الطفل للحنان**

على أساس ما بيناه سابقا ، أن الطفل محتاج للحنان والحب ، والرعاية ، وما ينتج عن فقده لكل هذه الأمور أشياء منها :

- **الشرخ النفسي لدى الطفل**

من منطلق مكوث الطفل ساعات طويلة مع الخادمة ، وبعدها تتحول رعايته إلى أمه بعد عودتها من عملها يسبب في الطفل تضاربا ، وشرخا نفسيا ، ذلك لأن من طبيعة الطفل حب الانفراد بأم واحدة ، وهذه الحاجة منتفية في هذه الحالة ، مما يجعل الطفل ممزق العواطف وهو بين حضنين كلما تعود حضنا انتقل إلى الآخر فلا يعلم أيهما أمه ، ومرات عديدة يحدث الأمر الخطير، وهو تعود الطفل على حضن الخادمة ، مما يسبب النفور من الأم وفتور العلاقة بينهما والحرج لها أيضا ، وهذا ما تشتكي منه الأمهات كثيراً، وأيضا الأولاد مما يؤدي إلى تمزق أسري ، يضفي الغربة على تعاملاتهم ، ومما يزيد الطينة بلة أن الكثير من الخادمات قليلات الاستقرار في بيت واحد ؛ لأنهن مستأجرات ، ونظرا للمشاكل التي تحدث منهن ، فينشأ على

عدم الاستقرار العاطفي ، مما يؤدي إلى أخطار مستقبلية في حياته ، فيقع الطفل بين الحب الفطري ، وتعلقة العاطفي بالخادمة أو المربية".(١)

تقول (أروى يوسف ١٣ سنة) متحدثة عن الخادمة : أنها مسافرة ، لهذا أحمل صورتها معي أينما ذهبت ،أشعر بالخوف وعدم الأمان عندما أتخيل أنها قد تتركني يوما .. إنها صديقتي وحبيبتي .. أحكي لها كل شيء عن نفسي .. إنني مرتبطة بها أكثر من والدتي".(١)

ثانياً: الأثر الديني

إن المولود يولد على الفطرة، فإن كان مربيه غير مسلم فسيتحول إلى ديانة مربيه لا محالة ، إذا لم تكن هناك رقابة دائمة على هذا الولد ، وكما يقول نبينا ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه)(٢) أي يمهدان له الطريق ، ويحببانه في الاختيار ، فهما يعلمانه أو يجهلانه ، يصلحانه أو يفسدانه ، يرفعانه أو يخفضانه ، يقدمانه أو يؤخرانه . إن الطفل الذي يحرم من أمه ساعات النهار ، ويبقى تحت رعاية الخادمة التي لا يعلم لها أصل حقيقي ، حتى وإن أثبتت أوراقها أنها مسلمة ، فبعضهن يزورن أوراقهن، ما يجعل الطفل في خطر عقدي ، خاصة إذا علمنا أن بعض الديانات الهدامة تتخذ الخدم وسائل لترويج عقائدها. "نشرت جريدة(العرب) في لندن ١٩٨٦/٣/٣١م في العدد(٢٢٢٨) ما مفاده أن جهاز المخابرات في الكيان الصهيوني (الموساد) بدأ في تنفيذ خطة لتجنيد آلاف الممرضات والخادمات الفلبينيات اللواتي يعملن في منطقة الخليج العربي للتجسس

(١) ينظر: علي الحسن ، أطفالنا ، (ط١ ، دار العلم للملايين بيروت لبنان ١٩٨٢م) ص٢٠٧

(١) مجلة : تحت العشرين ، ع٢ ، الخدم ودائرة الخطر ، ١٩٩٨/١م

(٢) مر تخريجه.

على دول هذه المنطقة"(١) ،إن دورهن أكبر من هذا ، فمن غير التجسس يحاولن زرع عقائدهن ، وتشويش الركائز الإيمانية عند هؤلاء الأطفال ، وبين هذه الديانات أيضا المجوسية ، والتي اكتشفت عدة عمليات من هذا النوع، والعثور على منشورات تدعو إلى التوجه نحو الأطفال.

نادية متزوجة تحكي حادثة وقعت مع صديقتها تقول: لاحظت هذه الصديقة أن أولادها يشعلون الغاز ، ويقفون أمامه باستمرار ، فسألتهم لماذا هذا التصرف؟ قالوا: إن الخادمة علمتهم كيف يعبدون النار وهم يفعلون".(٢)

إنه أمر خطير جدا على الدين والدنيا ، لأنه يمس أشرف شيء وأسماه وهو عبادة الله ، لذلك يجب تدارك الأمر قبل استفحاله ، وإذا شب الطفل على هذا الاعتقاد يصعب رده إلى الطريق ، فيحتاج جهدا مضاعفا من أهله.

ثالثاً: الأثـــر الخلـقـي:

كثير من الأسر لا تعلم أصلا للخادمة ، فلا يراعون فيها الجانب الخلقي ، ولو روعي ذلك فإننا نجد العديد من الخادمات يصطنعن الخلق بادئ الأمر حتى يلقين القبول ، أو يصطنعنه مع وجود الوالدين ، حدث مرة أن عثر على رسالة لسريلانكية بعثتها من الأردن إلى صديقتها في سريلانكا، فحوى ما جاء فيها : أوصيك أن تأكلي جيدا حتى يتحسن مظهرك ، ولا يظهر أنك من سكان القبور .. وأرجو أن تخفي حقيقة مرضك لأنك ستعالجين هنا في أرقى المستشفيات مجانا ..إنني سعيدة جدا بسبب خروجك من السجن.. "(٣)

(١) مجلة الإصلاح ، ع١٠٣ ، مربيات عميلات للموساد ، بقلم : إبراهيم بن إسماعيل ، أغسطس ١٩٨٦/ذو الحجة ١٤٠٤هـ

(٢) الأسرة (عمان) ع:٨٣٦، أبريل /١٩٩٧م ، ص٢٢

(٣) صوت المرأة ، دون عدد ، ١٩٩٨/٣/٣١م

من الرسالة يتضح أن الخادمة يمكن أن تكون خريجة سجن ، والسجن كما هو معلوم لا يدخله سوى المجرمون في الغالب ، وخاصة أنها امرأة ، فلا يؤمن من هذا الصنف في الأخلاق ، والتصرفات .

وما يحدث من قصص عديدة تملأ المجلات والجرائد يوميا ما يعضد ذلك ، فكيف يمكن أن يتأتى الخلق من كافرة لا دين لها ولا قيم تردعها ، بل بعض الديانات تدعو إلى العادات المستهجنة والمنافية للدين والترويج لها.

ولا بأس بذكر بعض الأمثلة الواقعية.

إن الخادمة تعتبر سببا في ترويج المحرمات كالمخدرات في بعض الأحيان ؛ تقول (م.ن)١٩ سنة : كنت أعاني كثيرا من المشاكل مع والدتي الدائمة ، في البداية توددت لي الخادمة ، وكأنها تريد مصلحتي ، وإخراجي مما أنا فيه .. وساعدتني في الحصول على بعض الحبوب المخدرة التي هربت بها من واقعي ، لكن مع الوقت بدأت تهددني بإبلاغ أهلي إن لم أعطها المزيد من المال".(١)

ويروي محام كويتي قصة شهد حيثياتها يقول: كانت خادمة تعتني بأحد الأطفال ، الذي لم يتجاوز عمره الرابعة ، وبعد فترة من عملها وجدت الأم أن طفلها يصرخ إذا سقط الماء على أجزاء حساسة من جسمه ، وعندما تفحصت المكان وجدته متورما ، مائلا للاحمرار ، وبعد أخذه إلى الطبيب تبين أن الطفل مصاب بعرض جنسي ؛ لأن الخادمة كانت تستعمله في إطفاء رغباتها".(٢)

ويقول أحد الأردنيين بعد أن سرقته الخادمة من معاملتها نحو أطفاله : خلال تواجدها عندنا كانت تقوم بتصرفات غريبة ، وكانت تعامل أولادي بأسلوب

(١) تحت العشرين ، ع:٢١ (م.س)

(٢) الجريمة ، ع:٢٦ ، ١٩٩٧/١٢/٦م

مشين، مثلا : كانت تتعمد خلع ملابسها على مرأى منهم في حالة غيابنا عن المنزل".(١)

وربما حدث أخطر من هذا وهو الاعتداء على الأعراض يروي محام قصة خادم كان يميل إلى خادمة فلما لم تعر له اهتماما أراد الانتقام منها بأن أبلغ رب الأسرة بوشاية عنها عن سوء سلوكها، ولما واجهها رب الأسرة بما ادعاه الخادم عليها ، كشفت له أن الخادم قام بالاعتداء على أربعة أطفال لرب الأسرة ، منهم بنتان ، وولدان أكبرهم في الثانية عشرة من عمره".(٢)

إنه لأمر خطير جدا مما لا يرضاه سوي لأولاده فلذات الأكباد ، وهكذا فالأمثلة على ذلك كثيرة ، وما يحدث في المحاكم ، وأقسام الشرطة ، وما يظهر على طباع الأطفال مما يؤكد ذلك.

رابعا: الأثر الصحي

معظم العاملات يأتين من شرق آسيا من دول فقيرة ، الفقر المدقع ، فلا يتصور لشخص غني أن يستبدل حضن البلد ، والأهل بجوار أناس غرباء ربما يعاملونه معاملة العبيد ، ويقابل مبلغ زهيد ، من خلال هذا الفقر الذي يعيشه هؤلاء الخادمات فإنهن يكن في حالة صحية متدهورة ، مظاهر الهزل ،والوهن بادية على وجوههن ، ويمكن أن تكون حاملة لأمراض معدية فتنتقل إلى الأطفال ، فلا يعلم أمرهم إلا بعد استفحال المرض.

هذا من جهة ومن جهة أخرى ، إن وجود الخادمة الدائم مع الطفل وغياب الأم الطويل عن طفلها يجعلها تجهل عن طفلها حاجات منها: هل طفلها يأكل جيدا ،

(١) صوت المرأة (م.س)

(٢) الجريمة (م.س)

أو هل تعطيه الخادمة الأكل؟ ربما أدى خصام بين الأم والخادمة إلى انتقام الخادمة من الولد بأن تحرمه الغذاء ، أو تضع له أشياء مسمومة أو فاسدة ، كما حدث مع أم إذ لاحظت أن ولدها دائم المرض يشكو من تقلصات في أمعائه ، واكتشفت بعد عرضه على الطبيب أنه يعاني من تسمم ، وعندما سألت الأم الخادمة ، وبعد إلحاح اعترفت الخادمة أنها كانت تضع له بعض فضلات الآدميين في طعامه ، وعندما سئلت عن سبب ذلك أجابت : إن أهل الطفل دائما يشتمونني ، ويسبونني ، ويقولون إنني لا أستحق سوى أكل هذه الفضلات ، فصممت أن يكون ابنهم أول من يذوقها".(١) هكذا ذهب الأطفال الأبرياء ضحية المنازعات وكيد الخادمة.

ومرات يهمل الأطفال فلا يظفرون بلقمة واحدة تسد جوعهم مدة غياب أمهم، تقول إحدى الأمهات: بعد شجاري مع الخادمة ، تغيرت معاملتها مع أطفالي .. فعند رجوعي من العمل أرى الصغار بملابسهم التي ناموا بها ، لدرجة أنهم لم يتناولوا طعام الإفطار"(٢) ،فرغم المال الذي تجلبه الأم العاملة إلا أنهم يسامون أبغض المعاملة ، ويتركون للإهمال ، محرومين من أهم الأشياء ؛ من الحنان والعطف والدفء ، حتى الطعام حرموا منه.

خامساً: الأثر الأمني

نسمع من فترة لأخرى عن خادمة تركت أطفالا يلعبون فحدث لهم حادث ، أو تسببت في قتل طفل انتقاما إلى غيرها من الحوادث المستمرة التي تدخل الرعب في قلوب الآباء على أبناءهم ، فالطفل يعيش في جو متوتر مليء بالمفاجئات مع وجود

(١) تحت العشرين (م.س)

(٢) الأسرة (عمان) ع:٨١٤ ، ١٩٩٦/٧م

الخادمة ، خاصة إذا حصلت عداوة بين الآباء والخادمات ، تتحدث أرملة عن واقعة لها مع الخادمة ، تقول : في يوم من الأيام قفلت الخادمة الباب على أبنائي ، وذهبت عنهم إلى إحدى صديقاتها ، حينها خلا الجو للأطفال فعبثوا بكل شيء وجد أمامهم ، حتى اشتعلت النار في البيت ، وأثناء عودتي رأيت الدخان يخرج من النافذة ، ووجدت الباب مقفلا ، مما اضطرنا لكسر الباب ، وأخذ أولادي إلى المستشفى"(١) أخطار تحدق بالأطفال من كل الجهات ، مما يسبب الألم للأم التي تخاف على أطفالها من هول الإهمال الذي يقع فيه هؤلاء الأطفال.

سادساً: الأثر اللغوي:

في وقت تشهد فيه اللغة العربية ترديا ، وضعفا على ألسنة الشباب ، يستزاد الطين بلة ، بترك الأطفال تحت رعاية أجانب لا يحسنون من العربية حرفا ، ومع ذلك يحرفونها ، فتنشأ لغة جديدة ؛ عبارة عن مزيج بين اللغات الآسيوية ، والإنجليزية ، إذ لما نسمع بعض الأطفال الذين تربوا على يد المربيات ، يجعلنا حيارى في كينونة اللغة التي يتحدثون بها ، فلا هي عربية ولا هندية ولا إنجليزية ، وهكذا يشبون على هذا اللسان المحور المحرف ، في وقت نحن بأمس الحاجة إلى المحافظة على اللغة العربية لغة القرآن ، وهذا أيضا يجعل الطفل يتأخر لغويا ، ويشوش علاقاته مع غيره ، ويمكن اعتباره أهم عامل لعدم التكيف .(٢) كل ذلك مما يسبب له الانطوائية والعزلة ، والخجل، وضعف الشخصية ، والتحرج من نسج علاقات مع الغير ، وخوف السخرية من لسانه.

(١) (م.س)

(٢) ينظر: فؤاد حيدر ، الشخصية في الإسلام (ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ١٩٩٠م) ص٨١، عن سهم نوف ، التحليل النفسي للولد ، ص١٦٥

تقول مديرة روضة متحدثة عن طفلين لاحظت فيهما التأخر اللغوي : عمر كل منهما ثلاث سنوات .. وكل ما يقدران عليه إصدار أصوات كالتي يصدرها الطفل في عمر الثلاث شهور .. وبعد التقصي عن الأسباب تبين أن الأب يقضي معظم وقته خارج البيت ، والأم تعمل ، والطفلان تركا في يد الشغالة".(١)

لا يقتصر أثر الخادمة على الطفل الصغير بل يتعداه إلى المراهق أيضا.

أثر الخادمة على المراهق:

فترة المراهقة –كما أشرنا- هي من أصعب الفترات التي تواجه الإنسان ، من بين ما ذكر : إن المراهق في هذه السن يبدأ الشعور الجنسي يستيقظ فيه ، ويكون في أوجه (أي في أعلى درجاته) ، والخادمة أجنبية عنه ، و معظمهن لا يتورعن أمام الأمور الجنسية ذلك مما أكدته إحصائية تبين ارتفاع نسبة اللائي يقبلن بالممارسات الجنسية دون حرج ، وخاصة أن بعضهن كافرات أو من ديانات لا تجد حرجا في هذه الممارسات ، بحكم سكن هذه الخادمة في بيت مخدومها ، وكثرة دخولها ، وخروجها ، واقتحام الغرف كلها ، كل هذا يؤثر على المراهق ويؤدي به إلى أمرين هما:

- إما الوقوع في الحضور ، وهو الزنا ، فكم من قصة رويت من شباب مراهقين يتفاخرون بينهم بهذا العمل ؛ لأن الخادمة في هذه الحالة ولو مانعت تكون في مركز ضعف ، لكونها تعمل بأجرة وحاجتها المادية الملحة حتمت عليها ذلك ، فمصيرها المالي بيد تلك العائلة ، وربما أدى امتناعها عن الخضوع لرغبات المراهق إلى الوشاية بها واتهامها بتهمة تؤدي بها إلى الطرد ، أو ربما يصدر من الخادمة نفسها ، فتقوم بالتحرش بالمراهق فيقع في الحرام ، يقول أحد

(١) الأسرة (عمان) ع:٧٤٧ ، ١٩٩٥/٣م

الأردنيين: "مكثت الخادمة عندنا ثلاثة أشهر ، وخلال المدة كانت تقوم بتصرفات غريبة من بينها التحرش بإبني البالغ من العمر ١٥ سنة".(١)

- الحالة الثانية: يقوم المراهق بكبت مشاعره المتأججة في قرارة نفسه ، وهذا الكبت يسبب له آلاما نفسية ؛ لأن الغريزة المثارة – كل الغرائز- تحتاج إلى إشباع وعدم تلبيتها في هذه الحالة يسبب ألما نفسيا يؤدي إلى التوتر النفسي ، والغضب وهو ما يؤكده الطب النفسي ، بغض النظر عن المشاكل الأخرى التي تنشأ من جراء الخادمة.

أثر الخادمة على الزوج:

إن الذي يقع على المراهق يقع أيضا على الزوج ، مما يؤدي إلى خيانات زوجية داخل البيت ، من الطرفين معا ، وربما حملت الخادمة من جراء ذلك، وترتب عليه من الأمور ما يهدد الحياة المشتركة للأسرة ، إذ يصل الحال ببعض الأزواج أن يغتنم فرصة وجود الزوجة خارج البيت لإشباع غرائزه مع الخادمة ، فما على الخادمة سوى الاستسلام ، وإلا هددت بالطرد أو مشاكل أخرى.

ويحدث أكثر من هذا ؛ فكثير من الأزواج تعجبهم خادماتهم فيقوم بتزوجها نابذا زوجته الأولى في زاوية من زوايا البيت ، وإلا طلقها ، وما يحدث أيضا تأجج الغيرة والشكوك بين الزوجين ، كل منهما يراقب الآخر لعل أحدهما يرتكب خيانة ضد الآخر مع الخادم ، وهذا يكثر غالبا من طرف الزوج ، مما يؤدي إلى وهن العلاقة الزوجية ، وضعف الصلة بين الزوجين فيؤدي إلى الطلاق، وتشريد الأطفال بين أبوين ممزقين ، وهذا ما يقع في حياتنا اليومية.

(١) صوت المرأة (م.س)

أثر الخادمة على الزوجة

يكفي خوفها على أطفالها ، وهي خارج بيتها ، وبداخله ، فهي دائمة الخوف عليهم لما أوردناه من المخاطر التي تحيط الطفل ، والمخاطر التي تحيط العائلة من عدة نواح ، فهي تخاف على زوجها من الوقوع في حبائلها (الخادمة) ، والقيام بتطليقها (الزوجة) ، أيضا الخوف على أسرتها من أمنها الذي ينجر عنه الطلاق ، والخوف من الخادمة على المنزل من السرقات التي تحدث . إن أمورا عدة تحيط المرأة التي في بيتها خادمة ، ولو استع المقام لذكرتها.

وكل تلك الأخطار تهدد أيضا البيت السعيد من جراء تلك المشاكل المترتبة السالفة ، وتهديد كيان الأسرة يعني تهديد كيان المجتمع الذي اعتماده الأساسي على الأسرة ، وأفرادها.

هذا لا يعني أن كل الخادمات كذلك ، ولكن الأمر لا يخلو من هذه الأمور.

خلاصة:

بعد سرد الإيجابيات والسلبيات المترتبة على خروج المرأة على الأولاد نخلص إلى أمور:

- إيجابيات عمل المرأة على أولادها معظمها يكون على منطلق مادي ، وبعض الفوائد الطفيفة التابعة لها كتوفير الراحة ، والعناية المدرسية ، واكتساب الثقة لدى الأطفال ، والمعاملة الحسنة إلى غيرها من الحسنات.
- إن تلك الإيجابيات لو قارناها مع سلبية واحدة تكفي مرجحا لها ، فمثلا وهو أقواها : إن الطفل الي يتربى بعيدا عن حضن أمه ، ويلقى الإهمال ، من افتقاده حنان وعطف ، ورعاية ، تجعل الطفل ينشأ ممزقا من الداخل

يصعب علاجه أو تغييره مع الأيام ، والأخطار التي تتهدده ، نظرا لعدم العناية الخلقية ، والمراقبة اللازمة ، تهدد دينه ، وأخلاقه ، وقيمه.

فالمقياس في الإيجابيات مقياس دنيوي محض بغض النظر عما يترتب عنه من مفاسد دينية ، وخلقية ، ونفسية ستسيء إلى الطفل والأسرة والمجتمع والدين ، فهو تهديد للضرورات الخمس ، من ارتكاب للجرائم ، وارتكاب للفواحش ، وتناول للمحرمات.

إن الأم مدرسة ، تخرج أجيال التي تحمي المستقبل ، وكل ما يراد من الأم هو التربية فقط ، فلم يطلب الإسلام منها الإنفاق ؛ حتى تنصرف لمهمتها المقدسة التي تستحق من خلالها الطاعة ، ودخول الجنة ، فالإسلام مبني على قاعدة مهمة هي الواجب يقابله الحق أو العكس ، وواجب الطفل نحو أمه وأبيه الطاعة ، لكن مقابل هذا الطاعة أن يعطى حقه المشروع ، حسن تربيته ورعايته الرعاية اللازمة . هذا خلافا عن الحالات غير العادية ، كاضطرار الأم للعمل.

إذا فعمل الأم يتهدد الطفل ، وبدوره يهدد (الطفل) المجتمع إذا كبر وترعرع على غير الخلق الإسلامي أو شب في أحضان خادمة كافرة ، منحرفة الأخلاق ، مهلهلة العقيدة ، كل هذا بناء عما مضى ، وما تعززه الأدلة والبراهين . ويكفي تأكيدا لذلك ما يحدث في الغرب ، في أميركا مثلا ، بوجود شباب ليس كغيره من الشباب ممزق من كل الجوانب ، جعل مستقبل الحضارة مرهونا به ، ويهددها بين لحظة وأخرى بالأفول.

- إذا لو كان عمل الأم وإهمال التربية أتى بالخير والحضارة والرقي وكان الإيجابي فيه أكبر من السلبي لما حدث ما يحدث من جرائم وسرقات ، وقتل ، واعتداء على الأعراض ، وظهور أنواع ، وألوان من الديانات التي

تدل بوضوح على التمزق الذي يسبب عدم الإنتماء ، وعدم الإشباع الروحي، وعدم الاقتناع بالواقع الحاضر ، أيضا ما يدعو إليه أنصار خروج المرأة ، ومساواتها برجوعها إلى بيتها ، والاكتفاء بالبيت فقط ، بعد أن دخلوا التجربة ، وذاقوا نتائجها ، وتبين لهم أن الصواب ليس كذلك، زيادة على ذلك فكثير من المشاهير من النساء بمجرد أن ترزق إحداهن بولد تجدها تلتف به بكل ما أوتيت من حنان ورعاية وحماية ؛ لأنها تعلم العلم اليقين بأن صلاح الأولاد ورعايتهم أعظم من أي شيء ،وأن ذلك هو الفطرة السوية ، وهو صلاح للجميع ، - ولو أن النزعة الفردية طاغية عليهن.

أثر عملها على نفسها:

الإيجابيات:

أولاً:الناحية الاقتصادية

تعمل المرأة – كما رأينا- من أجل المال غالبا ، فالعمل يمثل لها المال والربح والفائدة ، والدخل المستقر الذي يحصنها من نوائب الدهر.

ووراء هذا الدافع دوافع أخرى تجنى منه ، فالمال للمرأة يعني استقلالا اقتصاديا ، وهي عقدة طالما تضجرت منها ، فعملها يخلصها منها ، ويحقق لها المآرب التي ترجوها.

ثانياً:الناحية النفسية

للنقطة السابق علاقة وطيدة بهذه ، فالاستقلال الاقتصادي يحقق للمرأة العاملة أمورا ، ورغبات نفسية ، وهذه الرغبات عديدة وكثيرة نذكر منها :

١) الإحساس باستقلالية الشحصية.

٢) الثقة بالنفس ،والاعتماد على النفس .

٣) التحرر من سلطة الرجل .

٤) تحقيق الراحة النفسية .

٥) تكوين علاقات اجتماعية .

من خلال ما رأينا في الدوافع ، نجد أن أكثرها تكون لصالح المرأة من ناحية الفائدة الشخصية.

فالمرأة العاملة لما تذهب للعمل فإنها ستستفيد من أمور عدة ، مبدأها أولا : الاستقلال الاقتصادي ؛وهو بدوره يحقق أمورا عدة للمرأة تكون لصالحها غالبا ؛ فاستقلال المرأة اقتصاديا يعني لها التحرر من قبضة الرجل ؛ لأن السبب الرئيس الذي يجعلها تحت سلطة الرجل وتحكمه (في مفهومها) وتكون تابعة لقراراته هو التبعية الاقتصادية ، ما دام المال في يد الرجل ، وهو الذي ينفق عليها فإن السلطة باقية في يده ، وهذا ما تؤكده كثير من العاملات.

هذا التحرر يجعلها حرة بلا قيود تكبلها ، تخرج متى شاءت دون أن يسألها أحد ، وخروجها هذا يسهل عليها الطريق لعدة إشباعات ؛ من تكوين الصداقات والتعرف على الناس ، وتلبية مآرب عاطفية لها ، واختلاط بالرجال ، والتطلع إلى عالمهم، وفي ذات الوقت تتخلص من البيت ومشاكله التي تحاصرها ، وتمنعها من الاستمتاع بوقتها وشبابها ،وأنوثتها.

أيضا إضافة إلى ما سبق العمل يحقق لها الطموحات الشخصية التي طالما حلمت بها ، وتصل إلى مراكز كانت ترنو إليها.

فمخالطتها للناس من مختلف الطبقات والأعمار يجعلها تكتسب خبرات عديدة ؛ منها كيفية التعامل مع الناس ، وكيفية التعامل مع المستجدات ، والمشاكل المحدقة بها ، مما يؤثر في علاقتها الأسرية ، وزيادة مداركها الشخصية ، فيزيدها ثقة بنفسها ، ويمواهبها.

ونظرا للأفكار السلبية التي تراودها حول بيتها ، ومكوثها فيه ، مما تجد فيه من الملل ، والتعب، والأفكار الإيجابية تجاه العمل ، من توفير مال، واستقلالية ، وهروب من المشاكل كل ذلك يجلب لها الراحة النفسية ، والقناعة الذاتية بفائدة العمل.

كل هذا ما نجده في تصريحات كثير من العاملات ، من بينهن ما تقوله عاملة لبنانية : كيف يمكن أن تبني ثقتها بنفسها (المرأة)؟ ، تكون الإجابة : العمل أولا وأخيرا .. بغض النظر عما إذا كان جامعيا أو حرفيا ، فعندما تعمل وتنتج تستطيع أن تمسك قرارها ، وهذا هو السبيل الوحيد في رأيي حتى تخرج من دائرة الاضطهاد".(١)

ومن أهم الإيجابيات أيضا أنه يخلص بعض البنات من العنوس ، الذي انتشر بشكل كبير في العالم الإسلامي ؛ فالمرأة عندما تعمل تكسب مبلغا من المال ، وبه تكون قد حققت مصدر جلب للشباب – كما أشرنا سابقا - ، فعالمنا الإسلامي يشهد بطالة عريضة في صفوف الشباب ، ويستشري يوما بعد يوم ، مما يقف أمام أحلام الشباب وتحقيقها ، فتكون العاملة أحسن حل لهذا المشكل بالزواج منها ،

(١) زهرة الخليج ، ع:٩٧٤، س١٩ ، ص٣٢ ، ١٩٩٧/١٢/١١م

فهو لا يضره شيء (الشاب) ، فهي التي تصرف عليه ، وتقوم له بعمل البيت ، وربما ساعدته في إكمال دراسته ، وتتخلص المرأة بدورها من العنوس ، فتنشئ لنفسها بيتا ، وتحمي نفسها برجل يكون بجانبها من مزالق الرذيلة ونوائب الدهر ، وهذا ما يحدث كثيرا في بعض الدول العربية الإسلامية مثل السعودية.

بعد أن رأينا الإيجابيات نأتي إلى السلبيات.

السلبيات:

صـــراع الأدوار

من أخطر السلبيات التي تحيط المرأة العاملة ، خاصة التي تعمل خارج نطاق طبيعتها ، كالعمل في المصنع ، أو الموانئ هو صراع الأدوار"ظهرت بحوث عدة مؤخرا تدل على وجود تغيرات فيزيولوجية في جسم المرأة العاملة تفقدها أنوثتها تدريجيا ، كما أنها في ذات الوقت لا يمكن أن تصبح رجلا ؛ وذلك لما لاحظوا من تغير بطيء في كيانها لم يثر الانتباه أول الأمر ، لولا ما سجلته الإحصاءات من اطراد النقص في المواليد بين العاملات ، وكانت الظنون إن هذا النقص اختياري محض ، وذلك لحرص المرأة العاملة على التخفيف من أعباء الحمل ، والوضع والإرضاع تحت ضغط الحاجة ، والاستقرار في العمل .. ولكن ظهر من خلال الإحصاءات أن نقص المواليد بين المتزوجات العاملات لم يكن أكثره من اختيار بل عن عقم استعصى علاجه .. وبفحص نماذج شتى منوعة من حالات العقم اتضح أنه في الغالب لا يرجع إلى عيب عضوي ظاهر .. مما دعا العلماء إلى افتراض تغير طارئ على كيان الأنثى العاملة نتيجة انصرافها المادي والذهني ، والعصبي عن

قصد أو غير قصد عن مشاغل الأمومة ، ودنيا حواء ن وتشبثها بمساواة الرجل ، ومشاركته في ميدان عمله".(١)

فكل ما يحيط بالمرأة من تكوين ، ووظائف ؛ من حمل ورضاعة ، ووضع له أهمية بالغة للمرأة ، إذ يسهم في بناء المرأة بناء محكما ويزيد في نضجها ، واكتمال نموها ، إذ إن أهمية وظيفة الحمل والوضع بالنسبة للأم لم تفهم حتى الآن إلى درجة كافية .. مع أن هذه الوظيفة لازمة لاكتمال نمو المرأة".(٢)

وذلك الصنف من النساء هو ما يسمى بالجنس الثالث ، فلا هي بأنثى ، ولا هي برجل ، لا انتماء لها "تفسيرها هو: إنها عقدة تتميز بميل المرأة إلى السيطرة ، والعدوانية التي تناقض طبيعتها من الميول الأنثوية ، وتقوم بدور الحاجز عن دورها الطبيعي ؛ (الحمل والرضاعة ، والأمومة) ، مما يجعلها غالبا تعاني من اضطرابات وصراعات نفسية تنعكس عليها في حياتها العاطفية ، ومظاهر سلوكها خلال مراحل (الحيض ، والحمل، والولادة) ، فهي ضحية حلقق مفرغة من الصراعات النفسية والخوف اللاواعي من الأنوثة يؤدي إلى بروز الميول الذكرية ، ويسهم بدوره في زيادة حدة الصراع والقلق النفسي".(٣)

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجد النوع الثاني من صراع الأدوار ؛ وهو ما يتطلب من المرأة من أدوار يؤدي بها إلى صراع ، وتسارع بينها لأدائها ، وهي : دور الأمومة ، ودور الزوجية، والدور المهني.

(١) عمل المرأة في الميزان (مرجع سابق) ص١٥٦ عن مقال لبنت الشاطئ بجريدة الأهرام

(٢) ألكسي كاريل (مرجع سابق) ص:

(٣) فؤاد حيدر ،المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي (ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ١٩٩٢م) ص١٥٥-١٥٦

صراع الأدوار:

حينما سئلت المرأة العاملة عن الصعوبات التي تمنعها من تحقيق طموحها المهني ذكرت ٣٨,٦٪ أن هذه الصعوبات تتعلق بالزوج والأولاد . كما ذكرت ٣٥,٣٪ أن هذه الصعوبات مصدرها العمل نفسه ، مما يبين وقوع المرأة العاملة في صراع الدور فمطالب البيت والزوج ، والأولاد المتعددة تشدها عن التركيز في مطالب العمل".(١)

وهذا التعدد في الأدوار نتج عنه مشاكل عدة أثرت على المرأة العاملة وهي:

قبل سرد تلك النتائج نأخذ نموذجا لامرأة عاملة تعاني من عملها ، حتى نستطيع استخراجها من خلال الواقع.

تقول العاملة (لطيفة) ، مسؤولة في إحدى المؤسسات العمومية : آه لو أتمكن من البقاء في منزلي ٤٨ ساعة دون عمل ، إنني أشعر بالإرهاق المتواصل ، وأنه يكاد أن يحطم حياتي الزوجية، لقد أصبحنا في المنزل كالغرباء نلتقي من الليل إلى الليل .. فأطفالي لهم حياتهم الخاصة ، وأخشى أن تكون لزوجي أيضا حياته الخاصة .. وتتكلم عن أولادها تقول: صحيح أنني أمدهم بالضروريات المادية ، وأنني أهيئ لهما مدرستين خصوصيتين ، وأراقب الخادمة داخل البيت ، ولكنني أشعر أن هذه المهمات هي مهمتي أنا أما ، وزوجة بالدرجة الأولى .. ولكنني أصبحت أكثر إرهاقا، وأكثر عصبية ،وأمنيتي أن أتمكن من الجلوس في منزلي ،كامرأة ، وزوجة دون أن أفكر مجددا في العمل.

أشعر كأنني نخلة فقدت مملكتها فتاهت ، ولا أدري أتعود إلى الوراء أم تتقدم".(٢)

(١) محمد سلامة آدم، المرأة بين البيت والعمل (ط١ : دار المعارف ، القاهرة :١٩٩٨م) ص٦٤

(٢) جريدة الوطن (م.س) ع:٢٥٨ د

إذاً في ضوء النموذج السابق نخلص أن أهم السلبيات التي تعاني منها المرأة العاملة.

١) الشعور بالإرهاق الجسدي والنفسي.

٢) ضيق الوقت.

٣) العصبية الزائدة .

٤) الإحساس بالذنب ، والتقصير ، الخوف.

٥) الشعور بالإحباط لعدم التوفيق في أدوارها.

٦) الأهمال النفسي ، والمضار الصحية.

١- الإرهاق الجسدي والنفسي:

المرأة جنس بشري خلقة الله تعالى ضعيف البيان، ومرهف الإحساس ، وسريع التأثر والتألم ، رغم ذلك نجدها – إذا كانت عاملة – تتحمل أعباء مضاعفة لوحدها ، فهي كالساعة تدور طوال اليوم ، بغض النظر عن عسره ؛ فهي تعمل في بيتها عملا صعبا يحتاج جهدا جهيدا ، من غسيل وتنظيف ، ورعاية أطفال ، إضافة إلى ذلك عملها خارج البيت ؛ فهي تقوم بعمل مثل الرجل تماما دون تفريق.

فلو فرضنا أن المرأة العاملة تعمل عمل الرجل فقط تكون بذلك تحملت عبئا كبيرا أثقل منها، لكن أن تقوم بعمل الرجل ، وتضيف إليه عمل البيت المضني تكوت قد عرضت نفسها لشيء لا طاقة لها به ؛ مما يجعلها ممزقة القوى ، منهكة التفكير ، كل ما في جسدها يعاني الإعياء ، ذلك ما ينتج عنه من كآبة نفسية ، وضيق خاطر ، وتحطم في العواطف ، وما يؤكد ذلك "الدراسة التي أجريت على

عينة من النساء العاملات ، حيث تبين أن ثلثي العينة أكثر ما يعانين منه هو الإرهاق الذي ينتج عن الإضطلاع بدورين أساسيين ، دور الأم ، ودور العاملة".(١)

وللإعياء والإرهاق آثار جانبية أيضا سنذكرها لاحقا.

٢- ضيق الوقت:

يجمع خبراء اشتركوا في الإجابة على استطلاع وجه إليهم على أن طول مدة غياب المرأة العاملة عن البيت في مقدمة العوامل التي تعوق حسن أداءها لدورها ، ويعكس هذا العامل جوهر المشكلة التي تعاني منها المرأة العاملة ، وهي ضيق الوقت، فالعمل يسلبها أطول ساعات النهار ، ولا تجد متنفسا لها للراحة مما يجعلها تقصر في دورها سواء في البيت أو في العمل ، وينتابها إحساس بالاكتئاب ، وإحساس بالظلم ، وثقل المسؤلية"(٢) ،ويؤدي بها إلى التقصير في صلة رحمها، وتلبية حاجاتها الإجتماعية ؛ وزيارة أهل زوجها.

٣- الإحساس بالذنب والتقصير والخوف:

نظرا لضيق الوقت ، وتكاثف الأعمال على عاتقها وحدها تخل في أداء واجباتها ، وهذا الإخلال يشعرها بأنها مقصرة في حق من حولها ؛ في حق أولادها، وزوجها ، وأسرتها ، وأهلها ؛ لأنها تقصر في تلبية حاجاتهم التي تعد من مسؤوليتها، والتي ينتظرها الكل منها دون غيرها ، وذلك مما نجده في النموذج السابق جليا.

والتقصير في تلبية مطالبهم من عطف وحنان ، ورعاية ، وحاجات ضرورية، رغم المدد المادي الذي تسهم به ،يشعرها بذنب التقصير ؛ تقول مذيعة

(١) محمد سلامة آدم (مرجع سابق) ص٦٥، عن دراسة احرتها هدى زكريا على ١٥٠ امرأة عاملة ، ص١٤٨

(٢) (المرجع السابق) ص٢٥٧

عمانية لما سئلت عن دورها تجاه أولادها :آه آه وألف آه .. لقد عزفت على الوتر الحساس.. وأثرت مشكلتي ؛ فأنا مبعثرة في حياتي، ولكن ليس بعمق الكلمة ، ومشكلتي تكمن في عدم قدرتي التوفيق بين البيت والعمل .. ولا أستطيع التخلي عن أحدهما ، فأنا أحب الأثنين معا".(١) كما لاحظنا من خلال النموذجين أول ما انطلق من شفاه المرأتين هو آهة ، بل آلاف الآهات ، وهذه إنما يدل على ألم دفين، وصراع عميق في النفس بين العواطف تجاه أطفالها ، والأنا(رغبات النفس الجامحة)، لكن الأنا غلبت في هذه الحالة.

أما الخوف فمن أمور عدة ، وكثيرة ، تخاف على أطفالها من الإهمال والضياع ، ونتائج التقصير في حقهم ، والخوف على الزوج في التخلي عنها ، وانشغاله بغيرها ؛ لأنها تعلم أنها منشغلة عنه ، والغيرة عليه ؛ لأنها أدرى بعالم الرجال بمعاشرتها لهم والدخول في عالمهم وما يحدث فيه . إلى غيرها من الأمور المسببة للخوف.

٤- الشعور بالإحباط لعدم التوفيق في أدوارها:

إن صراع العاملة دائم ؛ إذ قلما نجد امرأة عاملة توفق في عملها وعمل البيت معا ؛ لأن البيت كله يحتاج إلى تفرغ تام ، حتى المتفرغ له يعتريه بعض التقصير أحيانا ؛ نجدها أحيانا تخفق في دورها أما ، فتخسر أولادها بتضييع رعايتهم ، والعناية بهم ، وأحيانا تخفق في أداء عملها لانشغالها بالبيت ، وهذا ما صرحت به بعض العاملات " ، ذكرت ٢٠٪ من العاملات اللائي أجري عليهن الاستطلاع بأن الزواج قد سبب لهن ارتباكا في الذهن في عملها ، وكان وراء قلة الإنتاج ، وسوء

(١) الأسرة (عمان) ع:٧٢٧

العلاقة بالرؤساء ، وقلة فرص الترقية"(١) ومرات تخفق في الدورين معا ، فلا نجدها موفقة لا في بيتها ولا في عملها ، فكل هذا يكبلها بأحاسيس ملأها الإحباط ؛ لأن طبع الإنسان يرنو إلى النجاح ، ويمل التقصير والإخفاق ، فيحاول جاهدا إظهار ما بوسعه ليشبع هذا الإحساس في نفسه ، وربما أن المرأة عاطفية فإن هذه الأمور تؤثر فيها تأثيرا أشد ، وأعمق.

٥- التوتر والعصبية الزائدة

من خلال الاستطلاع الذي أجري على العاملات وأزواجهن اتضح أن من خلال الأزواج أن الزوجات يعانين من العصبية الزائدة"(٢)

ذلك منطقي غالبا ؛ لأن الإنسان كائن ضعيف خاصة إذا تكلمنا عن المرأة ، ويحتاج إلى راحة لتجديد قواه ، وكل جهد فوق الطاقة يؤدي إلى الإعياء ، والضجر ، وعدم التحمل جاء في القرآن قوله تعالى :(ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به) (٣) ، وقال أيضا: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها).(٤)

وإذا لم يعالج هذا الإعياء بالراحة ، تولد عنه نوع من العصبية الزائدة ، والتوتر الجامح ؛ فالعاملة تأتي من عملها منهكة القوى متعبة بعد مشاكل العمل ، والعوارض النفسية التي تعتريها شهريا (الدورة الشهرية) ، والطريق ، والمواصلات ، والمشاكل التي تتخللها من زحام ، وتحرشات ، وجرح بالكلام ، ثم بعد أن تصل إلى بيتها سيكون في انتظارها كم هائل من الواجبات ، وبمجرد تذكر هذه الواجبات يخلق في نفسها نوعا من الإحباط والتوتر النفسي ، وما إن تنتهي منها

(١) محمد سلامة آدم (مرجع سابق) ص٦٥

(٢) المرجع السابق ص٢٦٠

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٦

حتى تأتي مشاكل الأولاد وطلبات الزوج ، ويمجرد الخلاص منها تكون في أوج تعبها ، وهيجان توترها.

العنـــوس:

لوحظ في بعض المجتمعات التي توسعت في تشغيل المرأة انتشار ظاهرة العنوس..بشكل لافت للأنظار ؛ فأعداد العوانس تكثر بين العاملات بشكل ملحوظ، نظرا لأسباب منها:

- ترى العاملة أن الزواج في سن مبكرة يعطلها عن العمل ، ولا تريد دخول التجربة الزوجية حتى تصل سنا معينة ، وبعد أن تحقق أحلامها ، وطموحاتها.
- بعض الأعمال تشترط على العاملة عدم الزواج ، مما يؤخر سنها للزواج ، ويذهب عنها الخطاب.
- بعض الآباء يتحجج ويمنع بناته من الزواج خوف انقطاع راتب البنت ، والذي يلعب (الراتب) دورا مهما في معيشة الأب.
- وجود فئات من الشباب يتخوفون من التزوج بالمرأة العاملة ، ويطمئنون أكثر للبنات غير العاملة.
- إن الزواج يمثل للعاملة الإنجاب ، والأولاد والمسؤوليات ، وتقييد الحرية ، والإنحباس في البيت ، ذلك ما يجعلها تعرض عنه .

وبعد ذكر الأسباب لا بأس بذكر بعض النماذج من العوانس.

نهى (٣٨) سنة تقول : كنت أعمل مضيفة جوية ، ومن بين شروط التعاقد عدم الزواج، وقد أثر الطيران في صحتي ، فتركت العمل .. لكن هذا

العمل أثر في فرصي للزواج ، والتي كانت تناسبني في بداية حياتي العملية".(١)

وأخرى أبوها وقف حجر عثرة أمام زواجها لأنه يعتمد على راتبها الذي تحصل عليه من عملها ، مسوغا أفعاله بدرايته بمصلحة البنات تقول : حقق أبي ما يريد أو بعض ما يريد .. وها أنا ،ومن بقي من شقيقاتي نؤمن له العيش الرغيد ، فمن مرتباتنا شيد بيتا جميلا ، ولدينا سائق ، وخادمتان ، ولا يعدم أبي الحيلة لرد الخاطب .. تمنيت لو أني فشلت في دراستي ، ولم أرزق عملا ، أصبحنا دجاجا يبيض ذهبا".(٢)

حتى أن بعض التخصصات العملية أصبحت عنوانا للعنوس ، مثلا في السعودية أصبحت مهنة الطب بالنسبة للبنات تدل على العنوس ، تقول ريم المحامدي طالبة جامعية : كنت أحلم أن أكون طبيبة ، واجتهدت في دراستي الثانوية في القسم العلمي حتى أتمكن من تحقيق أمنيتي . رغم مؤهلاتي للالتحاق بكلية الطب ، وقفت حائرة أمام المستقبل .. لكن ما رأيته من تعنس بين خريجات كليات الطب جعلني أجهض رغبتي في علم الطب خوفا من العنوس".(٣)

هذا طبعا لا يمثل جميع العالم الإسلامي (إذ إن كل منطقة لها عاداتها التي تتميز بها، والأعراف التي تسودها ، ويخضعون لها.

(١) الفرحة ، ع١٠، ١٩٩٧/٧م ، ص٤٣

(٢) الأسرة ،(هولندا) ع: ٥٢ ص٣١

(٣) الزواج ، ع١ ، ١٩٩٨/٢م ، ص١٥

المضار الصحية:

إضافة للمضار النفسية فإن المرأة العاملة تحدث لها مضار بالغة من عدة جهات ؛ من جو العمل ، ومن التعب والإرهاق ، فكل بين فترة وفترة نسمع نداءات من أطباء ، وظهور بحوث متنوعة حول عدة أمراض أو مضار تحدث للمرأة العاملة جراء عملها.

صرح البروفيسور الدكتور كلين رئيس أطباء مستشفى حكومي في ألمانيا، وذلك في مؤتمر أقيم هناك قال فيه: إن نسبة كبيرة ، وكبيرة جدا من النساء في مجتمعنا لسن سعيدات في حياتهن ، والسبب في ذلك هو المتطلبات الجسمية ، والروحية المتصاعدة ، وعلى هذا فإني أعلن النفير العام لعلم الطب..(١) وغيرها كثير ، نجد بحوثا تحذر المرأة من أمراض القلب، وأخرى تحذرها من مغبة تقليد الرجل، وأخرى تحذرها من الملابس التي تلبسها كالكعب العالي الذي يؤدي بها إلى العقم ، وغيرها من الأمراض.

حملت نتائج دراسة أشرف عليها استشاري علوم الشعر ، وأمراضه (هيور أستون) تحذيرا للنساء العاملات من سقوط شعرهن جراء الإجهاد ، والتوتر .. خلصت الدراسة بعد متابعة ٨٠٠ من النساء العاملات إلى أن العاملات في موقع عمل رجالية يكتسبن أساليب عمل تتصف بالمجابهة، والمناقسة الشديدة ، مما يزيد إفراز (التيستوستيرون) الذكري الذي يتسبب في سقوط الشعر ، وإزدياد المساحات الوسطى من الرأس غير المغطاة بالشعر .. ويعتقد الباحثون أن تغير دور النساء في المجتمع يقودهن إلى التشبه بالرجال ، ويصبحن أكثر حساسية لسريان الهرمونات الذكرية داخل أجسامهن".(٢)

(١) فتحي يكن ، الإسلام والجنس (ط١٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت :١٩٨٨) ص٧٠

(٢) الأسرة (هولندا) ص٥٦

ربما لا نراه كثيرا في بلداننا الإسلامية أو لا نراه أصلا ، ولكن هذه الأمور تحدث مع مرور الزمن ، فالمرأة العاملة حديثة المولد عندنا بالنسبة للمرأة العاملة الغربية.

كل هذه الأمور تؤثر في نضارة المرأة وتسلب جمالها ، ويظهر هذا في وجهها الشاحب ، المتعب الملئ بالأصباغ الاصطناعية ، ومواد التجميل لتخفي ذلك الوجه المتعب ، والجسم المرهق.

خلاصة:

بعد عرض الإيجابيات والسلبيات نخلص إلى ما يلي:

إن الإيجابيات رغم تعددها ففيها اعتراضات:

- الإيجابيات هنا مبنية أولا قبل كل شيء في الغالب على النظرة الشخصية دون شمولها.
- أيضا تعتمد على النظرة الأنانية ، والهروب م المسؤولية.
- تمتاز بالقصور ؛ محدودة بزمن ، دون النظر إلى مترتبات الأمور المستقبلية.
- لا تخضع للمقياس الشرعي ؛ لأن الإسلام جاء بمقاصد ، وإذا لم تتحقق هذه المقاصد في أمر من الأمور بطل ، وبعض هذه الإيجابيات منتفية فيه هذه المقاصد.
- إضافة إلى ذلك السلبيات أقوى من الإيجابيات ؛ والشرع يدعو إلى درء المفسدة قبل المصلحة، ولما كانت السلبيات أقوى، لذلك يقدم درأها على جلب المصلحة.
- أيضا يدعو الدين إلى تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وهنا نجد أنه رغم وجود إيجابيات شخصية إلا أن هذه الإيجابيات أحيانا تؤدي

إلى الضرر بالمجتمع ، لذلك نقدم ما ينفع المجتمع وهو درء تلك المفاسد على جلب المصلحة الشخصية.

أثر عمل المرأة على زوجها

إيجابياته:

١- مساعدة الزوج اقتصاديا:

إن هذا العنصر له أثر مهم في العلاقة الزوجية ، وله أثر خاص على الزوج ؛ لأن المساعدة التي توفرها الزوجة للزوج تجعله يحس بالارتياح ، ويخفف عنه الحمل الثقيل الذي يتكفل به ؛ لذلك نجد أن الشباب الذين يقبلون على الزواج بالعاملة دافعهم الأول والأقوى هو المردود الاقتصادي الذي سيلحقهم من جراء عمل الزوجة ، نظرا للظروف التي تعتري الزوج وهو في أول الطريق ، ويفتح له بابا لطالما استصعبه على نفسه ، وهو الزواج إضافة إلى ذلك المردود المادي ، إذ إن بعض الشباب يكون اتكالهم الكبير على زوجاتهم.

٢- إمكانية اعتماد الزوج عليها:

بمقتضى عمل المرأة فإنه سيرتسم عليها الطابع النظامي ، وطابع العمل ، ومن نظام وانضباط ، وتحمل مسؤولية ، وتحملها للمسؤولية يجعلها تقدر معناها ، وتحاول إثبات وجودها ، لتكون قدر هذه المسؤولية الملقاة عليها ، فتحاول أداء دورها سواء زوجة أو أما ، كل هذا يريح الزوج حتى إذا سافر أو غاب ، فإنه لا يخاف على أولاده من سوء تصرف زوجته ؛ لأنهم تحت رعاية أم قادرة على تحمل المسؤولية ، وإتمامها.

٣- ثقة الزوجة بنفسها:

إن إكتساب الزوجة الثقة بنفسها عن طريق العمل يشعر الزوج بوجود طرف فعال يفخر به ، تتفهم أوضاعه العملية ، وتسهم معه في حل مشاكله نظرا للخبرة المكتسبة من العمل سواء من خبرتها أو من خبرة الآخرين ، أيضا مما يجعلها تحسن التصرف في أمور عدة مثل التعامل مع أهل الزوج ، وأصدقائه.

٤- إحساس المرأة بما يكابده الزوج:

كما يقال لا يحس بالجمرة إلا الذي كوته ؛ فالمرأة تشعر جيدا بالإحساس الذي يعانيه الزوج من عمله ، فإذا عملت ، ودخلت الميدان أصبحت طرفا في هذا الإحساس ، وبشعورها ذلك تعرف كيف تتعامل مع زوجها ، وتعذره إن بدر منه تصرف خشن ، أو اضطراب في العلاقة ؛ لأنها تدري أن العمل يسبب مشاكل تؤثر في الشخص ، وتجعله مضطرب الموازين.

٥- المعاشرة الزوجية:

يصرح بعض أزواج العاملات ، بأن الزوجة العاملة تكون أكثر استجابة للمعاشرة الزوجية ، نظرا للأجواء المحيطة بها في العمل ، والشارع مما يثير فيها ذلك الشعور ، واختلاطها بالنساء المتزوجات يزيدها دارية بأمور كانت خافية عليها ، وتجارب لم تخضها.

السلبيات:

١- إهمال الزوجة لزوجها:

إن المرأة العاملة مكتظة الأوقات، فوقتها ضق ، وتحملها للأتعاب الملقاة عليها قليل ، وكثرة الأعمال يجعلها تعاني شحة في الوقت، وهذا الضيق يسبب لها خللا

في القيام بأداء دورها في البيت تجاه أسرتها ؛ إذ أدوارها كثيرة وعديدة ، وشاقة أيضا ، مما يجعلها تقصر في أمور زوجها المادية.

من خلال دراسة أجريت على نساء عاملات، وأزواجهن اشتكى ٢٥٪ منهم من إهمال الزوجة له ، وعدم تلبية حاجاته المادية.(١)

وظهرت ردات فعل هؤلاء الرجال كما جاءت على نسائهم.

تقول إحداهن أنه لا يجد فيها صورة أمه، وأخرى تقول: يقارن بيني وبين شقيقته ربه البيت ، وجارته التي كان ينوي الزواج بها ، فتثور ثائرتي"(٢)

٣- عدم إرضاء حاجات الزوج في المعاشرة:

من بين الشكاوى التي اشتكى منها الأزواج في الدراسة أن ١٢,٥٪ ذكروا صراحة أن الزوجة لا تؤدي ذلك السلوك إلا مضطرة ، ويشكل آلي، ولا تخفي الزوجة شعورها بذلك ، حيث عبرت عن نفسها بنفس النسبة ، وتعلل الزوجة هذا التصرف منها بما تكون عليه دائما من التعب ، والإرهاق بعد أداء الواجبات المنزلية.

من بين ما جاء في إجابة بعضهن أنها قال: إنني أفعل ذلك (المعاشرة الزوجية) مضطرة عندما يريد مني ذلك من كثرة الأعباء التي أقوم بها".(١)

وهذا الأمر صعب جدا على الزوج ومن الممكن أن يفضي به إلى مفاسد في العلاقة التي بينهما، ويؤثر على سلوك الزوج بشكل سلبي ؛ لأن الرغبات النفسية من الشهوات بأكملها تحتاج إلى إشباع ، وتعطيلها يؤدي إلى نتائج وخيمة ، كالاضطراب النفسي ، والقلق ، وربما وصل الأمر إلى حد الطلاق ؛ لأن الزوج يتزوج ليلبي رغباته ، وليحصن نفسه ؛ فإذا أحس بالتكلف في المعاشرة بحث عن

(١) المادية هي: إعداد الطعام / العناية بالملابس/ توفير الجو المادئ/ السهر على راحته.

(٢) محمد سلامة آدم (مرجع سابق) ص٢٣٨

(١) (المرجع السابق) ص٢٣٥-٢٣٦

البديل ، سواء بالحلال أم الحرام، مما يؤثر على تماسك الأسرة ويهددها بالضياع، وعلى المجتمع أيضا.

٣- تغير سلطة الزوج:

إن الإنفاق كما قال تعلى في كتابه هو السبب الثاني في جعل القوامة بيد الرجل وإذا سقط هذا الركن اختل الدور وضعف، وهذا بالضبط ما نلحظه في بعض الأسر التي تعمل فيها الزوجة، بمجرد عملها وكسبها تتحول السلطة إليها ، فتنادي بالمساواة فلا شيء يشدها إلى الرجل ، فميزة الإنفاق لم تصبح تهمها لأنها قادرة على الإنفاق على نفسها ، وربما أصبحت هي المتسلطة في بعض الأحيان ، خاصة عندما يكون الرجل عاطلا عن العمل ، فيكون هو العالة ، مما يجعل الزوج يحس بالدونية والشعور بالضعف مما يولد فيه الإحباط ، والشعور السلبي في النفس ، وضعف في الشخصية ، فيكون الزوج تحت سلطة الزوجة وليس العكس.

٤- سوء معاملة الزوجة للزوج:

كثير من الأزواج يشتكون من سوء معاملة زوجاتهم لهم بسبب الغضب الزائد، والتوتر المفرط ، سواء معهم أم مع أولادهم ، نتيجة لحالة الإرهاق النفسي ، التي تعاني منها بسبب كثرة المشاغل والأعمال ، سواء التي تعتريها في العمل، أم في البيت ، وهذا التعب والإرهاق يؤدي إلى عدم استجابة الزوجة لتلبية جميع المطالب المتوقعة منها ، وخاصة تلك المطالب المتعلقة بالزوج سواء المادية والمعنوية"(١)

(١) محمد سلامة آدم (مرجع سابق) ص٢٦٠

٥- إنعدام الراحة اللازمة:

قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها)(١) ، إن الحكمة من الزواج هو السكن إلى الزوجة ، ولكي تكون الزوجة سكنا يجب أن تكون فيها هذه الصفة، وهي السكون والهدوء كل هذا لا يتوفر في الزوجة العاملة ، التي تشتكي من التعب ، والإرهاق ، والضيق ، فهي في ذاتها تحتاج إلى سكن ، فلا يمكن أن يجد الزوج السكن في زوجة هي في ذاتها تبحث عن السكن ؛ ففاقد الشيء لا يعطيه، مما يعقد الأمور على الزوج ، وتقصيرها في حق أولادها يجعل الزوج يحس بالضيق ، وكثرة المشاحنات من جراء ذلك ، نظرا لاضطراب نفسيتهما معا ، فالرجل جاء من العمل متعبا مرهقا، مثقلا بالمشاكل ، والزوجة كذلك، فلا يبقى سوى حلين، إما تفريغ ذلك الغضب ، أو كبت المشاعر في النفوس خوف التنازع.

٦- الغيرة عليها:

إن الإنسان المسلم ليس كغيره من أهل الأديان ، فهو يمتاز بحمية ، وغيرة مفرطة أحيانا ، وما نجده الآن من تزين ، وتبرج النساء ، واختلاط في أماكن العمل، والتي يفرض بعضها قصرا على العامل ، مما يجعل الزوج يخاف على زوجته ، وتساوره الشكوك بذلك ، فتجعله يتصرف تصرفات مليئة بالشك والريبة.

٧- الغيرة منها:

مما يمتاز به أيضا المسلم، والعربي خاصة هو تعوده على النظرة الدونية للمرأة ، ونظرة الرجل المستعلية ، فالمرأة أقل من الرجل دائما في نظره ، فكل مظاهر التفوق التي تظهر من الزوجة يقابلها مظهر الإخفاق من الزوج يجعله يحس بشعور ملؤه

(١) سورة الروم ، الآية ٢١

الإحباط ، والدونية ، وخيبة الأمل ؛ لأن زوجته أكثر تفوقا منه ، فهي كثيرة الحدوث بين الإخوة فكيف إذا ما كانت بين الزوجين.

خلاصة القول:

بعد عرض الإيجابيات والسلبيات نخلص إلى:

أن السلبيات طغت على الإيجابيات ، لاسيما في أهم العناصر الأساسية التي تدعم أسس الحياة الزوجية ؛ كالمعاشرة وتلبية حاجات الزوج المادية، مما يهدد استقرار العلاقة بين الزوج والزوجة، وأيضا افتقاده أهم مقصد من الزواج ، وهو السكن، والمودة الذيْن حث عليهما الشرع الحنيف.

ذلك رغم وجود الإيجابيات إلا أن معظمها بعيد عن المقصد الشرعي ، وتتركز أكثر شيء على الجانب المادي ، والدنيوي.

المبحث الثاني: أثر عمل المرأة المسلمة على المجتمع

١) الأثر الاقتصادي:

الإيجابيات:

١- دعم الاقتصاد الوطني:

يقال إن دخول المرأة العمل يرفع الاقتصاد ، ويزيده دعما ؛ لأن المرأة نصف المجتمع ، ولا يتأتى تقدم دولة أيا ما كانت إذا تعطل فيها نصفها الثاني ، وهي المرأة ، فإذا أقحمنا هذا النصف زاد الإنتاج ، وتكاثفت التجارب ، والخبرات ، وأعطى للإنتاج روحا قوية في كل الميادين ، وأيضا يقلل من العمالة الأجنبية ، ويحل مشكلة الاتكالية على الغير ، والبقاء على التبعية ، والتي ينجم عنها أمور عدة تهدد الاقتصاد الوطني ، بإخراج مبالغ طائلة إلى دول أخرى ، وعدم الإستفادة من الموارد المالية ، والمحلية ، التي تذهب إلى العامل الوافد.

٢- القضاء على البطالة:

إن عمل المرأة يساعد في القضاء على البطالة ؛ بإقحام عدد من النساء في العمل ، إذ نجد الكثير منهن يبقين دون عمل ، ويسببن مشكلة وطنية ، خاصة المتخرجات من الجامعات ، والحائزات على الشهادات.

أيضا تساعد على سد الأماكن الشاغرة التي تخص الأنثى كالتطبيب ، والتمريض ...

٣- خلق جو من العمل:

تقول إحدى الباحثات الدكتورة (كاميليا عبد الفتاح) في بحثها (حول سيكولوجية المرأة العاملة) بعد عرض نتائج الدارسة وتحليلها:

وجود المرأة في مكان العمل أدى إلى تحقيق جو من العمل الرتيب ، بما تخلفه من مرح ، وأحاديث شيقة، ففي رأيهم (العمال) أن أحاديث الرجال تدور حول عادة حول العمل، والترقيات، والعلاوات ، أما المرأة فهي غالبا ما تتناول موضوعات إنسانية .

عبر رجل من (الذين أجريت عليهم الدراسة) بأنه سعيد ، ويشعر براحة في العمل مع المرأة بل ويشعر براحة أكثر عندما يحدثها بمشكلاته الخاصة، ويتخذها كأخت له ، وهو يستطيع أن يعرض عليها أمورا قد لا يعرضها على أخته.

يعتقد الرجل أن سلوكه في جماعة العمل أصبح أكثر تهذبا بسبب وجوده مع زميلاته في مكان واحد.(١)

السلبيات:

١- البطالة:

إن الوطن الإسلامي يشكو من نسبة ضخمة من البطالة بين الذكور فقط بغض النظر عن الإناث ، وما زاد الأمر تعقيدا هو إقحام عدد ضخم من النساء في أماكن الرجال، وكانت نسب النساء اللائي يجدن العمل أكبر من الرجال ، فبقي الرجل دون عمل واختلت الموازين ، فأصبحت المرأة هي التي تعمل ، والرجال ينفق

(١) كاميليا عبد الفتاح (مرجع سابق) ص١٨٤-١٨٦

عليهم ، فتغيرت الأدوار مما أسهم في ضعف الاقتصاد ، وأثر في البنيان الاجتماعي للمجتمع.

٣- ضعف الاقتصاد:

تسبب نزول المرأة إلى العمل في ضعف الاقتصاد لأسباب ، منها :

- انتشار البطالة.
- إستبدال المرأة بالرجل ، كما لا يخفى علينا أن الرجل هو الأصل في العمل، دوره ، وبنيته ، ومكانته ، وتكوينه كلها أمور مساعدة على العمل والجد والكد لذلك جعل الله القوامة بيده ، وجعل الإنفاق على كاهله.

إن المرأة مهما عملت فإنه سيأتي عليها فترات تحول بينها وبين القيام بدورها في العمل على أحسن حال، وهي الأمومة ، فارتباطات الأمومة تضطرها للانقطاع ، أو التأخر عن العمل ، والتقصير في تأدية مهنتها، نظرا للأعباء الكثيرة الملقاة عليها ، لذلك نجد أن كثيرا من الدول الصناعية ، تفرض للمرأة العاملة راتبا أقل من راتب الرجل ؛ لأنه يأخذ بعين الاعتبار تلك الأمور المعوقة أحيانا عن العمل.

وما يؤكد ذلك ما قاله خبير فرنسي ، قال إن المرأة يكون عطاؤها في أوجه في السنوات الثلاث الأولى من عملها ، ولكن سرعان ما يبدأ في التنازل بعدها، بخلاف الرجل الذي يزيد عطاؤه كلما تقدمت به سنوات العمل ، وازدادت خبرته أكثر.

وتقول أيضا مديرة مصنع فرنسية لما سألت عن جدوى المرأة في الاقتصاد ، قالت : إن الذي يستخدم النساء كالذي يستخدم إناسا معوقين".(١)

حتى الأثر الذي يتركه عمل المرأة على الزوج أو الأولاد له أثر على الاقتصاد القومي، لأن ذلك الزوج ، وأولئك الأولاد هم عناصر في المجتمع فما يؤثر فيهم يؤثر في المجتمع أيضا ، فالأطفال الذين يعانون العقد النفسية ، أو الاتكالية ، أو يعانون من الانحراف يتضرر من أفعالهم المجتمع قبل كل شيء.

والزوج الذي يلاقي المشاكل في بيته ، ولا يجد الرعاية فيه ، يجعله مضطرب القوى، مشتت الفكر مما يؤثر سلبا على عمله وعطائه.

خلاصة القول:

إن التحجج لعمل المرأة بالجدوى الاقتصادية ، حجة مرجوحة ، والتحجج بالقضاء على البطالة أيضا لا أساس لها ؛ لأن العالم الإسلامي يتخبط في البطالة بين الذكور بغض النظر عن الإناث، ويزيد الأمر تعقيدا إقحام النساء في العمل ، في الوقت الذي نجده فيه الشاب يبحث عن العمل ، ويسافر ، ويغترب من أجل ذلك.

يقول المودودي عن الجدوى من عمل المرأة على الاقتصاد : "ليس فيه منفعة للتمدن نفسه، بل فيه له كل المضرة ؛ لأن الحياة والحضارة الإنسانية حاجتها إلى الغلظة والشدة ، والصلابة كمثل حاجتها إلى الرقة، واللين والمرونة، وافتقارهما إلى القواد البارعين ، الساسة، والإداريين الحازمين كافتقارهما إلى الأمهات المربيات، والزوجات الوفيات ، والنساء الصنع المدبرات ، فأيما واحدة من الطبقتين أسقطت ، وأهملت جرت على التمدن في كل حالة بالغ الضرر والخسارة".(٢)

(١) عن الفتاة الفرنسية 17 في حصة حول عمل المرأة ، ١٩٩٨/٣/١٤م

(٢) أبو الأعلى المودودي (مرجع سابق) ص١٩٣

أيضا الحجة التي مفادها : إن المرأة التي لا تعمل ، خسارة للمجتمع لأنه تعطيل لنصف المجتمع، ضعيفة ، وتعتمد على تفسير مادي ، يقول مصطفى السباعي في هذا الصدد: "إن في كل مجتمع فئات معطلة عن الإنتاج المادي ، فالجيوش والموظفون لا يزيدون في ثروة الأمة المادية ، وقد رضيت الأمم بأن يتفرغ الجيش لحماية البلاد، دون أن تلزمه بالعمل والكسب ، فهل يقال أن هذا تعطيل للثروة البشرية يؤدي إلى إنخفاض الثروة القومية في البلاد ؟ .. إن حياة الناس ليست كلها تحسب بحساب الربح ، والخسارة المادية، فالكرامة والشهامة كل ذلك خسران مادي ، ولكنه ربح عظيم لا يتخلى عنه الناس الشرفاء الذي يعتزون بكرامتهم الإنسانية . وليست صيانة الأسرة ورعاية الطفولة ، وتربية الأولاد بأقل شأنا في نظر الإنسان الراقي المعتز بإنسانيته من تلك القيم الأخلاقية التي تقاس بالمقياس المادي البحت".(١)

إن الإيجابيات معظمها منظورة من زاوية مادية ، والتغطية على الزوايا الأخرى، رغم ذلك نجدها مرجوحة لضعفها.

٣) الأثر الإجتماعي:

الإيجابيات:

١- التكافل الإجتماعي:

من نتائج عمل المرأة – كما يقال- زيادة التكافل الاجتماعي ،وزيادة التقارب بين الأسر من جراء العقلية الغربية الجديدة ، التي تتسم بالحرية ؛ فجو الصداقة الذي يكون في العمل بين الرجال والنساء يربط أواصر الأسر بعضا ببعض ، ويضفي على تعاملات الأعضاء بين بعضهم ، وبين أسرهم نوعا من الحرية ، ورفع

(١) مصطفى السباعي (مرجع سابق) ص١٩٤-١٩٥

الكلفة ، مما يسهل توطيد العلاقة ؛ فصديق العاملة يتعرف على أسرتها ، والعاملة تتعرف على أسرة العاملة ، وتكثر الزيارات والالتقاء في المناسبات ، كما يكون العمل سائدا في التعاملات.

٢- القضاء على العنوس:

كما عملنا سابقا إن عمل المرأة يسهم في القضاء على العنوس في بعض الحالات ، والعنوس هو مشكل من بين المشاكل الاجتماعية الكبرى التي تقلق المجتمع ، مما يقلل النسل ، ويزيد من فرص الوقوع في المهاوي والرذيلة ، وبالقضاء عليه يكون قد قضى على أهم مشكل من المشاكل الاجتماعية.

٣- خلق حضارة إنسانية:

إن زيادة الدخل القومي ، وزيادة الدخل الفردي يؤدي إلى رفع المستوى المعيشي للفرد ، ورفع المستوى الاقتصادي للدولة ، فتزداد المرافق الضرورية كالمدارس ، والمستشفيات ، ويقل الفقر ، والمظاهر غير حضارية ، ويزيد وعي الناس ، وتتغير طريقتهم المتخلفة نحو الأحسن والأرقى ، واللحوق بالركب الحضاري ، إلى حياة منعمة مرفهة ، ونظيفة ، خالية من الفقر ، والمجاعة ، ومظاهر التخلف ؛ من تسول ، وكثرة أمراض ، مما يعطي الطابع المتحضر للدولة.

٤- التقليل من المواليد:

إن الشائع الآن بين الدول الاقتصادية ، والمتطورة قلة المواليد ، ومما أسهم في قلة النسب هو عمل المرأة ؛ لأن العمل ومتطلباته يمنعانها من النسل ؛ فالمرأة العاملة تريد تفرغا ، وعدم انشغال بالبيت ؛ فإذا كان لها أولاد وقفت طموحاتها نحو المواصلة والعطاء في مجال عملها ، وممكن أن يسبب لها الطرد.

إضافة إلى الحمل الذي يسبب لها الوهن، وترهل الجسم ، ويفقدها نضارتها وطبيعتها المرحة التي تحتاج إليها كل الاحتياج في عملها. وتؤكد بعض الإحصاءات التي تجرى على المواليد بين النساء العاملات وغير العاملات، أن نسبة المواليد قد قلت بشكل ملحوظ عند العاملات.

أيضا قلة المواليد تساعد في الاعتناء بالفرد ، بتوفير وسائل الراحة ، والتعليم ، والصحة ، والرفاهية ، وتساعد على التربية ، والتفرغ التام.

٥- خلق مجتمع متحضر ومتعلم:

إن لعمل المرأة تأثيرا على الفرد وعلى الأسرة بالزيارة في الدخل الفردي والدخل القومي ، فإذا كان المجتمع صناعيا ، وقليل السكان أدى إلى توفير الضروريات ، ووسائل الحضارة ، مما يسهم في بعث شعب متعلم مثقف واع، متحضر في تعاملاته ، وتصرفاته ، ومنظره ،وهذا ما نجده واضحا في الدول التكنولوجية المتطورة مثل أوربا ،وأمريكا ، من رقي في المجتمع ، وارتفاع في المستوى الثقافي ،والعلمي للفرد ، وانتشار الجامعات ، والمعاهد التي ذاع صيتها في العالم بأسره.

إن دخول المرأة المجالات المناسبة بها ، والتي تخدم المجتمع أيضا لها الدور الفعال في نهضتها ، ورقيها ، والتخفيف من الأضرار التي يخلقها إبعاد المرأة عن هذه المجالات.

السلبيات:

إن النتائج السلبية التي أثارها خروج المرأة للعمل على الأسرة عامة له دخل كبير في التأثير على المجتمع أيضا من الوجهة السلبية كما هو من الوجهة الإيجابية ؛ لأن المجتمع صورة مكبرة للأسرة مما أدى إلى أضرار أخرى هي :

١- الاختلاط:

إن الاختلاط تزامن تماما مع خروج المرأة سواء أكان للعمل أو للتعلم المختلط ، إذ أصبح الاختلاط شيئا عاديا ألفته العين في شوارع الدول الإسلامية ، وأماكن العمل والدراسة، مما أدى إلى عواقب وخيمة جنت على الفرد والمجتمع كلية مهددا كيان المجتمع وحياة الأفراد ، وما زاد الطين بلة ضعف الوازع الديني ، والخلقي ، والحصار المرير الذي يحاصر به كل من اتسم بصفات الإسلام.

وترتبت عن الإختلاط أمور خطيرة منها:

- الإنحلال الخلقي

إن ما أنجز عن الاختلاط وضعف القلوب ، هو الانحلال الخلقي ، فقليلا ما نرى امرأة تخرج للعمل دون تبرج أو زينة تلفت بها الانظار ، حتى الحجاب تغير شكلة أصبح حجابا متبرجا ربما فتن أكثر من غيره من اللباس أحيانا ، وكل ما في الشوارع مثير للفتنة ، في المحلات ، والمصانع حتى في البيوت عن طريق وسائل الإعلام التي اعتمدت في الآونة الأخيرة بشكل ملفت على العنصر النسوي دون غيره مقصية بذلك الذكور ، لأنه لا يؤدون نفس المفعول الذي تؤديه الأنثى ، وظهرت من جرائه مظاهر ، وأوبئة تكاد تفتك بالمجتمع فتكا مريعا.

- الزنا

إن الزنا مرده إلى ضعف النفوس ، وسهولة التقاء الرجل بالمرأة ، فالرجل يثار بالتبرج والزينة الفاضحة ، بعد ذلك يجد الوسيلة التي يروي بها شهوته ، ويلبي تلك الإثارة بسهولة، فالعمل كما نعلم من أخصب الأماكن لنشوء هذه العلاقات ، ذلك بحكم الجوار الدائم بين العامل والعاملة، فيجدها بجانبه طوال النهار لا تفارق

عينه ، والمشكلة هو مصاحبة عدم الحشمة وعدم التورع لهذا الاختلاط . مصداقا لقوله ﷺ (إتقوا النساء فإن أول فتنة بين إسرائيل كانت النساء)(١)

أيضا ما أدى إليه من طلاق ، فقد انتشرت نسب الطلاق بشكل كبير ، مما ضعف الروابط الاجتماعية في الأسرة الواحدة، وأدى إلى الانحراف ، وانتشار الجرائم المختلفة.

٣- العنوس:

إن كثرة التقاء الذكر بالأنثى ، وسهولة الوصول إليها لتلبية رغباته منها ، أسهمت بشكل رهيب في انتشار ظاهرة العنوس ، إضافة إلى أسباب أخرى منها عمل المرأة نفسه – كما أسلفت-.

خلاصة القول:

إن السلبيات المنجرة عن عمل المرأة من الجانب الاجتماعي أكثر بكثير من الإيجابيات ، وأشد خطرا، تكفي مضعفا للإيجابيات وتغليب الجانب السلبي عليها.

(١) رواه مسلم

الخاتمة:

إن النتيجة التي نخلص إليها بعد سرد الإيجابيات ، والسلبيات ، ومناقشتها تتلخص في بضع كلمات مختصرة.

عمل المرأة المخالف للفطرة ، والتكوين الفزيولوجي لها هو تعد على سنن الكون الإلهية إذا لم تقتض إليه الضرورة التي أشرنا إليها، ولست أبالغ إن قلت: إن عمل المرأة بالشكل الذي نراه في عصرنا ، والمخالف للشرع ، هو نذير خطر على المجتمع كله ، فهو كالسوس الذي ينخره ، والمولى تعالى يقول: (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)(١)

إن الذين يختلفون معي في هذه النتيجة ، يعود إلى ميزانهم الذي يزنون به هذه القضية ، فمنظوري لهذه القضية منظور إسلامي ؛ لأن القضية تمس الدين والخلق، ومقاصد الشرع ، فالذين ينظرون إلى هذه المسألة من المنظور المخالف ينظرون إليها بمنظور دنيوي ، ومادي.

لذلك يجب أن نأخذ المسألة بشكل جدي ، وأكثر وعيا ، وأكثر بعدا عن الأهواء الإنسانية، ويكفينا تجارب غيرنا الذين وجدوا بأن خلاصهم هو رد المرأة إلى مكانها الأصلي والفطري ، فهو أحسن لها ، ولمن حولها ، وللأمة أجمع.

والحل الوحيد لهذه القضية جذري ، يتلخص في كلمتين:

العودة إلى القرآن الكريم ، وتحكيم شرع الله في ديننا ، ودنيانا ؛ لأن شرع الله كلّ لا يتجزأ ، لا نستطيع أن نأخذ منه شيئا ونقصي الباقي ، وخاصة في الأمور الاجتماعية.

قال تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنو واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)(٢)

(١) سورة فاطر ، الآية :٤٣

(٢) سورة الأعراف ،الآية ٩٦

الملحق

إحصاءات:

تقول الإحصائية التي صدرت في إسبانيا هذا العام (١٩٩٨م) عن معهد المرأة في مدريد: (١) إن عددا ضخما من النساء يعانين من المضايقات ، من ضرب، وإغتصاب ، واعتداءات جسدية ونفسية تؤدي في بعض الأحيان إلى القتل.

- في سنة :(١٩٨٢م) ، ٦٥ حالة اغتصاب لكل ١٠ آلاف امرأة . أي في كل ثلاث ثواني تغتصب امرأة في (أمريكا).
- في سنة (١٩٩٥م) ، ٨٢ ألف جريمة اغتصاب ، ٨٠٪ منها في محيط الأسرة، هذا الرقم مما صرح به ، أما الرقم الحقيقي هو ضعفه بـ ٣٥ مرة. وهذه الجريمة مما تسمى بزنا المحارم في الفقه الإسلامي . في (أمريكا).
- في سنة: (١٩٨٠م) سجلت الدولة مليون وخمس مائة وثلاث وخمسون (١٥٥٣٠٠٠) حالة إجهاض رسمي . كانت ٣٠٪ لم يتجاوز عمرهن ٢٠ سنة ، وقالت الشرطة أن العدد الحقيقي هو ثلاثة أضعاف . في (أمريكا).

أما بالنسبة للاستغلال البشع لجسد المرأة نجد فيما تنضح به المجلات ، والبرامج التلفزيونيه ، وما يحدث في الملاهي ، والشوارع ، والمراقص، ودور البغي والعهر.

- من أوائل الثمانينيات (١٩٨٠م) إلى التسعينيات ما يقارب مليون امرأة يعملن في البغاء في (أمريكا). أما المعاملات التي يلاقينها من أزواجهن ، أو من عشاقهن (الذي له جميع الحقوق الزوجية كالزوج تماما) فقد عانين الاعتداءات الجسدية والنفسية.

(١) نوال السباعي: صحفية بمدريد ، في مهاتفة مع حصة (الشريعة والحياة) في قناة الجزيرة القطرية ١٥/٣/١٩٩٨م.

- في سنة (١٩٩٠م) ١٨ ألف امرأة قدمن بلاغات عن اعتداءات بالضرب المبرح من قبل الرجال الذين يعيشون معهم في (إسبانيا).
- قال محامي الشعب الإسباني في اليوم العالمي للمرأة إنه ٥٤ الف شكوى عن الاعتداءات بالضرب المبرح.
- في أمريكا ستة ملايين امرأة يعانين من سوء المعاملة الجسدية والنفسية.
- ٧٠٪ من الزوجات يعانين ويشتكين من الضرب المؤذي في (أمريكا).
- ٤ آلاف امرأة يقتلن ضربا كل عام على أيدي الأزواج أو العشاق (أمريكا).

ومع كل هذه المآسي ما يترتب عليها من أضرار اجتماعية ، كالجريمة والطلاق وتفكك الأسرة، وتيتيم الأطفال.

١- في سنة :(١٩٨٢م) ، ٨٠٪ من النساء المتزوجات في أمريكا أصبحن مطلقات .إن الكم هائل من هذا ، فقد أقيمت في هذه القضية بحوث طويلة عريضة ، ومع ذلك لم تستوعب كل ما يجري.

شهادات مختلفة:

قال هتلر في عمل المرأة : إن عالمها (المرأة) هو رجلها وأسرتها ،وأطفالها ، ومنزلها ، ولا نشعر بأنه من الصواب أن تقتحم المجال الرئيسي للرجل".

والخروج عند النازية كان يعني نقصا في عدد الأطفال ، وطرد الرجال من العمل".(١)

تقول بيتي فريدان (إحدى زعيمات الحركة النسائية الغربية) : فقدت مبادئ تحرير المرأة مبادئها بعد أن أصبحت المرأة أكثر تمسكا بواجباتها الطبيعية ، ووظائفها

(١) كاميليا عبد الفتاح ، (مرجع سابق) ص٤٨

الأساسية ، كالزواج، والإنجاب ، والأمومة، لقد جعلت حركات التحرر المراة تخجل من القيام بدور الزوجة والأم ، وحولتها إلى مسخ يفتقد العاطفة التي كانت تحيط بها أو يحيطها بها الرجل .. فإذا كانت المرأة قد أصحبت "شبه رجل فماذا تريد من الرجل؟".(١)

قالت الممثلة الأمريكية (بربارة ستريباند) في آخر مقالة صحفية لها : لقد بدأت أتأكد أن أشياء كثيرة تنقصني ، اهتممت أكثر مما يجب بحياتي الفنية ، ونسيت حياتي كامرأة ، وكإنسانة، مما جعلني اليوم أحسد النساء اللواتي عندهن الوقت الكافي للاعتناء بأزواجهن وأطفالهن، والحقيقة إن النجاح والشهرة لامعنى لهما في غياب الحياة العائلية العادية ، حيث تشعر المرأة أنها امرأة".(٢)

يقول (جيمس سيمون) : في مجلة فرنسية : المرأة التي تعمل تؤدي عمل عامل بسيط ، ولكنها لا تؤدي عمل المرأة".(٣)

نشرت مجلة الهلال ع: ٣/١٩٦٥م ، رأي (برنارد شو) في عمل المرأة يقول: أما العمل الذي تنهض به النساء والعمل الذي لا يمكن الاستغناء عنه فهو حمل الأجنة ، وولادتهم وإرضاعهم ، وتدبير البيوت من أجلهم، ولكنهن لا يؤجرن عليه بأموال نقدية ، وهذا ما يجعل الكثير من الحمقى ينسون أنه عمل على الإطلاق، فإذا تحدثوا عن العمل جاء ذكر الرجل على لسانهم ، وأنه هو الكادح وراء الزرق".(٤)

كتب الأديب المصري الأستاذ أنيس منصور في جريدة الأخبار تحت عنوان مواقف ما يلي: ونحن ننظر عادة إلى التفرغ للحياة الزوجية على أنه ليس عملا ،

(١) الأسرة (هولندا) ع:٥٠ ، جمادى الأول ، ١٤١٨هـ

(٢) عكاشة عبد المنان الطيبي ، التبرج (مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة) ص١٣١

(٣) فتحي يكن (مرجع سابق) ص٧٣-٧٤

(٤) محمد سعيد مبيض ، إلى غير المحجبات ، ص٥٤

ومع أنه في الحقيقة عمل اجتماعي واقتصادي ، وتربوي ، ونفسي ، وبعض الدول الأوربية تدفع أجرا للزوجة لأنها تمكث في البيت كاستراليا مثلا ، ولن يمضي وقت طويل حتى نجد المرأة نفسها أمام هذا الاختيار إما العمل ، وإما الطفل، ولن تتردد أبدا أن تختار الطفل"(١)

(١) المرجع السابق ، ص د د

المراجع:

١- القرآن الكريم

٢- أبو إسلام أحمد عبد الله ، وآخرون ، عبدة الشطان ،(ط١ ، بيت الحكمة ، القاهرة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٣- أبو المبشر الحسيني ، الإسلام الدين الفطري الأبدي (ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م).

٤- أبو الاعلى المودودي ، الحجاب (دار الأنصار القاهرة : ١٩٧٧م).

٥- أحمد الجدع ، نساء حول الرسول (ط١ ، دار الضياء ، الأردن ، عمان : ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)

٦- أسعد السحمراني ، المرأة في التاريخ والشريعة (ط١ ، دار النفائس ، بيروت ١٤١٠ :هـ-١٩٨٩م).

٧- ألكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول، تعريب : شفيق أسعد فريد (مكتبة المعارف ، بيروت: ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م).

٨- إلياس ديب ، عالم الولد(ط١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت : ١٩٨٦م).

٩- ابن الأثير الجزري ،جامع الأصول (ح١٠ ،ط٢ دار الفكر ، بيروت : ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).

١٠- ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، م٢ ، تحـ :محمود فاخوري ،(دار المعرفة ، بيروت (د.ت).

١١- ابن سعد (الطبقات الكبرى ، ح٨ (ط مطابع شركة الإعلانات الشرقية).

١٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،(دار بيروت للطباعة: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)

١٣- ابن قدامة المقدسي ، المغني (دار الكتب العلمية ،بيروت) ج٩.

١٤- ابن قيم الجوزية ، تحفة المودد بأحكام المولود ، تح: عبد المنعم العاني ،(ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).

١٥- البخاري ، شرح العسقلاني (٧٧٣هـ-٨٥٢هـ) (دار المعرفة ، بيروت ، ج٩).

١٦- السيد مجتبى الموسوي ، الإسلام والحضارة العربية ، تر: محمد هادي اليوسفي ،(دار الأمير ، بيروت :١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

١٧- الفخر الرازي ، التفسير الكبير (ط١ ،دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١ :هـ-١٩٩٠م)ج٢٤.

١٨- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، (ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت :١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

١٩- الكتب التسعة ، قرص مدمج ، شركة صخر ، الإصدار الأول.

٢٠- بدر الدين أبي محمد العيني ، عمدة القارئ (دار إحياء التراث، بيروت (د.ت)) ج٢٠ .

٢١- حامد عبد السلام هارون ، علم نفس النمو (ط٤ ، عالم الكتب ، القاهرة).

٢٢- سعيد بن عبد الله الحاتمي ، المرأة في الإسلام وقبله ،(مطبعة ندوة العلماء ، لكهنؤ ، الهند).

٢٣- سمير عبده ، التحليل النفسي للجريمة (ط١ ، دار الكتاب ، دمشق :١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

٢٤- سيد سابق، فقة السنة ، (ط٣ ، دار الفكر ، لبنان : ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ج٢.

٢٥- سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام (ط١٢ ، دار الشروق ، بيروت : ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).
٢٦- سيد قطب ، الإنسان ومشكلات الحضارة (درا إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ١٩٦٢م)
٢٧- سيد قطب ،في ظلال القرآن ، (ط١٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م) م١ ، ج٣ ، في ظلال القرآن ، م٦ ، ج٢٦ ، في ظلال القرآن ، م٢ ج٥ ، في ظلال القرآن م٥ ،ج٢٢ ، م٦ ، ج٢١ ، م١ ، ج٢.
٢٨- شفق عبد الملك، تشريح الحوض للذكر والأنثى(ط٣ ، المطبعة التجارية ، مصر: ١٣٩١هـ-١٩٧١م).
٢٩- صالح عبد العزيز كريم ،الهندسة الوراثية وتكوين الأجنة ، (ط١ ، دار المجتمع، جدة ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
٣٠- عباس محمود العقاد ، المرأة في القرآن (دار نهضة مصر ، القاهرة).
٣١- عبد الكريم زيدان ، المفصل في أحكام المرأة (ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)ج٤.
٣٢- عبد الله الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق ، أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ، م١٤.
٣٣- عبد الله ناصح علوان ، تربية الأولاد في الإسلام (ط٣ ، دار السلام ، مصر ١٤١٥هـ-١٩٩٤م) ج١
٣٤- عكاشة عبد المنان الطيبي، التبرج، (مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة).
٣٥- علي الحسن ، أطفالنا ،(ط٢ ، دار العلم للملايين ،بيروت: ١٩٨٢م)

٣٦- علي يحيى معرم ، الفتاة المسلمة ومشاكل الحياة ، جمع وتعليق: أحمد كروم ، حمو بوكرموش.

٣٧- عمر رضا كحالة ، أعلام النساء (ط١٠ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت :١٤١٢هـ-١٩٩١م)ج١

٣٨- عمر رضا كحالة ، الزواج (ط٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت :١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)ج٢

٣٩- عمر رضا كحالة ، المرأة في القديم والحديث،(ط١ ، مؤسسة الرسالة بيروت: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).ج١.

٤٠- فؤاد حيدر ، المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي (ط١ ، دار الفكر العربي، بيروت: ١٩٩٢م).

٤١- فؤاد حيدر ، الشخصية في الإسلام (ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت: ١٩٩٠م).

٤٢- فتحي يكن ، الإسلام والجنس،(ط١٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت: ١٩٨٨م).

٤٣- قاسم أمين ، تحرير المرأة (دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٠م).

٤٤- كاميليا عبد الفتاح ، سكولوجية المرأة العاملة ،(ط١ ،دار الثقافة العربي، القاهرة : ١٩٧٩م).

٤٥- ماكسين ديفز ، دليل المرأة إلى الصحة ، تر: د/محمد نظيف،(دار القلم القاهرة :١٩٦٦م).

٤٦- محمد الغزالي ، فقة السيرة (ط٧، مكتبة حسان ، القاهرة :١٩٧٦م).

٤٧- محمد بن يوسف أطفيش ،تيسير التفسير (ط وزارة التراث ، سلطنة عمان: ١٤٠٧هـ-١٩٨٩م)ج١٠.

٤٨- محمد بن يوسف أطفيش ، شرح النيل(طبعة وزارة التراث ، سلطنة عمان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)ج٢/٦.

٤٩- محمد بن يوسف أطفيش ، شرح النيل(ط٢ ، دار الفتح ، بيروت ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)ج١.

٥٠- محمد رفعت ، الأمراض النفسية وعلاجها (ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت: ١٩٩٢م).

٥١- محمد سلامة آدم ، المرأة بين البيت والعمل، (ط١ ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٨م).

٥٢- محمد علي البار ،خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ط١٠ ، الدار السعودية، جدة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٥٣- محمد علي البار، عمل المرأة في الميزان (ط١ ، دار المسلم ، الرياض: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م

٥٤- محمد قطب، واقعنا المعاصر ، (ط١ ، مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٦م.

٥٥- محمد قطب ، الإنسان بين المادية والإسلام (ط٨، دار الشروق ، بروت ١٤٠٣ :هـ-١٩٨٣م).

٥٦- محمد قطب ، معركة التقاليد (ط١٣٨٦هـ-١٩٦٧م).

٥٧- محمد متولي الشعراوي ، المرأة في القرآن (مطابع أخبار اليوم، مصر (د.ت).

٥٨- محمد متولي الشعراوي، شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها ، إعداد : عبد القادر أحمد عطا، (مطابع سجل العرب ، القاهرة.).
٥٩- محمد محمد يوسف ، السمير الواعظ ، ج٢.
٦٠- محمود عبد الحميد ، حقوق المرأة بن الإسلام والديانات الأخرى (ط١ ،مكتبة مدبولي القاهرة ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م).
٦١- مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون (ط٦ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
٦٢- ول ديورانت ، قصة الحضارة ، تر: محمد بدران وآخرون ، (ط٣، مطابع الرجوي ،القاهرة ١٩٧٣م)ج٦.
٦٣- وهبي سليمان غاوجي الألباني ، المرأة المسلمة (ط٢ ، دار القلم ، دمشق، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).
٦٤- يوسف القرضاوي ، قضايا إسلامية معاصرة ، (ط١ ، دار الضياء ، عمّان، الأردن: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

الجرائد والمجلات:

١- الأسرة (عمان) ع: ٨٦٠، ١٩٩٥/٥م، ع٦٩٨ ، ١٩٩٤/٤م ، ع٧٤٩، ١٩٩٥/٤م ، ع٧٢٣، ١٩٩٤/١٠م /ع٨٢٦، ١٩٩٦/١٢م، ع٨٢٢، ١٩٩٦/٨م /ع٨٣٦ ، إبريل/١٩٩٧م/ع٨١٤، ١٩٩٦/٧م /ع٧٢٧/ (مجلة).
٢- مجلة الأسرة (هولندا) ع٥٠ ، جمادي الأولى ١٤١٨هـ (مجلة).

٣- الإصلاح (مجلة) ع: ٣٠٠، ١٩٩٤/٨م ، ع١٠٣ ، أغسطس ١٩٨٦/ذو الحجة ١٤٠٤هـ.
٤- الأمة (مجلة) ع٣٢ ، س٣ ، شعبان /١٤٠٣هـ.
٥- تحت العشرين (مجلة) ع٢ ، ١٩٩٨/١م.
٦- الجريمة (مجلة) ع٢٦ ، ١٩٩٧/١٢/٦م.
٧- الحقوق (مجلة) ع٣ ، س١٧ ، ١٩٩٣/٩م.
٨- الزواج (مجلة) ع١ ، ١٩٩٨/٢م.
٩- الشرق الأوسط (جريدة) ع٧٠١٦ ، شوال /١٤١٨هـ- فبراير ١٩٩٨م.
١٠- صوت المرأة ، دون عدد، ١٩٩٨/٣/٣١م (جريدة).
١١- الفرحة (مجلة) ع: ١٠ ، ١٩٩٧/٧م.
١٢- كل الأسرة(مجلة) ع: ٢٢٨ ، فبراير ١٩٩٨م.
١٣- المجلة العربية ، ع٢٤٢ ، ربيع الأول: ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.
١٤- المشاهد (مجلة) ع: ٢٣ ، ١٩٩٥/٨/٢٠م / ع٢٦ ، ١٩٩٥/٩/١٠م ، /ع٢٥ ، ١٩٩٥/٩/٩م.
١٥- الوطن (جريدة) ع٥٢٥٨ ، ١٩٩٧/١١م.
١٦- زهرة الخليج (مجلة) ، ع٩٧٤ ، س١٩ ، ١٩٩٧/١٢/١١م

الوثائق:

- مجموعة فتاوى الشيخ أحمد الخليلي (مخطوط).
- وثيقة من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، إحصائية آخر سنة ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١-٤
١- التمهيد	٥-٦
• المرأة قبل الإسلام وبعده	٦-١٥
٢- الفصل الأول: طبيعة تكوين المرأة ووظيفتها الأساسية	١٦
• المبحث الأول: طبيعة تكوين المرأة	١٦-٣٥
• المبحث الثاني:وظيفة المرأة الأساسية	٣٦-٤٦
• المبحث الثالث:دور المرأة في العهد النبوي	٤٦-٤٨
٣- الفصل الثاني: دوافع خروج المرأة المسلمة للعمل	٦٣
• المبحث الأول: الخلفية التاريخية لخروج المرأة الغربية للعمل	٦٣-٦٨
• المبحث الثاني:الخلفية التاريخية لخروج المرأة المسلمة للعمل	٦٩-٧٤
• المبحث الثالث:الدافع الحقيقة لخروج المرأة المسلمة للعمل	٧٥-٩١
٤- الفصل الثالث: مشروعية عمل المرأة وضوابطه	٩٢
• حق المرأة في العمل	٩٢-٩٣
• الحكم الشرعي لعمل المرأة	٩٤-١١٢
• الضوابط والشروط.	١١٣-١١٦
• اعتراضات والرد عليها	١١٧-١١٩
٥- الفصل الرابع: أثر عمل المرأة المسلمة : الإيجابيات والسلبيات	١٢٠
• المبحث الأول: أثر عمل المرأة المسلمة على الأسرة	١٢٠-١٢١
- الأسرة وعلاقتها بالمجتمع.	١٢١-١٣٧

- أثر عمل المرأة على الأولاد.	١٣٨-١٤٩
- الخادمة.	١٥٠-١٦٣
- أثر عمل المرأة على نفسها.	١٦٤-١٦٩
- أثر عمل المرأة على زوجها.	١٧٠
• المبحث الثاني: أثر عمل المرأة المسلمة على المجتمع	
- الأثر الاقتصادي.	١٧٠-١٧٤
- الأثر الاجتماعي	١٧٤-١٧٨
٦- الخاتمة	١٧٩
٧- الملحق	١٨٠-١٨٣
٨- المراجع	١٨٤-١٩٠
٩- فهرس الموضوعات	١٩١-١٩٣

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع ٢٠٠٣/١٤٢

المطابع الذهبية

٦٩٩٩٧٢